هواجس فكريَّة

حوارات جادة مع الشيخ حول التحديات المستجدة للفكر الديني

إعداد: رائد أحمد



قطرة الحق على صخرة الباطل

موقع رؤى ومحاضرات الشيخ ياسر الحبيب

A website dedicated to the views
and lectures of sheikh Yasser al-Habib

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَىٰ قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اَللّـــهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّـــد كَـــما حَمَـلَ وَحْيَـكَ، وَبَلَّـغَ رِســالاتِكَ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّـــد كَـــما أحَـــلَّ حَلالَـــكَ، وَحَـــرَّمَ حَرامَـــكَ، وَعَلَّـــمَ كِتابَكَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما أقامَ الصَّـــلاةَ، وَآتَى الـــزَّكاةَ، وَدَعـــا إلى دينِكَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَما صَدَّقَ بِوَعْـــدِكَ، وَأَشْـــفَقَ مِـــنْ وَعيدِكَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما غَفَـــرْتَ بِـــهِ الذُّنُـــوبَ، وَسَـــتَرْتَ بِـــهِ الْعُيُـــوبَ وَفَرَّجْـــتَ بِـــهِ الْكُرُوبَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما دَفَعْـــتَ بِـــهِ الشَّـــقاءَ، وَكَشَـــفْتَ بِـــهِ الْغَـــمّاءَ، وَأجَبْـــتَ بِـــهِ الدُّعـــاءَ، وَنَجَّيْـــتَ بِـــهِ مِنَ الْبَلاءِ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما رَحِمْـــتَ بِـــهِ الْعِبـــادَ، وَأحْيَيْـــتَ بِـــهِ الْبِـــلادَ، وَقَصَمْـــتَ بِـــهِ الْجَبابِـــرَةَ، وَأهْلَكْـــتَ بِـــهِ الْفَراعِنَةَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما أضْعَفْـــتَ بِـــهِ الأمْـــوالَ، وَأحْـــرَزْتَ بِـــهِ مِـــنَ الأهْـــوالِ، وَكَـــسَرْتَ بِـــهِ الأَصْنـــامَ، وَرَحِمْـــتَ بِـــهِ الأنامَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد كَـــما بَعَثْتَـــهُ بِخَـــيْرِ الأَدْيـــانِ، وَأعْـــزَزْتَ بِـــهِ الإيـــمانَ، وَتَـــبَرَّتَ بِـــهِ الأوْثـــانَ، وَعَظَّمْـــتَ بِـــهِ الْبَيْـــتَ الْحَرامَ، وَصَلِّ عَـــلى مُحَمَّـــد وَأهْـــلِ بَيْتِهِ الطّاهِرينَ الأَخْيـــار وَسَـــلِّمْ تَسْـــليماً.

لقـــد أعـــزّ الله تعـــالى الإيـــمان بنبيـــه أبي القاســـم محمـــد «صـــلى الله عليـــه وآلـــه» وامتـــدّ ذلـــك العطـــاء المحمـــديُّ الكوثـــري في عترتـــهِ أهـــل بيتـــه «عليهـــم الســـلام»، فـــكان مـــن ذلـــك محـــاورات أئمـــة أهـــل البيـــت صلـــوات الله عليهـــم لأهـــل الملـــل والنِّحـــل ومنهـــم الزنادقـــة والملاحـــدة حتـــى غـــدت دســـتوراً ومنهجـــاً ينهـــل مـــن نمـــيرِهِ المـوالـــف والمخالـــف.

عـاصر أئمتنـا عليهـم السـلام في زمانهـم أصنافـاً مـن الملاحـدة يفوقـون في دهائهـم بكثـير ملاحـدة اليـوم الذيـن يبـدو نتاجهـم في أغلبـه طرحـاً ركيـكاً تهريجيـاً.

فأمثـال ابـن أبي العوجـاء وابـن المقفـع والجعـد بـن درهـم وأشـباههم قـد كانوا فتنـة عظيمـة في زمانهـم لأنهـم يجيـدون إلبـاس الأوهـام والمغالطـات المنطقيّـة ثوبـاً يُشـبه العقـل وليـس بِعقـل، وقـد لا يسـهل عـلى كلِّ أحـد تفكيـك تلـك الأباطيـل والإيضـاح عـن تلـك الشـبهات المدلَهِمّات.

كمثـال عـلى الـكلام المزبـور نُـورد هـذا المقطـع مـن محـاورة للإمـام الصـادق عليـه السـلام مـع الزنديـق عبـد الكريـم بـن أبي العوجـاء «لعنـه الله»

جـاء في كتـاب التوحيـد للشـيخ الصـدوق رحمـه الله: (وأقبـل عليـه -أي الإمام الصـادق عليـه السـلام- فقـال لـه : **أمصنـوع أنـت أم غـير مصنوع ؟**

فقـال لـه ابـن أبي العوجـاء: أنـا غـير مصنـوع، فقـال لـه الصـادق عليـه السـلام: **فصِف لي لـو كُنـتَ مصنوعـاً كيـف كنـت تكـون؟**

فبقـي عبـد الكريـم مليّـاً لا يحير جوابـاً وولـع بخشـبة كانـت بـين يديـه وهـو يقـول: طويـل، عريـض، عميـق، قصـير، متحـرّك، سـاكن، كلّ ذلـك مـن صفـة خلقـه.

فقـال لـه الصـادق عليـه السـلام: **فإن كنـت لم تعلـم صفـة الصنعـة مـن غيرهـا فاجعـل نفسـك مصنوعـاً لِما تجـد في نفسـك ممّا يحدث مـن هـذه الأمـور**، فقـال لـه عبـد الكريـم: سـألتني عـن مسـألة لم يسـألني أحـد عنهـا قبلـك، ولا يسـألني أحـد بعـدك عـن مثلهـا، فقـال لـه أبـو عبـد الله: **هبـك علمـت أنّـك لم تُسـأل فيـما مـضى فـما علمـك أنّـك لم تُسـأل فيـما بعـد؟**

عـلى أنّـك يـا عبـد الكريـم نقضـت قولـك، لأنّـك تزعـم أنّ الأشـياء مـن الأوّل

سـواء فكيـف قدّمـت وأخّرت؟

ثمّ قال: **يا عبد الكريم، أنزيدك وضوحاً؟**

أرأيـت لـو كان معـك كيـس فيـه جواهـر، فقـال لـك قائـل: هـل في الكيـس دينـار، فنفيـتَ كـون الدينـار في الكيـس، فقـال لـك قائـل: صـف لي الدينـار؟ وكنـت غـير عـالم بصفـة، هـل لـك أن تنفـي كـون الدينـار في الكيـس وأنـت لا تعلم؟ قـال : لا ، فقـال أبـو عبـد الله عليـه السـلام: **فالعالَم أكـبر وأطـول وأعـرض مـن الكيـس، فلعـلّ في العـالم صنعـة مـن حيـث لا تعلـم صفـة الصنعـة مـن غـير الصنعـة،** فانقطـع عبـد الكريـم، وأجـاب إلى الإسـلام بعـض أصحابـه وبقـي معـه بعـض.

فعـاد في اليـوم الثالـث فقـال: أقلِـبُ السـؤال، فقـال أبـو عبـد الله عليـه السلام: **سـل عـمّا شيءت،** فقـال: مـا الدليـل عـلى حـدوث الأجسـام؟ فقـال: **إنّي مـا وجـدت صغـيراً ولا كبـيراً إلّا وإذا ضُـمّ إليـه مثلـه صـار أكـبر، وفي ذلـك زوال وانتقـال عـن الحالـة الأولى، ولـو كان قديـماً مـا زال ولا حـال، لأن الـذي يـزول ويحـول يجـوز أنْ يوجـد ويبطـل، فيكـون بوجـوده بعـد عدمـه دخـول في الحـدث، وفي كونـه في الأولى دخولـه في العـدم، ولـن يجتمـع صفـة الأزل والعـدم في شيء واحـد.**

فقـال عبـد الكريـم: هبْـكَ علمـت في جـري الحالـين والزمانـين عـلى مـا ذكـرت واسـتدللت عـلى حدوثهـا، فلـو بقيـت الأشـياء عـلى صغرهـا مـن أيـن كان لـك أن تسـتدلّ عـلى حدوثهـا؟ فقـال الصـادق عليـه السـلام: **إنّما نتكلّـم عـلى هـذا العـالم الموضـوع فلـو رفعنـاه ووضعنـا عالمـاً آخـر كان لا شيء أدلّ عـلى الحـدث مِـن رفعِنـا إيّـاه ووضعنـا غـيره، ولكـن أجبـت مـن حيـث قـدّرت أنّـك تُلزمنـا وتقـول: إن الأشـياء لـو دامـت عـلى صغرهـا لـكان في الوهـم أنّـه متـى مـا ضـمّ شيء منـه إلى مثلـه كان أكـبر، وفي جـواز التغـيُّر عليـه خروجـه مـن القِـدم كـما بـان**

في تغيير دخوله في الحدث، ليس وراءه شيء يا عبد الكريم، فانقطَع وخزي.

ولّما كان في العام القابل التقى معه في الحرم، فقال له بعض شيعته: إن ابن أبي العوجاء قد أسلم، فقال الصادق عليه السلام: **هو أعمى من ذلك لا يسلم**، فلمّا بصر بالصادق عليه السلام قال: سيّدي ومولاي، فقال له: **ما جاء بك إلى هذا الموضع؟** فقال: عادة الجسد وسنّة البلد ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة، فقال له الصادق عليه السلام: **أنت بعد على عتوّك وضلالك يا عبدالكريم**، فذهب يتكلّم، فقال له: **لا جدال في الحجّ** ، ونفض رداءه من يده، وقال: **إنْ يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول وهو كما نقول نجونا وهلكت)**[1].

فالحمد لله الذي منّ علينا فاستنقذنا بنبينا وآله صلوات الله عليهم من الجهالة وحيرة الضلالة.

وعلى سبيل الشكر لتلك النعمة الإلهية العظيمة قد انبرى سماحة الشيخ الحبيب دامت بركاته في هذه السلسلة النيِّرة اقتفاءً لخُطى الأئمة عليهم السلام إلى تناول هواجس الفكر الإلحادي وتبديدها بضياء المنطق الأحمدي.

وقد عمد شيخنا الحبيب حفظه الله في حصر هواجس الإلحاد إلى تركيز القضايا وجمع الأُسُس التي تنطلق منها هواجس الإلحاد، ومع ذلك استطاع ضرب الثانويات والشُعب الإلحادية في الموضوعات المختلفة في المسائل الفرعية التي لم تُطرق من خلال وضع (نقاط عامة مُلزِمة) يسَعُ من خلالها التقليص من حجم القيمة الواقعية لبقيّة التخرصات الإلحادية ، لهذا وجدنا حاجةً ماسّة لِإثراء الساحة بهذا العمل الذي نسأل الله تعالى قبوله بأحسن القبول ليكون مرجعاً لطلبة العلم وغيرهم في التعرف على

---

1 - التوحيد، الشيخ الصدوق ،٢٩٦.

المنطلقـات الأساسـية في ميـدان الجـدل العقائـدي بشـأن مـا يُصطلـح عليـه في زمانـنـا بـ «الإلحـاد»، ولتبديـد بعـض الخواطـر السـلبية التـي قـد تُثيرهـا بعـض الشـبهات التي يتـم ضخهـا بتركيـزٍ عـلى نحـو واسـع في هـذا العـصر مـن نفـوس الشـباب والنّشـأ مـن جهـة أُخـرى.

وقـد بذلنـا جهدنـا في إخـراج هـذا السِّـفر بلغـة مُتيـسِّرةِ الاسـتيعاب لـدى مختلـف الفئـات إن شـاء الله. كـما أنّـا وبتشـجيع كريـم مـن لـدُن سـماحة الشـيخ الحبيـب حفظـه الله ورعـاه أضفنـا بعـض البيانـات التـي وجدنـا أنّ لهـا موضعـا في البحـث.

هذا ونأمل ممّن يطالع هذا الكتاب من مؤمنين أو مُهتدين إن شاء الله النهوض بدور تفعيلِ نشْرِ المضامين المُستفادة من هذا البحث، فإنّا وإن لمْ يسعنا جعل جميع الناس مؤمنين فإنّا بعون الله تعالى قادرين على بثِّ نور الحق كلٌّ مِنّا بحسبه، {**فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**}[1]

هذا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الناشر

---

1 - سورة يونس: ١٠٨.

الحلقة الأولى

- هواجس تصوُّرِيّة عن الخالق
- كيف السبيل إلى صفة الإله؟
- هاجس الرؤية الماديّة للخالق
- فكرةُ الصّانع المُبدِع
- وقفةٌ مع اللا أدريّة
- هواجس في أزليّة الكون
- مذهب ستيفن هوكينغ
- نظرية الأكوان المتعددة
- هواجس فلسفيّة
- التطرُّف الإلحادي في مواجهة نظرية التصميم الذكي
- أمّا بخصوص من يكون هذا المصمم؟

هواجس تصوُّريّة عن الخالق

المحـاور: مـن هـو الله؟ ومـا شـكله، هـل يُشـابه بنـي البـشر؟ ومـا الـدور الـذي يقـوم بـه الآن؟

سـماحة الشـيخ : **{بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيـمِ (١) قُـلْ هُـوَ اللَّهُ أَحَـدٌ (٢) اللَّهُ الصَّمَـدُ (٣) لَمْ يَلِـدْ وَلَمْ يُولَـدْ (٤) وَلَمْ يَكُـن لَّـهُ كُفُـوًا أَحَـدٌ (٥)}** [1].

هكذا نصف الله تبارك وتعالى ونُعرِّفُه.

إنّا لا يسعنا أنْ نصف الخالق إلا بما وصف به نفسه.

إنّ الله تعـالى يقـول واصفـاً ذاتـه القدسـيّة **{وَلَمْ يَكُـن لَّـهُ كُفُـوًا أَحَـد}** وذلـك معنـاه نفـي النظـير والشـبيه والمثيـل لـه عـلى الإطـلاق. لأنَّ أيّ شـبيه أو نظـير أو مثيـل هـو بمثابـة المكافـئ والمُشـاكل، والله عـزّ وجـل مُنـزّه عـن أن يكـون لـه كُفـو.

لـذا فإنّـه لا يصـح مـن الأسـاس طـرح تسـاؤل مـن قبيـل (مـا هـو شـكل الله؟ أو أيـن هـو الله؟)، لأنَّ معنـى أن ننسـب لله تبـارك وتعـالى شـكلاً؛ هـو القـول بأنـه يشـبه ويُماثـل خلقـه، حيـث أنّ للمخلوقـات أشـكالاً تُوصـف بهـا، وهـذا مناقـض

1 - الإخلاص، 1-5.

لقول الله تعالى: {**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**}، كما أنه مُنافٍ لقوله تعالى: {**ليس كمثله شيء**}[1]،ونحو ذلك من آيات وأحاديث تُنزِّه الله عزّ وجلّ عن أن يكون شيئاً كالأشياء أو يكون له شبيه أو نظير أو مثيل.

كذلك حينما نسأل قائلين (أين هو الله؟) يكون السؤال «علميّاً وعقَديّاً» سؤالاً خاطئاً ومغلوطاً، فإنّ الله هو مُؤَيِّنُ الأيْن المُنزَّه عن الزمان والمكان. وبالتالي إذا قلنا أنّ لله مكاناً – كجوابٍ افتراضي على سؤال (أين الله)- كان ذلك إثباتاً لكونه تعالى مُتحيِّزاً في مكان ما أو محدوداً بجهةٍ ما، وليس بسوى هذا المنطق يمكن أن يُجاب على ذلك السؤال، وعليهِ يكون هذا أيضاً إثباتاً للتماثل والشبه بين الله الخالق وسائر مخلوقاته إذْ أنها تتأيّن بأين وتتحيّز ويُحيط بها الزمان والمكان. وهذا كلام باطل، فإنّ الله عز وجل خالق الزمان والمكان، فلا يمكن أن يحيط شيءٌ من هذه الأشياء به تبارك وتعالى، فهو فوق هذه النطاقات المحدودة وأكبر منها، ولذلك نصفه نحن المسلمين في ندائنا للأذان بقولنا (الله أكبر) أي أكبر من كلِّ شيء.

كما لا يمكن أن نصف الله عزّ وجل إلا بما وصف به نفسه، أمّا أن نتحدث عن شكله أو عن مكانه و نحو ذلك؛ فهذا يُنزَّه عنه الخالق تبارك وتعالى كُلّ التّنزيه.

كيف السبيل إلى صفة الإله؟

بعد أنْ بينّا وجه المغالطات في التساؤولات المطروحة بشأن كُنْهُ وماهيّة الخالق جلّ وعلا من رأس، فإنّه يُقال حينها إذن كيف نتعرّف على هذا الإله؟

---

1 - الشورى: الآية 11.

نقـول: إنّـا نتعـرّف عليـه مـن خـلال آثـاره وصفاتـه. ونعنـي صفاتـه الثبوتيّـة التـي هـي عـينُ ذاتـه ككونـه حيّـاً وقديـراً وسـميعاً وبصـيراً ونحـو ذلـك. وهـذه الصفـات ثابتـة لله عـز وجـل وقـد وصـف بهـا نفسـه. إلّا أنهـا لا تدلنـا عـلى كُنـه الله تعـالى، فـلا يمكـن لأحـد مـن الكائنـات أن يصـل إليـه، وإن كان ذلـك الكائـن هـو الرسـول الأعظـم صـلى الله عليـه وآلـه الـذي هـو أكمـل البـشر عقـلاً، إلا أنّـه لا يعـرف كُنـه الله تعـالى. لأنّ معنـى أن يعـرف مخلـوق كُنـه الله تعـالى هـو أنّ هـذا المخلـوق قـد ارتفـع إلى مسـتوى الخالـق وهـذا مـا لا يُمكـن ولا يكـون.

مثال تفهيمي:

نحـن بنـي البـشر نعـرف كُنـه ذواتنـا –إن صـحّ ذلـك– والسـبب هـو أنّنـا في نفـس المسـتوى، وقـد نعـرف كُنـه بقيـة الموجـودات إذا كانـت أدنـى منّـا، وقـد نعـرف كُنـه الحيـوان عـلى سـبيل المثـال. أمـا بالنِّسـبة للمعصومـين عليهـم السـلام فإنّـا لا نعـرف كُنههـم. نقـرأ في الزيـارة الجامعـة المرويـة عـن الإمـام الهـادي عليـه السـلام: «**مَـوالِيَّ لا أُحْـصِي ثَناءَكُـمْ وَلا أَبْلُـغُ مِـنَ الْمَـدْحِ كُنْهَكُـمْ وَمِـنَ الْوَصْـفِ قَدْرَكُـمْ**»[١]

فكيـف بمـن هـو خالـق ذلـك الكُنـه المعصـوم الأكمـل وهـو الله تبـارك وتعـالى؟!

إذن؛ هـذه الصفـات التـي نصِـف بهـا ربنـا هـي صفـات تُبـيِّن لنـا مـا نسـتطيع مـن خلالـه أن نتعـرّف إلى خالقنـا وإلهنـا تبـارك وتعـالى ونُشـير إليـه سـبحانه بحسـبنا نحـن وبقـدر اسـتيعابنا نحـن لا بحسـبه هـو تعـالى، فـإنّ كُنهـه وحقيقتـه أمـرٌ ممتنـع عـن العقـول.

1 -من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج2 ص615 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج99 ص132.

هـذا بالنسـبة للصفـات الثبوتيـة، أمـا بالنسـبة للصفـات الفعليّـة؛ مثـل كونـه خالقـاً ومُريـداً فهـي صفـاتٌ نسـتدلُّ بهـا عـلى آثـار الصانـع وبملاحظـة جميـع هـذه الصفـات مـن فعليّـة وثبوتيّـة يسـعنا حينئـذ أن نعـرف الإلـه تبـارك وتعـالى عـلى هـذا المسـتوى مـن المعرفـة وهـو الـذي فطرنـا عـلى فهمـه وإدراكـه.

هاجس الرؤية الماديّة للخالق.

المحـاور: كيـف توصلتـم لهـذه النتيجـة مـن غـير رؤيـة ماديّـة محسوسـة أو اتصـال مبـاشر مـع الله عـز وجـل؟

سماحة الشـيخ: ليـس الوصـول إلى هـذه النتيجـة متوقِّفـاً عـلى الرؤيـة الماديّـة للصانـع جـلّ وعـلا، بـل العكـس صحيـح، فلـو افترضنـا أنّ الله عـز وجـلّ يُـرى؛ لـكان ذلـك خُلفـاً لكونـه إلهـاً، فكيـف يمكـن أن يُـرى وهـو: **{لَا تُدْرِكُـهُ الْأَبْصَـارُ}**[1] كـما وصـف نفسـه، ومعنـى ذلـك أن الله عـزّ وجـلّ منـزّهٌ عـن أن يكـون مرئيـاً محـدوداً بالجهـات.

وعليـهِ نقـول أنّ أمـر معرفـة الله عـز وجـل لا يتوقـف عـلى كونـه مرئيـاً، فـإنّ المخلـوق لـه أنْ يتعـرّف عـلى خالقـه مـن خـلال آثـاره وبـما وصـف بـه نفسـه.

وهنالك طريقان يُغنيان عن الرؤية الحسيّة الماديّة وهما:

١- طريق العقل:

العقـل يدلنـا مثـلاً عـلى بعـض الصفـات الإلهيـة ككونـه -مثـلاً- واجـب الوجـود، أي أنـه لا يخلـو منـه الوجـود، ولا يمكـن أن يكـون مسـبُوقاً بعـدم.

٢- طريق النقل:

---

1 - سورة الأنعام: 103.

..فقد أثبت لنا طريق النقل صفات الخالق الأُخرى ككونه سميعاً وبصيراً وخالقاً وراحماً ونحو ذلك.

فهذه الصفات بمجموعها تُعرِّفنا على الله عزّ وجل من خلال هذين الطريقين، ولسنا نحتاج إلى أن نرى الله عز وجلّ عياناً لكي نتمكن من معرفته.

فكرةُ الصّانع المُبدِع

المحاور: فكرةُ الخالق المُبدع .. هل هي من وهم الإنسان أم هي فكرة أزليّة موجودة حقّاً؟ بعبارة أخرى هل هي فكرةٌ وهميّة خياليّة أم حقيقة أزليّة؟

سماحة الشيخ: هي حقيقة وليست وهماً. إنما يكون الوهم لو أراد امْرِؤٌ أن يعرِف كُنه الله عز وجل، ففي هذه الحالة فإن كُلُّ ما وقَع عليهِ وهمُك لا يكُوْنُ هو الله تبارك وتعالى. وهذا المعنى جاء في أحاديث أئمّتنا ومضامين كلامهم عليهم السلام.

ومن ذلك ما جاء في التوحيد:عن ابن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد فقلتُ: «أتوهَّمُ شيئاً؟ فقال: **نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمُك عليه مِن شيء فهو خِلافه، لا يُشبهُه شيء ولا تُدركه الأوهام، كيف تُدركه الأوهام وهو خِلاف ما يُعقل وخِلاف ما يُتصَوَّر في الأوهام؟ إنما يُتوَهَّم شيء غير معقول ولا محدود**»[١].

إنّ قِسماً من الناس يتوهّمون أنّ الله تبارك وتعالى له طول قدره أربعون ذراعاً –كما هو موجود في الديانة البَكْرِيّة[٢].

---

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣، ص٢٦٦.

2 - أي أتباع أبي بكر ابن أبي قحافة الذين يسمون أنفسهم أهل السنة.

وبعضٌ آخر يتوهّم أنّ الله تعالى يتجسّد -كما هو موجود في الديانة النصرانية-، و يتوهّم آخرون أنّ الله يتشخّص في كوكبٍ أو في حيوان أو نبات ونحو ذلك من اعتقادات فاسدة، وهذه الأوهام كُلُّها ليست الله عزّ وجل.

هنالك أيضاً توهُّمٌ مفادُه أنّ الله عزّ وجلّ هو هذا الوجود المُطلق بكلّ ما فيه وذلك ما يذهب إليه أصحاب الاعتقاد بوحدة الوجود، وهذا الوهم باطلٌ فمعناه أنّ الله عزّ وجل ليس سوى هذا الوجود المخلوق الحادث.

فإذن؛ نحن نقول أنّنا نتعرف على الله عزّ وجلّ من خلال آثاره وصفاته التي وصف بها نفسه، أما أن نُفكّر في كُنهه وذاته فهذا غير ممكن. فإذا اتّضح هذا المعنى يتبيّنُ الجواب على سؤالكم.

وعليهِ نعود لنجيب على تساؤلكم: هل فكرة الله الصانع المبدع عزّ وجلّ فكرة وهميّة أم حقيقة واقعيّة؟

نقول أنّه كما أسلفنا فإنّ كُلّ ما يقع عليه الوهم فهو ليس الله عزّ وجلّ في كُنهه. وحينها لا بُدّ أن ينتقل طور الكلام والتفكير إلى حيث الحقيقة، لأنّنا إذا نزّهنا الله عن الأوهام تماماً؛ فهذا معناه كأننا جعلنا الله عزّ وجلّ محض العدم والعياذ بالله، وجرّدناه من كل ما يُمكن أن نتوهّمه من صفات أو نحو ذلك، والحال ليس هكذا. وإنّما نحن نُثبت إلهاً ونقول أنّ هذا الإله حيٌّ، قادرٌ، قيُّومٌ، سميعٌ إلى غير ذلك من صفات تدلُّنا عليه سبحانه وليس وهماً من الأوهام.

فالسؤال حينها هو أنّه -بمعزلٍ عن عدم إمكانيّة إدراك كُنهِ الخالق- كيف توصّلنا إلى أنه إله واعتقدنا به؟

والجواب هو أنّ ذلك ما نُسميه ((**الإدراك الفِطريُّ**)) فالإنسان لديه مُدركاتٌ فطرِيّة تدفعُه نحو الحقائق. فعلى سبيل المثال نحن نؤمن بأنّنا

موجودون - إلا أنْ نشُذّ ونكون من السُّفِسْطائيين الذين يُشكِّكون بوجودنا ويقولون أنّ العالم محض خيالٍ في خيال، -وهذه مقالة سخيفة- لا يقبل العقلاء بها ولا يلتفتون إليها

إنّ العقلاء يقولون نحن موجودون، وانطلاقاً من إدراكهم لحقيقة وجودهم فإنهم يستشعرون وجود حقيقة من الحقائق كالعقل مثلاً، وإلى اليوم لا نعرف كُنه العقل، فهل هو كما يظنُّ بعضهم مُجرّد دماغ وما يجري فيه من عمليّات كهربيّة تُكوِّن التفكير؟

الواقع أنّه قد بات ذلك غير مقبول اليوم علميّاً حيثُ أنّه لا أحد بإمكانه الاعتقاد بأنّ إدراكه لِحُسنِ العدل وقُبح الظُّلم ناتجٌ عن هذه الشحنات الكهربيّة التي تحصل في الدماغ، فالناس مُتساوون من هذه الجهة، لأنّ جميعهم تنشط في أدمغتهم هذه الشحنات الكهربيّة، ومع ذلك نجد أنهم يتفاوتون في إدراك المحاسن والقبائح.

إذن؛ هنالك إدراكٌ فطرِيٌّ مَا هو الذي يدفعنا إلى الإيمان بأشياء وإنْ لم نلمسها ونرَها عياناً، أو نعرف كُنهها كالعقل -كما تقدّم-، فلو تركنا كُلّ إنسان وإدراكه الفطري هذا فإنّ ذلك الإنسان وإن لم يختلط بمجتمعات مُتديِّنة وتعتقد بالله عزّ وجل؛ بل ولو كان إنسانا منقطعاً عن البشر أو يعيش في غابة بمفرده، فإنّك ستجده منذ الصغر يُفكِّر بأنّ هنالك إلهاً، ويستشعر وجود قوّةٍ مَا غيبيةٍ ما ورائيّة، وأنّها هي التي خلقتْهُ، وهي التي خلقت هذا الكون وهيّأت كُلّ ما فيه له بهذه الطريقة المُتناسقة، وستجِدُ مِن هذا المخلوق سعياً حثيثاً نحو التعرُّف على هذه القوّة التي هي ليست سوى -الله الخالق عزّ وجل-

جاء في تفسير مولانا العسكري عليه السلام أنّه سُئِل مولانا الصادق «عليه السلام» عن الله، فقال للسائل: «**يا أبا عبد الله هل ركبت سفينةً قط؟**

قال: بلى، قال: **فهل كُسِر بك حيث لا سفينة تُنجيك، ولا سِباحة تُغنيك؟** قال: بلى، قال: **فهل تعلّق قلبُك هُناك أنّ شيئاً مِن الأشياء قادرٌ على أنْ يُخلِّصك مِن ورطتك؟** قال: بلى، قال الصادق» عليه السلام»: **فذلك الشيء هو اللهّ القادر على الإنجاء حين لا مُنجِي، وعلى الإغاثة حين لا مُغيث**»[1].

هذا الشعور الداخليُّ النّابع من الإدراك الفطري للإنسان بوجود قوّةٍ مُطلقَةِ القُدرة هو الذي يدلُّنا على أنّ تلك العظمة المُطلقة هي الله تبارك وتعالى.

فإذن؛ ذلك الخالق المُبدع هو حقيقة، ولو لم يكن كذلك لما كان البشر جميعاً مُطبقين على تلك الحقيقة، إلا الملاحدة الجُدد الذين إنْ حقّقتَ ستجدتهم أصحاب ديانةٍ اسمها ((الإلحاد))، فحتّى الإلحاد أصبح ديانةً وليس علماً وعقلانيّةً كما يحلو لهم تسميته. لأنهم من حيث لا يشعرون أثبتوا أنّ هناك إلهاً قادراً، غايةُ ما هُنالك أنّهم يُعبِّرون عنه بأنّه نبضَةُ الطاقة التي كانت في الأزل وتكَوَّن عنها الانفجار العظيم!

فالحاصل هو أنّ الجميع يتّفق على وجود مبدأ لهذا الوجود، أُسمِّيه أنا إلهاً، و يُسمِّيه المُلحد نبضة طاقة، وذاك يُسمِّيه الوجود، وآخر يُسمِّيه الطبيعة، إلى غير ذلك من مسمّيات..

فكيفما كان؛ فإن الجميعُ مُطبِق على أنّ شيئاً ما أوجدنا، وله قوّةٌ ما -مع قطع النظر عن كون هذه القوة مُدرِكة وحكيمة كما يعتقِد الدِّينيُّون أو كما يعتقد الملاحدة وغيرهم- فالجميع يشترك في الاعتقاد بذلك المبدأ والجميع يتجه نحو التعرُّف على هذا المبدأ وهذه القُوّة.

---

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج3 ص41.

وقفةٌ مع اللا أدريّة

المحـاور: هُنـاك فِرقـةٌ تُسـمّى ((الـلا أدْرِيّـة))[1] يقـول أهلهـا أنّـه لا يُمكـن إثبـات وجـود الله كـما لا يُمكـن إثبـات عـدم وجـوده، فهـل وجـود الإلـه غـير ممكـن الإثبـات إلا مِـن خـلال الميتافيزيقيّـة أو الماورائيّـة؟ وهـل يُمكِـن إثبـات وجـوده مـن خـلال العلـوم التجريبيّـة والحـواسِّ الخمـس لـدى الإنسـان؟

سـماحة الشـيخ: قطعـاً، ليسـت فكـرة الإلـه أو الاعتقـاد بـه هـي فكـرة ميتافيزيقيّـة. نعـم هنالـك هامـش كبـير مـن الاعتقـاد الدينـي بوجـود الله عـزّ وجـل مرتبـطٌ في تفاصيـل واسـعة بالغيبيـات التـي يُمكـن إدراجهـا تحـت عنـوان الميتافيزيقيّـة أو الماورائيّـة، ولكـنّ أصـل الاعتقـاد بـالله عـزّ وجـلّ دلتنـا عليـه المحسوسـات.

أنـا أحـسُّ بوجـودي، وأنـا موجـود فـلا بُـدّ لي مـن مُوجِـد فالعقـل يحكـم بهـذا. وهـذا الكـون الـذي أنظـر إليـه وأتأمّلـه وأُدركُـه بـما فيـه مـن موجـودات لا يُمكـن أن تكـون كلهـا قـد نشـأت مـن العـدم، فـلا بُـدّ مـن مُوجِـدٍ لهـا. وهـذه الحيـاة التـي نعيشـها ونتفاعـل معهـا لا بُـدّ أن يكـون لهـا باعـثٌ مـا. وهـذا الأثـر لابُـدّ أن يكـون لـه مُؤثِّـر. وهـذا الإذعـان الفطـريُّ البدهـيُّ لتلـك الحقائـق هـو أنصـعُ دليـل عـلى وجـود الله تعـالى.

هواجس في أزليّة الكون

المحـاور: ولكـنّ الكـون موجـود منـذ الأزل، فلـماذا تقـول أنـه يجـب

1- الإلحاد اللاأدري هو موقف فلسفي يشمل كلًا من الإلحاد واللاأدرية. الملحدون اللاأدريون هم ملحدون لأنهم لا يعتقدون بوجود أي إله، ولاأدريون لأنهم يدعون أن وجود الإله إما لا سبيل لمعرفته من حيث المبدأ أو غير معروف حاليًا في الواقع. يمكن إجراء مقارنة بين الملحد اللاأدري مع شخص يعتقد بالألوهية اللاأدرية (الألوهي اللاأدري)، الذي يؤمن بوجود إله أو عدة آلهة، ولكنه يدعي أن وجود أو عدم وجود هذا الإله أو هذه الآلهة غير معروف أو لا يمكن معرفته.

أن يكون له مُوجِد؟ وماذا عن الجمادات؟ فهي لا تحتاج أن يكون لها مُوجِد على غرار الإنسان الذي يأتي من خلال عملية التوالد على سبيل المثال.

سماحة الشيخ: من ذا يقول بأنّ الوجود أزليٌّ إلا ذلك المُتخرِّص؟!

إنّ أكبر علماء الفيزياء لا يقولون بذلك، وهنا نتوقّف مع مذاهب بعضهم بشأن أزليّة الكون.

مذهب ستيفن هوكينغ:

نجدُ ستيفن هوكينغ[١] يذهب إلى «**أنّ الوجود إذا ما أرجعناه إلى القِدم فإنه يتباطأ في الساعة الزمنية إلى أنْ يصل إلى نقطة الصفر فهُنا يتوقّف، ولسنا بحاجة إلى إله لأنه لا يوجد شيء وراء الصفر -وراء الزمن- حتى نقول أنّ هناك حاجة لوجود إله مُوجِد**»[٢].

وذلك يعني عجز **ستيفن هوكينغ** لأنه لا يستطيع أن يُفسِّر ما وراء نقطة الصفر. فهو يقول أنّ فيزيائيّته تقف عند نقطة الصفر حيث لا زمان ولا مكان. فالحاصل أنّ الكون ليس أزليّ الوجود.

نظرية الأكوان المتعددة:

هنالك من يقول بنظريّة الأكوان المتعدِّدة فراراً من الإشكالات على

---

1 - ستيفن ويليام هوكينج، ولد في أكسفورد، إنجلترا (8 يناير 1942 - 14 مارس 2018)، هو من أبرز علماء الفيزياء النظرية وعلم الكون على مستوى العالم، درس في جامعة أكسفورد وحصل منها على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، أكمل دراسته في جامعة كامبريدج للحصول على الدكتوراه في علم الكون، له أبحاث نظرية في علم الكون وأبحاث في العلاقة بين الثقوب السوداء والديناميكا الحرارية، كما له أبحاث ودراسات في التسلسل الزمني. في شهر أيلول/ سبتمبر عام 2010، وقد سبقَ أن عارضَ هوكينغ الفكرة القائلة بخلق الله للكون في كتابه التصميم العظيم. وسابقًا، عارض هوكينغ ذلك الاعتقاد بوجود خالق يمكنه التلاؤم مع النظريات العلمية الحديثة. حيث خلُص عمله الجديد إلى أن الانفجار الأعظم كان النتيجة الحتمية لقوانين الفيزياء ولا شيء أكثر من ذلك.

٢- Stephen Hawking & leonard Mlodinow. The Grand Desigen. 2010. p0180

نظريـة الانفجـار الكبـير وتهيِئتهـا لأسـباب الحيـاة. وأيّـاً يكـن؛ فـلا أحـد يسـتطيع أن يقـول أنّ الوجـود أزليٌّ، وزُبـدة المخـض هـي أنهـم لا يسـتطيعون تفسـير هـذا الوجـود، فيجعلـون جهدهـم في تفسـير الوجـود بنحـوٍ لا نحتـاج معـه إلى إلـه مدبِّر وخالـق للوجـود، ولكنهـم لا يقولـون بأزليّـة الوجـود. ولـذا فإنهـم عاجـزون ولا يمتلكـون الجـواب الشـافي والمنطقـي، ويقفـون عنـد نقطـة يحـارون فيهـا، ويريدون مِنّـا أنْ نُعطِّـل العقـل عـن التفكـير فيـما سـبق هـذه النقطـة زمانـاً ومكانـاً!

هواجس فلسفيّة:

المحـاور: إنّ الاعتقـاد بوجـود أي شيء يجب أن يترتـب عليـه عـدد مـن المُلازمـات، منهـا أن يكـون هـذا الـشيء الـذي نعتقـد بوجـوده محسوسـاً ومُـدرَكاً بالحـواسِّ الخمـس وإن كان ذلـك بطريقـة غـير مبـاشرة.

يقـول الفيلسـوف «بيرترانـد راسـل»: «لقـد تفحّصـتُ جميـع الحجـج العاديّـة لصالـح وجـود الله لكـن لا يبـدو أيٌّ منهـا صالحـا منطقيّـا»(١) فـما ردُّكـم؟

ج: ردُّنـا عـلى رأي «**بيرترانـد راسـل**»[٢] -إن أخذنـاه جـدلًا بالاعتبـار- إذ هـو في الواقـع ليـس سـوى رأيٍ عاجـز وليـس رأيـاً علميـاً. وإنّـك إذا أردت الـرأي العلمـي فيمكنـك اسـتطلاعه مـن خـلال العلـماء لا الفلاسـفة، فـإنّ الفلسـفة اليـوم بحسـب المقاييـس الأكاديميـة لم تعـد علـماً، لأنّ العلـم عندهـم هـو العلـم التجريبـي العمـلي القائـم عـلى الاختبـار والتجربـة، أمّـا الفلسـفة فقـد أخـذوا يُخرجونهـا عـن طـور وحيِّـز العلـم مُعتبريـن إيّاهـا أشـبه بالنظريـات الوهميّـة التـي لا دليـل عليهـا.

1 - ذكر ذلك في لقاء تلفزيوني تجده عبر هذا الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=U2At2crPv9k

2 - برتراند أرثر ويليام راسل إيرل راسل الثالث فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني، في مراحل مختلفة من حياته كان ليبراليا واشتراكيا وداعية سلام إلا أنه لم يكن أقرّ أنه لم يكن أياً من هؤلاء بالمعنى العميق.

تجدهم يقولون أنّ العلم التجريبي هو القادر على إيضاح عِلل الأشياء، على خلاف الفلسفة التي أثبتت خطأها في كثيرٍ من الموارد.

ورغم ما ذكرناه قد تجد الملاحدة يهتمون بمثل هذا القول ويُروِّجون له لمجرد الرغبة في محاربة الاعتقاد الديني ودحض الإيمان بوجود الله عز وجل، فيُعظِّمون هذه الكلمة ويُفخِّمون شخصية قائلها، مع أنها بحسب المقاييس التي أشرنا إليها يُفترض أن لا تكون كلمةً ذات اعتبار. ناهيك عن كونها كلمة مُعارضة بغيرها حيث نجد في مقابلها كلمات لعِدّة رجال من أهل العلم التجريبي اليوم تدلُّنا صراحة على أنّ هنالك إلهاً، وأنّ المحسوسات قادتنا إلى وجود هذا الإله.

نعم؛ إنهم من حيث كونهم أكاديميين مُلحدين في الجُملة فإنهم لا يُعبِّرون عن هذا الشيء بالإله ولا يسمُّونه إلهاً.

وعليهِ نقول ما رأي أصحاب راسل بالتالي؟

١ - «**فريمان دايسن**»[١] -العالم الفيزيائي البريطاني- يقول «**كلما ازدادت معارفنا العلمية كلما ازددتُ يقيناً بأنّ الكون قد أُعِدَّ لِاستقبالنا**»[٢]. إذن؛ هُنالك مُعِدٌّ لهذا الكون ولم يكُن وجوده عشوائيّاً. وهذا معناه أنّ هُنالك قوّة حكيمة ما وراء هذا الكون هي التي أعدّته وصمّمته بهذه الطريقة. وهذه القوة لا يُفسِّرونها، بينما نحن نقول بأنها ليست سوى الله عزّ وجل.

إذن؛ ليس الله عزّ وجل فكرةً وهميةً، وليس وجوده تخرُّصاً، وليس الأمر كما يدّعي راسل.

٢- هنالك في كثير من الدوائر الأكاديمية الغربية من يذهب إلى نظرية

---

1 - جون فريمان دايسون (ولد في 15 ديسمبر 1923)رياضي وفيزيائي نظري أمريكي من أصل بريطاني. اشتهر بعمله في مجال نظرية الكم وفيزياء الحالة الصلبة وعلم الفلك والهندسة النووية. هو عضو في مجلس الرعاة من نشرة علماء الذرة. عاش دايسون في جامعة برنستون من ولاية نيو جيرسي لأكثر من خمسين عاماً.

2- Energy in the Universe, Scientific American, 1971, 224, p.50.

«التصميــم الذكــي intelligent design»

وعليـهِ يقولـون أنّ هـذا العـالم مصمّـمٌ تصميـماً ذكيّـاً يـدلُّ عـلى ذكاء في التصمِيـم. فأيـن هـذا مـن مقالـة «بيرترانـد راسـل» العاجـزة؟!

التطرُّف الإلحادي في مواجهة نظرية التصميم الذكي

المحـاور: مـاذا عـن الملحديـن الذيـن سـخروا مـن -نظريـة التصميـم الذكـي- وهـزِأوا بهـا وبالمنظِّريـن لهـا، وقالـوا أنّ هـؤلاء مُتديِّنـون في حقيقتهـم ولكنهـم جـاءوا بهـذا القنـاع مـن أجـل صياغـة الديـن بشـكل آخـر لـه مقبوليّـة في الأروقـة العلميّـة؟

سماحة الشيخ: هـذه النزعـة الهجوميـة التهكميّـة هـي مـن التجنّـي والتّعامـي، لأنّ هـؤلاء الذيـن ذهبـوا إلى نظريـة التصميـم الذكـي ليسـوا مجهـولي القـدر عنـد العـالَم الغـربي! بـل هـم مـن كبـار العلـماء وفي شـتى الحقـول العلميـة (الرياضيـات، الفيزيـاء، علـم الأحيـاء)، وقسـم منهـم حائـزٌ عـلى جائـزة نوبـل، فهُـم علـماء مُعـترف بهـم في الجامعـات الغربيـة وقـد قضـوا عمرهـم في تلـك المحافـل والأجـواء، وأشرَفُـوا عـلى دورِيّـات علميّـة ووصلـوا إلى أعـلى المقامـات والأوسـمة العلميـة، لكنهـم بعـد هـذا العمـر المديـد أعـادوا النظـر في بعـض المُتبنّيـات الأكاديميـة فتوصلـوا عـلى أثـر تلـك المراجعـة الفاحصـة إلى قناعـة جديـدة تتمثَّـل في تبنِّـي نظريـة التصميـم الذكـي للكـون، فـإذا بهـم يُصدمُـون بـأنّ هنالـك مـن يسـخر منهـم ويبخسـهم حقهـم مِـن داخـل الأوسـاط التـي يُحسَـبُون عليهـا، بـل بلـغ الأمـر إلى حـدٍّ أنّ بعضهـم قـد تعـرّض للتضييـق والمُحـاصرة والإقصـاء والتسـقيط والطّـرد مـن بعـض الجامعـات عـلى الرغـم مـن المقامـات العلميـة الكبـيرة التـي يشـغلونها.

ومن مهازل الأمور وأشدها بعثا على السخرية رميُهم جمعاً مِمّن تبنّى نظرية التصميم الذكي بالتديُّن، والحال أنّ بعضاً من أولئك العلماء القائلين بنظرية التصميم الذكي لربما ما وطئوا كنيسةً قط!

بَل حتى عندما ذهبَ أولئك إلى القول بنظرية التصميم الذكي فإنهم ما ذهبوا إليها مِن جهةِ إثبات وجود الله عز وجل، ولم يكن ذلك غرضهم، ولم يُقدِّموا هذه النظرية على سبيل الإسهام في الفكر الديني، بل على العكس من ذلك فبعضهم مِن أشدِّ المناوئين للأديان ويعتبرونها محض خرافات. وإنّما كلّ ما في الأمر أنهم يقولون أنّا نظرنا وتفحّصنا فوجدنا أنّ دقائق الكون تتناسب مع احتياجاتنا، وأنّ النِسب الكونية دقيقة بحيث وجدنا كلّ شيء في محله وموضعه الملائم بدقةٍ فائقة، وهذا يدل على أن هنالك مصمِّماً ذكيّاً لهذا الكون.

أمّا بخصوص من يكون هذا المصمم؟

فيقولون ليس شأننا أن نبحث عنه، ويُسفِّهون الأديان ومن يعتنقونها، وغاية الأمر هو أنهم يقولون بأنّ هذا الرأي المتمثِّل في نظرية « **التصميم الذكي** » هو ما دلّنا عليه العِلم وليس للعشوائيّة في نظام هذا الكون موضع، ويُقِيمون الأدلة على ذلك بعشرات الدراسات العلمية والأبحاث التخصُّصِيّة.

وقد غيّر بعضهم وجهة نظره استنادا إلى مثل هذه النظريات التجديديّة كالبروفيسور الإنجليزي «**أنطوني فلو**»[1] الذي كان إلى عهد قريب من أشدِّ

---

1 - أنطوني جيرارد نيوتن فلو (11 فبراير 1923 - 08 أبريل 2010) فيلسوف بريطاني، اشتهر بكتاباته في فلسفة الأديان. كان فلو طوال حياته ملحدا وألف العديد من الكتب التي تدحض فكرة الإله، غير أنه وفي آخر حياته ألف كتاباً نسخ كل كتبه السابقة وقد تجاوزت ثلاثين كتابًا تدور حول فكرة الإلحاد، بعنوان: هنالك إله. وقد تعرض لحملة تشهير ضخمة من المواقع الإلحادية في العالم وذلك لأنه ولخمسين عامًا كان يعتبر من أهم منظري الإلحاد في العالم.

المحاربـين للفكـر الدينـي وأبـرز المدافعـين عـن الإلحـاد، وكان مـن أهـم أعمـدة الإلحـاد في عصرنـا. وقـد خـاض هـذا الرجـل مناظـرات مـع المتدينـين في بريطانيـا وأمريـكا وألّـف كتابـاً في السـبعينات حـاول أن يُثبـت فيـه أنّ الفطـرة في الإنسـان هـي الإلحـاد! لا أنّ فطـرة الإنسـان هـي الاعتقـاد بوجـود الله تعـالى كـما يُنـادي بـه المتدينـون الذيـن يعتقـدون بـأنّ الفطـرة الإنسـانيّة السـوِيّة هـي الاعتقـاد بـالله تعـالى وتلـك مـن أعظـم الحُجـج عندهـم.

واسـتمرّ الحـال هكـذا عقـوداً مـن الزمـان، إلى أنْ انقلـب الرجـل عـلى مقالاتـه السـابقة فألّـف في سـنة -٢٠٠٤- كتابـاً عنوانُـه:(There is No God) كان يقصـد أنّ العبـارة التـي هـو بصـدد إثباتهـا تخلـو مـن أداة النفـي (No) ليكـون المعنـى هـو: (There is God)

كان الكتـاب مثـيراً لكـون صاحبـه مـن كبـار الملاحـدة في هـذا العـصر، وكان يُرفـع في أوسـاط الملاحـدة إلى عنـان السـماء في العبقريـة والفهـم والعلـم، وإذا بـه يتحـول بعـد ذلـك إلى مُوافقـة الاعتقـاد الدينـي والتصريـح بـأنّ هُنالـك إلـه، وإن كان في إدراكـه لهـذا الإلـه لا يأخـذ ببيانـات أيٍّ مـن الأديـان حـول ذلـك الإلـه، فهـو لا يقـول بالنصرانيـة أو الإسـلام أو غيرهمـا مـن الأديـان، ولا يؤمـن بالرُّسـل حتـى الآن، لكنـه يقـول بوجـود دليـل عـلى وجـود الله عـزّ وجـل مفـاده أن هـذه الدِّقـة في تصميـم هـذا الكـون لا يمكـن أن تكـون بـلا مُصمِّـم.

والآن فـإنّ هـذا الـذي حـاز عـلى الجوائـز والأوسـمة الأكاديميـة الرفيعـة وبعـد هـذا العمـر المديـد وتلـك المؤلفـات والأبحـاث المتعـددة؛ يتحـول مـن الإلحـاد التـام إلى الاعتقـاد بالإلـه الخالـق؛ فهـل يُعقـل أن يُبخـس حقّـه بعـد ذلـك مـن قِبـل مناوِئيـه ويُسـتخفّ بـه ويُسـخر منـه بـلا حجّـة وبُرهـان ناصـع؟

ذلك تجنٍّ سافر وباعِثُه التعصب لديانة الإلحاد.

إنّ الملاحدة اليوم باتوا في الواقع متعصبين ومُغالين في إلحادهم، إلى حد أنّني أُسمِّي وأصف الإلحاد اليوم بأنه «ديانة الإلحاد» فقد صار الإلحاد ديناً.

فكما نجد عند بعض المتدينين وأتباع الأديان المنحرفة من التعصب والغلو والدفاع عن الفكرة الدينية حتى وإن كانت مُصادمة للعقل والبراهين؛ نجد ذلك عند الملحدين، والحال أنهم أكثر الناس تشدُّقاً بالعقلانيّة والاعتماد على الأسس العلمية ونحو ذلك. غير أنّك حينما تنظر وتتأمّل مليّاً في كلماتهم وأقوالهم ونقاشاتهم فإنّك تجدهم يُصادمون العقل حتى في بَدهيّاته تعصُّباً للفكرة الإلحادية.

تجدهم يُقِيمون على تعصبهم حتّى مع ظهور المزيد من الاكتشافات والأبحاث العلمية التي تدلهم على مزيد مِن التناسب والتناغم في هذا الكون بِدقائقه.. ولا تلقاهم إلّا مُتحجِّرين على رأيهم لا يدَّخرون وسعاً في محاربة وتفنيد كلِّ ما يؤيِّد الاعتقاد بالإله دفاعاً عن الفكرة الإلحادية لِئلّا تسقط وتتهاوى!

ذاك وهُمُ الذين لطالما زعموا أنّ سبب محاربتهم للأديان هو أنها إقصائيّة وتسلب الإنسان حقوقه الفكريّة وما أشبه؛ فإذا بهم هم أنفسم غارقون في الإقصاء للآخرين، وعلى رأسهم أولئك الذين كانوا معهم بالأمس أمثال «أنتوني فلو» وغيره حيث راحوا بكل عصبيّة يُقصونهم عن المشهد العلمي تماماً، والأمر ذاته بالنسبة لمن ذهبوا إلى نظرية التصميم الذكي. فهل يحقُّ لهم بعد هذا التبجُّح بالمنطق العلمي وحريّة التفكير وغيرها من شعارات هم أبعد ما يكونون عنها؟!

الحلقة الثانية

- هاجس تَشَخُّص الخالق
- ثبات قانون امتناع رؤية الصانع
- هاجس الاتصال المباشر بالخالق
- العبارة التسامُحيَّة و العبارة الدِّقِّيّة
- هواجس حول النبيِّ والمتنبِّئ
- هواجس حول حقيقة المعجزات
- هواجس تثيرها ألواح البابليين
- هواجس حول موقعية حاجتنا لمعرفة الخالق
- هاجس القيمة الاجتماعية لبعض الملاحدة
- الغرائز بين الإنسانية والبهيميّة

هاجس تَشَخُّص الخالق:

المحـاور: لمـاذا لا يتجـلّى الخالـق بذاتـه للبـشر في صـورةٍ مرئيّـة؟ هـل تحكمـه قوانـين لا يتمكـن تبعـاً لهـا مـن الظهـور لنـا بصـورة مرئيـة؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ الله عزّ وجل هو خالق القوانين، لذا لا يحكمه أيٌّ منها. وإنما نحن المصنوعون المحكومون بالقوانين التي وضعها الخالق ومنها القانون الذي يقضي بأنه لا يمكن لنا أن نحيط بالخالق تبارك وتعالى، وإنّ رؤيتنا له هي نوعُ إحاطة، وعليهِ فإنها تتنافى مع ذلك القانون الإلهي، بل هذا خُلفُ كونه تعالى خالقاً مُطلقَ القُدرة لأنّ خالق الرُّؤية والمرئيّات أوجدها لحاجة الموجودات المحدودة إليها فكيف يمكن أن يتحجّم ويتحيّز بهذه الرؤية بحيث أنها يُمكن أن تقع عليه؟ لذا فإنّ كون الخالق عزّ وجلّ فوق القانون ولا يحكمه قانون هو المُقتضِي لِأن لا يُرى وليس العكس. لأنّنا إذا قلنا أنّ الله عز وجل يمكن أن يُرى فحينئذٍ يكون محكوماً بقانون المرئيات وذاك يُخرجه عن حدِّ الخالقيّة المُطلقة وهو ما لا يكون.

ثبات قانون امتناع رؤية الصانع:

المحاور: ألا يمكن للهّ عز وجل أنْ يُغيِّر القوانين التي وضعها لتكون في صالحنا فيُمكِّننا بذلك من رؤيته؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ معنى تغيير قانون امتناع رؤية الخالق إلى الإمكان هو أنّه سيكون سبحانه وتعالى محكوماً بقانون آخر، والمفترض أنّ الله عزّ وجل لا يكون محكوماً بقانون قَطّ، لأنّ هذا نقصٌ وهو سبحانه مُنزّه عن كلِّ نقص، وهو تعالى فوق القانون وأكبر منه. وإنما نحن المصنوعون المحكومون بالقوانين لذا تمتنع علينا رؤية الله تبارك وتعالى والعكس لا يكون.

هاجس الاتصال المباشر بالخالق

محاور: لماذا لا يكون الخالق على اتِّصال مباشر مع مخلوقاته بأيِّ طريقة كانت سواء صوتيّة أو مرئيّة أو غير ذلك؟

سماحة الشيخ الحبيب: يمكننا ويسعنا أنْ نجيب على هذا السؤال بطريقتين، إمّا بالعبارة التسامُحيَّة أو بالعبارة الدِّقيَّة:

العبارة التسامُحيَّة:

إنّ لدينا اتصالاً مباشراً مع الله عزّ وجل بنحو من الأنحاء وذلك عن طريق العقل. فقد جاء في الروايات الشريفة: (**إنّ الرسول حُجّة ظاهرة والعقل حُجّة باطنة**)[1]، فكما أنّني أتّصل بالخالق عن طريق الرسول أو

1 - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج15 ص207: عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) يا هشام ... - إلى أن قال : - «إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة ، وأما الباطنة فالعقول».

النّبـي أو الإمـام -و هـو مـا يُعـبّر عنه تسـامحياً بالاتصـال غـير المباشر-، فـإنّي أتصـل بـالله عـز وجـل عـن طريـق عقـلي كذلـك، إذْ العقـل يسـتقل بـإدراك بعـض الأمـور التـي لا يكـون وراءهـا إلا مـا أودعـه الله عـز وجـل في هـذا العقـل مـن معـارف وقِيَـم يمكـن مـن خلالهـا إدراك الأشـياء. وكـما هـو محسـوسٌ فـإنّ الله سـبحانه تعـالى يبعـث في الإنسـان أفـكاراً مُعيّنـة تجعلـه يتوصّـل إلى مـا فيـه الخـير ومـا فيـه صـلاحُ شـأنه.

العبارة الدِّقّيّة:

مـا مـن أحـد لديـه اتِّصـال مبـاشر مـع الله عـزّ وجـلّ، بـما في ذلـك الأنبيـاء والرُّسـل عليهـم السـلام؛ حيـث أنهـم يتّصلـون بـالله عـز وجـل عـن طريـق الوحـي وعـن طريـق واسـطة كجبرائيـل عليـه السـلام، وإمّـا أنْ يكـون الاتصـال بينهـم وبـين الله تعـالى مبـاشرةً بـلا واسـطة مـن ملـك ونحـو ذلـك، إلا أنّهـا دِقِّيّـاً تكـون عـبر وسـائط، كأن يخلـق الله تعـالى إلهامـاً أو يخلـق صوتـاً يكلِّـم بـه موسـى عليـه السـلام -عـلى سـبيل المثـال-، أو يخلـق منامـاً يُرشـد بـه إبراهيـم عليـه السـلام ونحـو ذلـك مـن وسـائط. بـل إنّ واسـطة الوحـي وهـو جبرائيـل عليـه السـلام هـو بذاتـه لا يتصـل بـالله تعـالى بشـكل مبـاشر بـل عـن طريـق واسـطة كالإيحـاء أو الإلهـام مثـلاً.

فـإذن؛ لا أحـد لديـه اتِّصـال مبـاشر مـع الله عـز وجـل دقِّيّـاً، بـل هناك وسـائط هـي التـي تصـل الرسـول أو الحجّـة بـالله تعـالى كـما تصلنـا نحـن بـالله تبـارك وتعـالى مـن خلالهـم.

نعـم، سـعة هـذا الاتصـال غـير المبـاشر عنـد النبـي والإمـام تكـون أكـبر ممّـا لدينـا، وذلـك بسـبب أنّ قابليّاتنـا أضيـق نطاقـاً. فـالله تعـالى حـين يختـار ويصطفـي

أحداً يوحي إليه فذلك لكون هذا المُوحى إليه يمتلك قابليّةً تجعله قادراً على أن يستوعب الوحي الإلهي ويحتمله ويُبلغه، أمّا نحن فليس جميعنا على مثل تلك القابلية أو الكفاءة.

ليس الوحي بالأمر الهيّن أو الاعتيادي ولا سيّما إذا كان بمعزلٍ عن وجود وسيط من الملائكة، فنبيُّنا الأعظم صلى الله عليه وآله إذا كان يُوحى إليه عبر جبرائيل عليه السلام كان الأمر بالنسبة إليه مُحتملا بفضل الله تعالى ولا يصيبه الإعياء، أمّا إذا كان يتلقّى النِّداء أو الوحي من الله عز وجل مباشرةً بلا واسطة من جبرائيل عليه السلام فإنّه كان يصيبه شيءٌ من الإعياء بسبب ذلك، فتصطكُّ أسنانه وترتعد فرائصه ويرتجف ويعرق عرقاً شديداً ونحو ذلك من علامات يستشعر المسلمون من خلالها أنّه صلى الله عليه وآله قد جاءه وحي خاصٌّ من الله تعالى وليس بواسطة جبرائيل عليه السلام، ولذا فإنّه من شدّة خشيته صلى الله عليه وآله لله عز وجل كانت تعتريه تلك الحالة.

فإذا ما افترضنا أنّ هذا الأمر يقع بالنسبة إلى غيره ممّن هو أقلُّ قابليّة واستعدادا فقد يُؤدي إلى هلاك ذلك الشخص، إذ ليس جميعنا لديه قابليّةُ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ولا كفاءته، ثم إنّ الحكمة الإلهية اقتضت أنْ لا يُجعل كل البشر أنبياءَ، لأنّ معنى أنْ نُطالب الله تعالى بأن يتصل كلُّ كائنٍ به اتصالاً مباشراً هو أنّا جميعاً أصبحنا أنبياء، وحيثُ العصمة من مُلازمات الوحي، بذلك نكون أصبحنا جميعاً معصومين ولا بدّ أن نكون جميعنا معصومين قهرا من بدايات إدراكنا وتكليفنا لنكون أهلاً لحفظ أمانة الوحي وأدائها، ومعنى ذلك بُطلان الاختيار!

إنّ اللهّ سبحانه وتعالى أعطانا قيمةً مُهِمّة وهي قيمة الاختيار، فلقد خلقنا تعالى وجعلنا مُختارين لا مقهورين على الطاعة، فإذا جعلنا مُختارين لا محالةَ

سيختار بعضٌ منّا الكفر والعصيان على درجاته فكيف يُنبّأ في هذه الحالة؟

فإن قُلت: أريد أن يسمع حتى الكافر والعاصي النداء مباشرة من الله عز وجل.

قُلنا: هذا معناه تجويز أن يكون لدينا نبيٌّ كافرٌ أو عاصٍ وهذا خُلْفٌ، فالمسألة إذن كُلها بهذه الطريقة تُصبح اعتِباطيّة. فمن يكفر بجهةٍ ما ويعصيها «عامداً» أو «متغافلاً» أو «مستخِفّاً» في صغيرة أو كبيرة كيف له أن يُؤتمنَ بصفة خاصة ومباشرة على تعاليم تلك الجهة ووصاياها؟!

فالصّواب والحكمة هي أنّ الله عز وجل يختار من عَلِمَ أنّه سيكون على أعلى وأتمِّ درجات الطاعة والإيمان، ومن هو مؤهّل لكي يسمع النداء والوحي الإلهي فيؤدِّيه كما هو. فذاك الذي يصطفيه الله لنبوته ووحيه ويُجازيه على صدق وكمال إيمانه بأن يُسدِّده ويُرشده ويزيده قوّة إيمانيّة فيعصمه من الخطأ كبيره وصغيره من غير أن يسلبه القدرة على الاختيار فهو أيضاً مُختار ولكنّه بقوّة العصمة التي استحقّها بإيمانه الكامل يختار الطاعة وهو قادر على اختيار نقيضها[1].

1- أقول: استنادا لما أسلفه الشيخ الأستاذ بما أنّ الشيء بالشيء يُذكر نقول أنّ ما بيّنّاه هو مبدأ عقلائي يتسالم عليه ذوو العقل والنظر. وبه يحتجُّ المسلمون الشيعة على مخالفيهم.

إنّ أي منصب خطير يُفترض أن يُنتخب له الأكمل في مقوماته الشخصية والنفسية والذهنية.. ولا يكون نائبه إلا الأفضل والأكمل والأكثر تفوقا على غيره وإن كان يلي رئيسه في الأفضلية.. ثمّ إنّ كلّاً من الرئيس ونائبه يكون تحتهما أعوان وأتباع يتفاوتون في كمالهم ويتغايرون في صفاتهم فمنهم الأمين ومنهم المخادع ومنهم المتذبذب والمتفوق والمتقاعس والمتأرجح بينهما، وهكذا..

فكيف بمقام النبوة الإلهية ومقام خلافة النبوة؟

بعد النبي صلى الله عليه وآله كيف يُعقل أن ينتهي أمر حفظ الدين وبيانه إلى غير المعصومين، بل إلى حديثي عهد بكفر وجاهلية؟!

ولا عجب إن قلنا أنّ شُعب الهواجس الإلحاديّة هي التي شيّدت بنيان سائر الفرق المُبتدَعة باسم الإسلام.

هواجس حول النبيّ والمتنبّئ

المحـاور: لمـاذا يُكلِّـم الله عـزّ وجـلّ رُسـله عـن طريـق الوحـي؟ لمـاذا لا يخاطبهـم مُبـاشرةً، أو يُسـمِعُ بقِيّـة النـاس مـا يوحيـه إليهـم؟ فربـما يكـون هـذا النبـيُّ مجـرّد متنبـئ مُـدّعٍ دجّـالٍ يخـدع النـاس ويقـول مـن عنـد نفسـه افعلـوا كـذا وكـذا، أو اتركـوا هـذا وذاك؟

سماحة الشيخ الحبيب: الإجابة على هذا الهاجس في نقطتين.

أولاً: إنّ هـذا خُلْـفٌ أيضـاً، لأنـه إذا قلنـا أنـه لا بـدّ أن يسـمع سـائر البـشر الوحـي الإلهـي لنبـيٍّ مـن الأنبيـاء؛ فمعنـى ذلـك أنهـم صـاروا بمثابـة الأنبيـاء جميعـاً أيضـاً. وتبطـل الحاجـة هنـا لوجـود النّبـي! لأنَّ استماعي لمـا يـأتي النبـيّ مـن نـداءٍ إلهـي معنـاه أنّي أسـتطيع أنْ أتلقّـى الأوامـر الإلهيـة مبـاشرة ولا حاجـة لي إلى هـذا النبـي عـلى الإطـلاق وهـذا أمـر خـلاف الحكمـة التـي طرقناهـا في جوابنـا السـابق.

ثانيـاً: إنّ تصديـق الأنبيـاء لا يتوقّـف عـلى مجـرّد إخباراتهـم لكـي يُقـال لعـلّ في الأمـر مكـراً أو خدعـة!

كلا، فـإنّ الأنبيـاء يُصدَّقـون مـن خـلال معاجزهـم ومـن خـلال إخباراتهـم الغيبيـة التـي تُطابـق الواقـع.

فعـلى سـبيل المثـال؛ يـأتي نبـيٌّ مـن الأنبيـاء فيقـول لقومـه غـداً تخرجـون معـي ونتوجـه إلى البحـر، وهـذا البحـر سـينفلق إلى قسـمين، وسـوف نجتـازه ولـن يلحـق بنـا العـدو، وحينـما نتجـاوز البحـر وننجـو سـيأتي جيـش العـدوّ مُطـاردا إيّانـا فيغـرق في هـذا البحـر. إنّـه يقـصُّ عليهـم مـا سـيقع بهـذا التفصيـل والدقـة ثـمّ يتحقـق مـا أخـبر بـه تمامـاً في اليـوم التـالي؛ حينهـا لا يكـون هـذا الأمـر إلا تصديقـاً للنبـيّ وبُرهانـا عـلى كـون نبوتـه إلهيّـة حقيقيـة.

فـإذن؛ لا يتوقـف التصديـق عـلى سـماع الوحـي الإلهـي النـازل عـلى الأنبيـاء، وهـو خـلاف الحكمـة كـما سـبق وبينّـا، بـل نصدّقهـم ونؤمـن بهـم مـن خـلال معاجزهـم وإخباراتهـم الغيبيـة التـي طابقـت الواقـع.

هواجس حول حقيقة المعجزات

محـاور: مـن يقـول أنّ هـذه المعاجـز التـي حدثـت في زمـن الأنبيـاء حقيقيـة؟ لربـما كانـت أسـاطير نسـجها النـاس فيـما بعـد؟ وهنـاك قصـص مشـابهة في الأسـاطير البابليـة والآشـورية والفرعونيـة لُحِـظَ شـبهها بتلـك القصـص الموجـودة في الكتـب السـماوية؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا يتكفـل بـه علـم التأريـخ. فالدراسـة المتجـردة الفاحصـة لـه تكشـف لنـا مـن هـو صاحـب المعجـزة الحقيقـي ومـن هـو الـذي استنسـخ تلـك المعجـزات النبويّـة ونسـبها إلى نفسـه وبـدّل وزاد وأنقـص فيهـا ومـن هـو الـذي تكـررت معـه تلـك المعجـزات حقّـا وذلـك لحكمـة إلهيـة وإن لم يكـن مـن الأنبيـاء..

هواجس تثيرها ألواح البابليين..

محـاور: إنّ المؤرِّخـين حينـما نقّحـوا ونقّبـوا قـد تفحّصـوا في الألـواح الطينيـة للبابليـين، فوجـدوا قصّـة مُشـابهة لقصّـة نبـيِّ الله موسـى عليـه السـلام، تتحـدث عـن إلقـاء أُمٍّ لابنهـا في النهـر، كـما أنّ هنالـك قصّـة مشـابهة لقصّـة النبـي يونـس عليـه السـلام!

فما قولكم في هذا؟

سماحة الشيخ الحبيب: الجواب من جهتين:

١- لا يمتنع عقلا أن يكون هنالك شيءٌ من التشابه في وقائع مختلفة، وكلُّ ذلك بأمر الله تبارك وتعالى لبيان قُدرته تارة، أو لرحمةٍ أرادها بأحدِ خلقه أو لبيان عاقبةٍ ما، أو لإظهار صدق نبيٍّ من أنبيائه تارة أُخرى، و غيرها من حكمٍ جميعها خاضعة لإرادة الله تعالى وحكمته.

فما المشكلة أن يكون لدينا أكثر من طوفان، وأكثر من ولدٍ مُعجِزة؟

هذا إنْ صحّ أنّ مثل هذه الألواح وغيرها دقيقة وأنها ترجع إلى زمانِ كَذا، حسب علوم الأحافير وتلك المختصّة بالآثار وما شاكل.

٢- أمّا الذي يثبت أنّ هذه الواقعة التأريخية التي تنبّأ بها نبيٌّ من الأنبياء أو جرت على نبيٍّ من الأنبياء أو قوم من الأقوام هي واقعةٌ حقيقية، وليست مكذوبةً أو مُخترعة؟ فهو البحث المتجرِّد في علم التاريخ.

أمّا إذا أردنا أن نشكِّك في كلِّ شيء فإنّنا نتمكن من ذلك إذا انتهجنا التعسُّف ولم نرجع إلى عقولنا، وابتعدنا عن الاتزان والإنصاف.

والواقع أنّا لا يسعُنا أنْ نمضي في ذلك الاتجاه هكذا كما نهوى!

فعلى سبيل المثال؛ البدهيُّ عندنا هو أنّ التواتر حُجّة، وهذه قضيّة عقلائية يقبلها الجميع.

إنّنا نُعرِّف الخبر المتواتر على أنّه ذلك الذي يتواتر الإخبار به من خلال جمعٍ متكثِّرٍ من المُخبرين بما يمتنعُ معه أنْ يتواطئوا جميعاً على الكذب، وهذا البرهانُ حُجّة عند سائر الأقوام ما لَم يقُم دليل مُعارضٌ أقوى وأظهر في ردِّ الخبر المتواتر. وإلّا فنحن بالمزاج والتعسُّف بإمكاننا أنْ نشكِّك في ملايين القضايا والحقائق، وهذا لا يصح.

ثمّ إنّك إذا أردت أنْ تدقِّق أكثر، فإنّك تجد أنّ هنالك من الإخبارات الغيبية الواقعيّة ما تحدَّثَ به الأنبياء وليس له نظير عند أقوام أُخرى، لا

البابليـين ولا غيرهـم، وقـد تحقّقـت تلـك الإخبـارات بالدِّقـة.

في سـيرة نبينـا صـلى الله عليـه وآلـه -عـلى سـبيل المثـال- أنّـه أخـبر عـن أمـور سـتقع بعـد استشـهاده وقـد وقعـت بالدِّقّـة كـما قـال وأخـبر، كنبـاح كلاب الحـوأب عـلى عائشـة لعنهـا الله، حيـث أخـبر صـلى الله عليـه وآلـه عـن أنّ عائشـة تنبحهـا كلاب الحَـوْأب[١]، وقـد وقـع باتِّفـاق المؤرخـين، ولا يمكـن أن يكـون ذلـك رجمـاً بالغيـب أو تخرُّصـاً، بـل مـا قالـهُ النبـيُّ ولا أخـبر بـهِ إلا عـن يقـين لأنّ الواقعـةَ جـاءت مُطابقـةً لمـا قـال صـلى الله عليـه وآلـه، وهـذا يعنـي أنّـه عـلى اتِّصـال بالوحـي الإلهـي.

كذلـك إنبـاؤه بمقتـل الإمـام الحسـين عليـه السـلام في كربـلاء، وهـذا لا يمكن أن يكـون مـن قبيـل التّخمـين والصُّدفـة، بـل هـو إنبـاءٌ صـادقٌ تقـفُ وراءه قـوّةٌ إخباريّـة غيبيّـة إلهيّـة دالّـة عـلى صـدق هـذا النبـي[٢].

أمّـا إذا أراد أحدهـم أن ينتهـج التّعسُّـف؛ فإنّـه سـيضرب بـكل هـذه الإخبارات الغيبيّـة المُتحقِّقـة عـرض الجـدار، ولا كلام لنـا مـع المتعنّـت أو المُتعسِّـف، فكـما جـاء عـن أمـير المؤمنـين عليـه السـلام: **(رضـا المتعنِّـتِ غايـةٌ لا تُـدرك)**[٣].

• نموذجٌ للشخصيّة التعسُّفيّة:

قبـل فـترة قـرأت مقـالاً لأحـد الأطبـاء مـن البوسـنة -يدّعـي الإسـلام-، وقد كان يُشكِّك في وجـود شـخصيّة الرسـول الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه مِـن أصـل!

---

1 - ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لنسائه: (ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب التي تنبحها كلاب الحوأب)، وذكر الأعثم في الفتوح والماوردي في أعلام النبوة وشيرويه في الفردوس وأبو يعلى في المسند وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين والموفق في الأربعين وشعبة والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذري والطبري في تاريخيهما أن عائشة لما سمعت نباح الكلاب قالت : أي ماء هذا ؟ فقالوا: الحوأب قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إني لهية قد سمعت رسول الله وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب .

2- عن أم المؤمنين أم سلمة في إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشهادة ابنه الحسين وانه يقتل على رأس ستين من هجرته صلى الله عليه وآله. (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ابن عساكر، ص270).

3 - عيون الحكم والمواعظ للواسطي، ص269.

هو يقول أنّه بحسب أبحاثي لا يوجد شيء اسمه «**محمد بن عبدالله**»، وإنّما هذه فكرة اخترعها العرب لكي يغزوا الأُمم الأخرى ويُوسِّعوا سُلطانهم، فاخترعُوا شيئاً اسمه قرآن، وشخصية اسمها محمد «صلى الله عليه وآله»، وادّعوا أنّ له غزوات وحروب ونحو ذلك. فهل يمكن لنا أن نستحقر عقولنا ونقبل بمثل هذه النظرية التافهة؟ هذا كله هراء، ولا يُمكن لمن يحترم عقله أنْ يجعله مُستودَعاً لمثل تلك التخرُّصات.

من الواضح أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم أخبروا ونُقِلت إخباراتهم بالتواتر، وقد تحدّثوا عن قضايا غيبية وقعت بعد سنين من ارتحالهم وبالدِّقَّة، وهذا بحد ذاته على الأقل كافٍ في تصديقهم، ناهيك عن معاجزهم التي وصلت إلينا بالتواتر أيضاً.

أمّا ذهاب بعضهم إلى حيث التعسف ومحاولته الرّبط بين سيرة النبي وبين أساطير الحضارات الأُخرى من خلال التّشابه، فنقول أنه قد يكون هنالك شيء من التشابه في بعض الوقائع ومن الممكن أن تكون هذه القضايا الخارقة للعادة قد تكرّرت بأمرِ الله تبارك وتعالى لِمصالح وحِكم مُعيَّنة. فإذا كان لدينا مِائة وأربعة وعشرون ألف نبي؛ فما المانع أن يتكرر بينهم وفي أقوامهم بعض من مثل تلك المعاجز؟

إنّه قد ورد في الأحاديث عن آل محمد عليهم السلام أنّه ما من مُعجزة للأنبياء السابقين إلّا ولنبيِّنا مثلها، وإنّ كثيراً من سُننِ الأقوام السابقة جرت في أمّة نبينا صلى الله عليه وآله.

ثمّ ما الذي يمنع أن تكون تلك القصص المعجزة وصلت إلى بعض الأقوام وهم أعادوا إنتاجها من جديد حسب أدبياتهم وحسب ثقافاتهم ونحو ذلك.

ويستفاد من بعض الأحاديث الشريفة المروية عندنا أنّ معاجز الأنبياء وحوادثهم تتكرر إلى حد كبير، فما من معجزة أعطيت لنبيٍ من الأنبياء إلا أعطي نبينا صلى الله عليه وآله أعظم منها أو مثلها[١].

---

1 - أقول: هنا سأقدم أمثلة تفصيلية لما سبق من نقاط أوجزها شيخنا الأستاذ. على سبيل المثال؛ فيما يسمى الكتاب المقدس عند التعرض لتفاصيل ما يُسمّى قيامة يسوع يصفون خروج بعض البشر من قبورهم ودخولهم المدينة وظهورهم لكثير من الناس.

جاء في سفر متى- 27: 45 – 56: «وانفتحت القبور، فقامت أجساد كثير من القديسين الراقدين. وبعد قيامة يسوع، خرجوا من القبور ودخلوا إلى المدينة المقدسة وظهروا لكثير من الناس» ذات الفكرة تجدها موظّفة بحبكة خاصة وصناعة مختلفة في أفلام الرعب «الزومبي»..

كذلك الحيوانات المجنّحة التي تمشي على أربع كما وصفها ما يُسمّى الكتاب المقدس.

فقد جاء في سفر اللاويين- 23:1: «لكنّ سائر دبيب الطير الذي لهُ أربعُ أرجل فهو مكروه لكم»

تلك الحيوانات المُجنّحة ستجد لها توظيفا في الحكايات والأعمال السينمائية التي تصوِّر حصانا مُجنّحا!

فلو ظهر أحدهم بعد قرن من الزمان وأتى للناس بمذهب ودين جديد وقد أخذ بعض تلك الأفكار عن أسفار النصارى فهل يصحُّ أن يُقال أنّه أخذها عن روايات وأساطير السينما في القرن الواحد والعشرين؟!

مجرد وجود تشابه في بعض التفاصيل لا يعني أن نعكس القضايا ونحوِّل المصدر الأصلي إلى مُنتحِل ونقلب الحقائق.

إنّ الأنبياء وُجُوداً وتأثيراً أسبق من جميع الحضارات فالصواب أن يُقال بأنّ الأنبياء السابقين تحدّثوا وأخبروا عن قصص وأحداث تتعلق بأنبياء يأتون في أزمنة متأخِّرة. وبعض الأمم التي عاشت قبل ظهور الأنبياء المتأخِّرين الذين أخبر الأنبياء السابقون بأحوالهم وقصصهم التي ستقع هم الذين أتوا وأخذوا بعض الأفكار المذكورة في تلك القصص وصاغوها بما يتناغم مع ثقافتهم بأسلوبهم وذوقهم.

وهذا لا نقوله كجوابٍ تبريري مصنوع من عند أنفسنا بل هو تفسير على صحته شواهد.

لقد أخبرنا القرآن الكريم أنّ النبي عيسى عليه السلام قد بشّر بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وأخبر باسمه وصفاته»

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (6)، سورة الصف.

لكنّ اليهود حرّفوا للتعمية على صفاته، ولهذا حينما أسلم أحد القساوسة وهو عبد الأحد داوود المسمّى سابقا «ديفيد بنجامين» قام بتأليف كتاب اسمه» محمد في الكتاب المقدس»

كمثال آخر لتقريب الصورة؛ نقول أنّ نبينا «صلى الله عليه وآله» بشّر برجلٍ من وُلدِه وهو الإمام الثاني عشر الحجَّة ابن الحسن المهدي «عليهما السلام». وذكر صفاته وتفاصيل عن حركته عند ظهوره وأخبر أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجورا. فلو افترضنا أنّه بعد قرون من ظهور ذلك المُخلِّص الموعود ومجئ حكومة إلهية جديدة راح أهلها يقصُّون على الناس ما وقع سابقا في زمان حكومة الإمام المهدي «عليه السلام» ويحدِّثون أهل زمانهم حول ما كان من العدل والرفاه والتقدم في زمن دولة الإمام المهدي «عليه السلام»، فجاءت فرقة من بينهم قد كفرت وأنكرت الإمام المهدي «صلوات الله عليه» وزمانه وقالت أنّ ما تذكرونه جميعه أساطير مذكورة في الكتب السابقة والقديمة جداً للمسلمين. فهل تكون دعوى تلك الفرقة مقبولة عند أهل التحقيق والإنصاف؟!

وعلى كل حال كما سبق وذكر الشيخ الأستاذ نقول أنه لا يوجد مانع عقلي أو شرعي من تكرر الحوادث ذاتها لحِكم مُتعددة كما أسلفنا.

ورد عندنا أنّ جميع المعاجز التي آتاها الله تعالى للأنبياء السابقين «عليهم وعلى نبينا وآله السلام* قد أُعطي نبينا الأقدس»صلى الله عليه وآله» مثلها أو أعظم منها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:»وما آية أعطاها الله موسى عليه السلام ولا غيره من الأنبياء إلا وقد أعطى الله محمدا مثلها أو أعظم منها. (بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٧ص٢٦٥).

هواجس حول موقعية حاجتنا لمعرفة الخالق:

المحـاور: حاجـة الإنسـان لمعرفـة خالقـه؛ لمـاذا هـي ضروريـة؟ ولمَ نحـن مُلزمـون بمعرفـة وجـود الخالـق؟

سماحة الشيخ الحبيب: عندنـا نحـن معـاشر البـشر هنالـك مبـدأ أخلاقـيٌ عقـليٌّ يقـول أنّ شـكر المُنعـم واجـبٌ في الجُملـة. لأنّـه إذا كان الإنعـام إنعامـاً عظيـماً فـلا بُـدّ مـن الشـكر للمانـح والمُنعِـم في هـذه الحالـة، وإلّا كان الامتنـاع عـن الشـكر أمـراً قبيحـاً عنـد العقـلاء.

إنّ الله عـز وجـل أنعـم علينـا بأعظـم نعمـة وهـي نعمـة الحيـاة، وشُـكر المُنعِـم بهـا هـو أمـر واجـب؛ هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى فنحـن وإنْ أعرضنـا عـن مسـألة الثـواب والعقـاب وأنّ عـدم الاكـتراث لمعرفـة الله عـزّ وجـل هـو عمـل يترتـب عليـه عقـاب، والاحتيـاط لأجـل دفـع العقـاب واجـب عقـلاً أيضـاً، وحتـى إنْ أعرضنـا عـن ضرورة الاعتقـاد بـالله عـز وجـل مـن الناحيـة العمليّـة باعتبـاره سـبيلاً إلى تقويـم سـلوكيّاتنا وأفعالنـا وحياتنـا بـما يجعلنـا نَسـعد ونَرشُـد ونتكامـل.

أقـول إن أعرضنـا عـن كل ذلـك؛ فـإنّ هنالـك أمـراً لعـل كُثـراً قـد غفلـوا عنـه، وعـن كونـه يُوجـب علينـا صِدقـاً أنْ نُفتِّـش عـن الإلـه وأن نبحـث عنـه، ذلـك الدافـع الـذي نقصـده ونعنيـه هـو في عبـارة مُوجـزة ((أنْ نعـرف قيمتنـا))

نحـن بوصفنـا كائنـات حيّـة عاقلـة لا تكـون لدينـا قيمـة نستشـعرها تجـاه ذواتنـا إذا جهلنـا خالقنـا، وإن لم نتوصـل إلى معرفـة الله عـزّ وجـل.

إنّ معنـى عـدم الحاجـة لمعرفـة الله عـز وجـل هـو أنّي آمنـتُ حينئـذ باعتقـادٍ آخـر يمحـو قيمتـي لأنـه يوصلنـي إلى أن أؤمـن بـأني أصبحـت مجـرّد خـردة في هذا

الكـون! أو أعتقـد بـما يقولـه الملحـدون مـن أنّنـا مجـرد طـور مـن أطـوار تشـكُّلِ المـادّة وتطوُّرهـا.

هاجس القيمة الاجتماعية لبعض الملاحدة

المحـاور: تقولـون أنّ الإنسـان لا قيمـة لـه حينـما لا يكـون معتقـداً بـالله، ولكننـا نـرى في الواقـع العمـلي أنّ هنـاك كثـيراً مـن العلـماء والأثريـاء الملاحـدة لهـم موقعهـم وقيمتهـم الإنسـانية في المجتمـع!

سـماحة الشـيخ الحبيـب: نعـم قـد يكـون الأمـر كذلـك، وقـد تـرى بعضهـم يتبرعـون للمنظـمات الإنسـانية ويتخلّقـون بأخـلاق جيـدة ومـا إلى ذلـك؛ غـير أنّـك تجـد أنّ هـؤلاء أنفسـهم مـن جهـة أخـرى يبيحـون قبائـح عظيمـة كالشـذوذ مثـلاً، ولا يـرون فيـه أمـراً منكـراً، والسـبب هـو عـدم وجـود الاعتقـاد الدينـي لديهـم إذ أنـه هـو الكفيـل بتقويـم الفكـر. لذلـك تجـد أنّ إباحـة الشـذوذ في واقعهـا -حسـب نظـر المتدينـين والمعتقديـن بالإلـه- هـي نـوعٌ مـن الانحطـاط في الممارسـات البشريـة، وانحـدار إلى مسـتوى البهيميّـة.

ومـا يثـير العجـب هـو أنّ بعـض العقـول الإلحاديـة في نظرتهـا للشـذوذ هـي عقـول معكوسـة بـل منكوسـة!

لقـد شـاهدتُ قبـل مُـدّة مناظـرة بـين عـالم أمريكـي ملحـد وآخـر مُسـلم. وقد طرقـا في النقـاش مسـألة الشـذوذ، فـكان ذلـك الأمريكـي يجيـب بـما مضمونـه «لِمَ أنتـم -أصحـاب الديانـات- تعارضـون الشـذوذ الجنسـي والحـال أنـه سـلوك ملحـوظ في مختلـف الكائنـات الحيـة بـما في ذلـك الحيوانـات مـن جنس«البهائـم» حيـث الشـذوذُ أمـر شـائع بـين أفرادهـا بنسـبةٍ -كـذا- في الدراسـات، ممّـا يكشـف عـن أنـه أمـر فطـري في الكائنـات الحيّـة لأنّنـا نحـن البـشر مـن قبيـل

تلك الكائنات البهيمية باعتبارنا متطوِّرين وفقاً للنظرية الداروينية، فلماذا نُحرِّم ذلك السلوك ولا نُبيحه؟!".

في الواقع أنا قد تملّكني العجب من هذا المنطق! فأنت بوصفك عالماً من المُفترضِ أن يكون المقياس الذي تزن به سلوك البشر وطبائعهم هو ذلك الذي يرقى لمستوى البشر، فالكائن الأرقى يُقايسُ بما هو أعلى منه لا بما هو أحطُّ منه كما فعل هذا الرجل حين قاس البشر بالبهائم التي هي أدنى من الجنس البشري!

الغرائز بين الإنسانية والبهيميّة

المحاور: أليست حالنا كحال البهائم التي هي أدنى منّا حيث أنّنا نشترك في عدد من الغرائز كالأكل والشرب والنوم؟

سماحة الشيخ الحبيب: الكلامُ هو في كون تلك الحيوانات البهيمية تختلف عنّا في تلك الغرائز من حيث ((المنحى))، فلا يصح أن نجعلها مقياساً لنا..

إنّ من تلك الحيوانات ما يأكل بعضه بعضاً كالقطة -مثلاً- فهي تأكل أولادها حينما تجوع. فهل نقول بما أنّ غريزة الأكل في الحيوانات البهيمية وعند بني البشر هي غريزة مُشتركة فلا معابة علينا نحن البشر في أكل أولادنا كما تفعل بعض الحيوانات كالقطط مثلاً؟! وعليهِ نسمح للأم إذا جاعت أن تطبخ ابنها وتلتهمه والعياذ بالله؟!

إنّ هذا النمط والمستوى من التحليل والتفكير هو انحطاط عن حد الإنسانية إلى البهيمية بمعنى الكلمة.

نحن معاشر البشر عندنا نزوع فطريٌّ نحو الرُّقي والتكامل، وعليه يُفترض أن نُهذِّب غرائزنا ونرتقي بها لا أن نقيس ذواتنا بالكائنات الأدنى،

فكما أنّ لدينا غريزة الأكل والشرب التي نلتزم فيها آداباً تخصُّنا نحن البشر، كذلك عندنا الغريزة الجنسية التي علينا أن لا ننحط في آدابها إلى مستوى البهائم التي تمارس الشذوذ ونُشَرِعن ممارسة ذلك الفعل القبيح مُتعلِّلِين بوجوده بين الحيوانات البهيمية!

يُفترض أن يكون الواحد من هؤلاء أكاديمياً متحضِّراً في إنسانيته، مُتألِّقا في رُقيِّه الإنساني البشري، ولكنّ المعادلة معكوسة، فبدلاً من أن يكون الطريق الأكاديمي موصِلاً إلى مزيد من الارتقاء والسمو؛ يصبح هو أقصر طريق إلى حيث المزيد من الانحطاط الإنساني، وعلّتُه ليست سوى الإلحاد. وعليهِ؛ ما دمت لا تعتقد بالإله عز وجل سيبقى هنالك خلل في منظومتك الفكرية وفي أدائك العقلي.

إنّ المجتمع الإنساني بأجمعه يحتاج إلى إعادة صياغةٍ لكافّةِ أخلاقياته وأفكاره وسلوكيّاته. فإنّ ما قد يبدو أخلاقيّاً لدى المجتمعات المتحضِّرة هو غير أخلاقيٍّ في حقيقته إذا تأمّلنا أكثر، وذلك يحتاج إلى مزيد من الإنضاج للمجتمع الإنساني.

على سبيل المثال؛ الانفلات الإباحي الموجود عند الغرب حالياً إذا ما قارنتهُ بالوضع في السبعينيات ستجد أنّه في السبعينيات كانت الإباحية أكثر هيمنة على المشهد الاجتماعي الغربي. بينما في هذه الأزمنة قد بدأوا بوضع قوانين تُقيّد ذلك الانفلات، فكثير من الممارسات الجنسية والإباحية بدأت تُحاصر ويُضيّقُ الخناق عليها في مجتمعات الغرب، وهناك حملات حكومية للتوعية تُعزِّز جانب العفة ويوجد اهتمام بتشجيع الزواج ونبذ الممارسات الجنسية خارج إطار الزوجية. وتوجد منظّمات تُعنى بالفتيات تحظى بدعم حكومي وتُصرف لها ميزانيات كبيرة كمنظّمة (عفيفات ونفتخر بذلك)، وما ذلك إلا لكونهم قد اكتشفوا أنّ ما كان في الستينيات والسبعينيات

المنصرمـة هـو عبـارة عـن انفـلاتٍ في القيـم الأخلاقيـة، وكان جشـعاً غريزيّـاً وشـهويّاً وحيوانيّـاً بهيميّـاً لا يليـق بالبـشر وإنسـانيّتهم.

والأمـر ذاتـه بالنسـبة للنظـام الرأسـمالي -بعـد الأزمـة الاقتصاديـة التـي ألمّـت بالعـالم في السـنين الأخـيرة- ، فقـد أدركـوا مـدى سـلبيّات الرأسـمالية العالميـة فبـدأوا بالمزاوجـة بـين نظـام الاقتصـاد الرأسـمالي ونظـام الاقتصـاد الاجتماعـي، الـذي هـو في واقـع الحـال نظـامٌ إسـلامي.

عـلى سـبيل المثـال؛ نجـد أنّ فرنسـا -التـي تُعتـبر مـن أكثـر الـدول الأوروبيـة حساسـية تجـاه الإسـلام- قـد بـدأت تعتمـد نموذجـاً اقتصاديـاً قريبـاً مـن النظـام الاقتصـادي في الشريعـة الإسـلامية، حيـث قـام مؤتمـر كبـير برعايـة الحكومـة الفرنسـية بتعميـم تجربـة نظـام الاقتصـاد الإسـلامي عـلى كل البنـوك الفرنسـية، ومـن ضمنهـا تلـك التـي لا تتعامـل بهـذا النظـام فقـد أوصتهـا الحكومـة الفرنسـية بـأن تعتمـده نظامـا لهـا، وذلـك بهـدف حمايـة الاقتصـاد الفرنـسي ليصبـح أكثـر متانـة ويجتـاز تلـك العقبـات.

إنّ جميـع مـا سـبق يدلنـا عـلى أنّ البـشر مهـما صالـوا وجالـوا فإنهـم في نهايـة المطـاف لا ملجـأ ومثـوى لهـم سـوى الخطـة التـي وضعهـا لهـم الخالـق المُوجِـد.. هـو وحـده القـادر عـلى أن يحفـظ هـذا الإنسـان ويُحقِّـق أهدافـه ويحمـي وجـوده وكرامتـه وقيمتـه، ويرسـم لـه طريـق الاتـزان الـذي يقـوده إلى حيـث النجـاح والتفـوق في الدنيـا والآخـرة. لـذا مهـما تطـور الإنسـان تكنولوجيـاً أو تقـدّم في حقـل العلـوم التجريبيـة أو في القيـم السـلوكية والأخلاقيـة التـي اسـتفادها مـن الاحتـكاك الإنسـاني وشـكّل منهـا "حقوق الإنسـان، وحقـوق الحيـوان، وغيرها" فإنّـه تبقـى في قـرارة كلِّ نفسٍ حاجـة مُلِحّـة للعـودة إلى الديـن والاعتقـاد بالإلـه المُوجِـد المُـشرِّع، وبغـير الاسـتجابة الكاملـة لتلـك الحاجـة سـتبقى ريـاح النقـص والعجـز والتخبـط تعصـف ببنـي البـشر في كلِّ اتّجـاه.

الحلقة الثالثة

هواجس حول علاقة الدين بالأخلاق

المحاور: ذكرتُم أنّ الاعتقاد بالله أو ما يستلزمه الاعتقاد به هو أن يكون الإنسان قويماً في سلوكه وأخلاقياته، ولكن هناك كثير من الملحدين يعترضون على ذلك.

يقول الملحد المعروف ريتشارد دوكينز:

«أقبح ما يوجد في الدين هو أن يجعل المتديِّن خلوقاً لأنه يخاف عقوبة الله»، «أنت تتعامل بطيبة لأنك تعتقد أنك مهدد أو لأنك تتأمّل أجراً في السماء»، «أنا أُكِنُّ أكبر الاحترام للإنسان الذي يكون خيِّراً لأنّه في قرارة نفسه يعلم بأنّ هذا هو الصحيح»[١].

فهل الإنسان بحاجة إلى الاعتقاد بالله عزّ وجل لكي يكون قويماً؟

ملاحظات على دوكينز:

سماحة الشيخ الحبيب: كملاحظة أوليّة أقول: «**ريتشارد دوكينز**»[٢] تابعتُه

---

1 - مقتبس من لقاء تلفزيوني معه على القناة السويسرية (SF) واسم البرنامج (Sternsnstunden).

2 - كلينتون ريتشارد دوكينز عالمُ سلوك حيوان، وعالم أحياء تطوري، وكاتب. دوكينز زميلٌ فخريٌّ للكلية الجديدة في أوكسفورد، وأستاذ الفهم العام للعلوم منذ 1995 حتى عام 2008. يحمل دوكينز زمالة الجمعية الملكية، وهو زميل الجمعية الملكية للأدب. عُرف دوكينز بكونه ملحداً ومنتقداً للخلقية والتصميم الذكيّ في كتابه صانع الساعات الأعمى (عام1986)، يحاجج دوكينز ضد تشبيه صانع الساعات، بأن تعقيد المتعضيات الحية دليل على وجود خالق خارق. يصف دوكينز العمليات التطورية بأنها «صانع ساعات أعمى» في التكاثر والتحوّر والاختيار، باعتبارها عمليات غير موجهة من أي

قبل سنوات، وملاحظتي عليه هي أنه رجلٌ مضطرب التفكير، وهذه سِمة فيه، وهذا الذي نقلتموه عنه هو من الأمثلة الواضحة على اضطرابه. دوكينز يخطئ في المنهجية العلمية التي ينبغي من خلالها محاكمة الأفكار، وكثيراً ما ينتقل من محاكمة الأفكار إلى محاكمة النّوايا وهذا ليس من العلم في شيء.

كما أنه كثيراً ما يخطئ في فهم الفكر الديني -في مقام المفاضلة والمقارنة انطلاقا من الفكر الإلحادي- وبالتالي يرتكب أخطاءً فاضحة ومُخجِلة، وهذا للعلم ليس بكلامي وحدي، بل يؤيده تقييم وكلام آخرين من أقرانه العلماء في الوسط الإلحادي كالبروفيسور «**مايكل روس**»[١]

هذا البروفيسور الأمريكي كان يُعلِّق على أحد كتب «ريتشارد دوكينز» فقال ما مضمونه: «**كتاب ريتشارد دوكينز جعلني أشعر بالخجل من كوني مُلحِداً**»[٢] .

الذي دفع بروفيسور «**روس**» لمثل ذلك القول هو أنّ انتقاد صاحبهم «**دوكينز**» للفكر الديني كان انتقاداً خاطئاً، إذْ أنّه لم يستوعب الفكر الديني جيداً، كما أنّ دفاعه عن فكرة الإلحاد كان دفاعاً قاصراً.

الملاحظة الثانية: أنّ **دوكينز** مغالٍ في الإلحاد إلى حد أنّه صار مقدِّساً للمنهج والفكر الإلحادي، ونستطيع أن نقول عنه أنّه صار متدِيِّناً بالإلحاد،

مُصمّم. يدّعي دوكينز في كتابه وهم الإله (عام 2006) أن فكرة الخالق الخارق لا وجود لها وأن الإيمان الديني وهم. كما أن دوكينز يعارض تدريس الخلقية في المدارس كما أن له ظهوراً منتظماً على التلفاز والراديو والإنترنت، حيث يناقش خلالها كتبه، وإلحاده، وآرائه وأفكاره كمثقف عام.

1 - مايكل روس (بالإنكليزية:Michael Ruse)(من مواليد 21 يونيو 1940 في برمنغهام، انكلترا) هو فيلسوف علمي متخصص في فلسفة البيولوجيا وهو معروف جيداً لاعماله المتخصصة ق العلاقة بين العلم والدين، والجدل خلقي التطوري ومشكلة ترسيم الحدود في مجال العلوم. يدرس حاليا في جامعة ولاية فلوريدا. ولد في إنجلترا، أخذ درجته الجامعية في جامعة بريستول (1962)، ودرجة الماجستير في جامعة ماكماستر في هاملتون بأونتاريو (1964)، والدكتوراه في جامعة بريستول (1970).

2 - ذكر ذلك في مقابلة تلفزيونية تجدها عبر هذا الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=XSxZLBxrnPc .

ولذلـك تجـد كثـيراً مـن أشـكال التجنِّـي والافتعـالات والمبالغـات الفجّـة عنـد انتقـاده للفكـر الدينـي تصـدر منـه.

مناقشة ما ورد من أقوال لدوكينز:

هـذا الـذي ذكرتمـوه في سـؤالكم مـن كلام لدوكينـز هـو مثـال واضـح يدلنـا عـلى مـا سبق وأشرنـا إليـه حـول سـلبيات دوكينـز مـن أخطـاءٍ منهجيـة واضطـراب فكـري وقصـور معـرفي.

إنّ أقوالـه تلـك ليسـت سـوى مغالطـة منطقيـة وعلميـة في الواقـع، لأنّـه لا يمكـن فصـل أفـكار الإنسـان عـن مُحيطِـه، فـكل مـا لـدى الإنسـان مـن أفـكار ومتبنّيـات هـي وليـدة وحصيلـة الاحتـكاك بهـذا المحيـط، وليسـت وليـدة الذات، ولا يوجـد فكـر إنسـاني هـو وليـد الـذات محضـا، لأنـه أمـر مسـتحيل.

فهـذا الإنسـان الـذي صـار خـيِّراً -وإنْ قلنـا أنّـه بـاقٍ عـلى الإلحـاد- إنّـما صـار خـيِّراً ويعتقـد بهـذه الأخـلاق الحسـنة كالأمانـة والصـدق، وتولّـدت لديـه هـذه الأفـكار والقيـم الإنسـانية الرفيعـة بسـبب المعايشـة والاختـلاط مـع المحيـط البـشري والتجربـة الإنسـانية، وإنّ جـزء وعنـصرا أساسـيّا مـن عنـاصر هـذا الاختـلاط هـو مبـدأ الثـواب والعقـاب عـلى مستوى العـالم الدنيـوي والمجتمـع الـذي يعيـش فيـه الفـرد.

فعـلى سـبيل المثـال؛ إنّ هـذا الإنسـان لا يعتـدي عـلى الآخـر، لأنـه يعلـم مـن واقـع التجربـة الإنسـانية أنّ اعتـداءه عـلى الآخريـن يُلازمـه الـردّ مـن الآخريـن باعتـداء مثلـه، وخـوف الإنسـان مـن أن يُعتـدى عليـه هـو في الحقيقـة نـوعُ خـوفٍ مـن العقـاب. وهـذا الخـوف مـن شـأنه تهذيـب الجـوارح وردعهـا عـن العـدوان وبالتـالي تأصيـل استبشـاع البغـي والعـدوان في الـذات الإنسـانية.

كذلك حينما يهتم الإنسان بأن يكون صادقاً مثلاً؛ فإنه في واقعه وحقيقته يستبطِنُ حبّه لأنْ يحترمه المجتمع ويراه شخصية نبيلة وجديرة بالاحترام، فهو يعلم أنّه إنْ تعمّد كثرة الكذب فإنه سيفقد الثقة به، وبالتالي سيُفسِد ويُغلق أمامه كثيراً من الفرص في مجالات الحياة.

هواجس حول مبدأ الثواب والعقاب:

المحاور: ولكن؛ «دوكينز» يقول أنا ألتزم بأخلاقي لأني أؤمن بأنّ هذه الأخلاقيات هي أمور جيدة ومُستحسنة في ذاتها، وأنا لا أمتنعُ عن الاعتداء على الآخر خوفا من الاعتداء علي بالمثل..

وعليهِ؛ أليست هذه مغالطةً منكم؟

سماحة الشيخ الحبيب: أولاً كما قلنا سابقا، ما الذي ولّد هذه الفكرة؟ علينا أن لا نُجرِّد هذه الفكرة من المحيط والمجتمع الذي خُلقت ونشأت فيه وهو مُجتمع الثواب والعقاب.

نحن نقول أنّ هذا المحيط الإنساني فيه نسبة ثواب وعقاب، ولا يمكن أن نعزل هذه الأفكار كُلِّيَّةً عن الثواب والعقاب، والحال أنها وليدة هذا الاحتكاك ومن مُفرزات هذا المحيط الإنساني الذي نجد أنّ جزء أساسيّا في منظومته مبدأ الثواب والعقاب على مستوى الحياة الدنيا، مع قطع النظر عن أنّه بعد أنْ يبلغ الإنسان مرحلة الإيمان بهذه القيم والأخلاق؛ هل أنه آمن بها وصارت جزءً أساسياً من ذاته وتخلّق بها بحيث أنه حتى لو أُتيحت له الفرصة ليقتل أو يسرق فإنه لا يفعل ذلك وهو قادر أم لا؟

نحن نقول أنّ أساس تكوُّن هذه الفكرة هو هذا المجتمع وهذه الحياة التي لا ينفصلُ الثواب والعقاب عن مسرح أحداثها.

كذلـك الأمـر بالنسـبة للمتديِّـن، فأفـكاره ومـا يؤمـن بـه مـن قيـم وأخـلاق هـي وليـدة احتـكاكٍ بالمجتمـع الإنسـاني، وجـزءٌ منهـا نتيجـة ارتباطـه بالديـن الـذي يُوفِّـر ذات الدواعـي المُعـزِّزة لتلـك القيـم ومـن ذلـك مبـدأ الثـواب والعقـاب. فـإذاً نخلِـص إلى أنّ كلا مـن الطرفيـن المؤمـن والملحـد متسـاويان مـن تلـك الجهـة في الواقـع.

وهنـا نحـن نتحـدث بلغـةٍ منطقيـة -بغـضِّ النظـر عـما وراء ذلـك- أمّا هـل أنّ المتديـن سـيُقدِم عـلى الظلـم أو الكـذب والاعتـداء إذا كان مقتـدِراً أم لا؛ إذا ظـنّ أنّـه مـا مـن عقـاب؛ فتلـك مرحلـة ثانيـة تعتمـد عـلى مـدى إيـمان وأخـلاق هـذا الشـخص -سـواء كان متديِّنـاً أو ملحـداً- واستشـعاره بـأن هـذه قيـم ضروريـة وأساسـية في حيـاة الإنسـان.

فالمتديـن انبعثـت لديـه هـذه الفكـرة الأخلاقيّـة وتكوّنـت مـن الإحسـاس بالثـواب والعقـاب الدينـي، فالديـن يقـول لـه إذا كذبـت أو اعتديـت فـإنّ عليـك عقابـاً، وذاك الملحـد نشـأت لديـه الفكـرة مـن الإدراك والمعايشـة للعقـاب الدنيـوي.

لمزيـدٍ مـن الإيضـاح نقـول عـلى سـبيل المثـال؛ المجتمـع الغـربي -المجتمـع الملحـد في مُجمَلِـه- قسـمٌ منـه لا يكـذب لأنّـه تخلّـق وتعلّـم مـن خـلال تربيتـه في المـدارس عـلى أن لا يكـذب، لأنّـه جـرّب أنـه إنْ كـذب فإنـه سـيُفتَضَح، وبالتـالي سـيتعرض إلى العقـاب. فهـو لا يكـذب كـما يفعـل آخـرون في الأوراق الرسـمية أو الضرائـب أو الفواتـير، لأنـه يستشـعر أنّ وراء ذلـك عقابـاً. فهـل نُجـرِّد الإنسـان في هـذه الحالـة مـن الاتصـاف بالأخـلاق فنقـول أنـه ليـس أهـلاً للاحـترام لأنـه يخشـى العقـاب الحكومـي في حـال كـذب؟!

هـذا كلام ومنطـق أخـرق! حيـث يُجـاب عليـه بأنّـه لا ينبغـي النظـر في منشـأ انبعـاث الفكـرة، وإنـما يُنظـر في أنّـه هـل تخلَّـق وآمـن بهـا ذلـك الفـرد أم لا؟

إذا أردت أن تعزل الناس عن أي شعور بالمسؤولية تجاه الثواب والعقاب في قضية الالتزام بالأخلاق؛ فهذا أمر مستحيل، لأنه لا يوجد كائن في الدنيا هكذا، إذْ الأفكار والسلوكيات وليدةُ هذا الاحتكاك البشري وإفرازٌ لهذا المجتمع الإنساني الذي يتعاطى منهج الثواب والعقاب على نحو فطري تلقائي.

قد تجد شخصاً ملحداً انبعثت هذه الأفكار في نفسه -كعدم الاعتداء على الغير وأنها قيمة مهمة لديه-، فأصبحت هذه القيمة مُرتكزة في نفسه وجزءً من شخصيته، بحيث لو أتيحت له القدرةُ على العدوان وأَمِنَ العقاب فإنّه لا يعتدي على الآخرين، وهناك العكس!

وقد تجد شخصاً ملحداً متخلِّقاً بالأخلاق الفاضلة لأنه يريد أن يكوِّن صورةً حسنةً عن نفسه في المجتمع لتحقيق مكاسب دنيوية، بالإضافة إلى كونه يخاف نسبةً من الثواب والعقاب، لكنه ما إنْ يصبح قادرا على التجرد عن تلك الأخلاق في حال أَمِن العقاب ولم يكُن نبذُ تلك الأخلاق معرقلا لطموحاته، فإنه يرمي كل القيم والأخلاق وراء ظهره، وهذه النماذج موجودة ومعروفة.

كم من شخصية كانت تُعد في مقاييس المجتمع الغربي شخصيات فاضلة، لكنها حينما صارت مقتدرة وبيدها مقاليد السلطة فإنها قد سقطت وتهاوت! وأحد هؤلاء «**فلاديمير لينين**»[1].

1 - فلاديمير أليتش أوليانوف المعروف بلينين، ولد في 22 أبريل عام 1870 وتوفي في 21 يناير عام 1924. كان ثوري روسي ماركسي وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية، كما أسس المذهب اللينيني السياسي رافعاً شعاره الأرض والخبز والسلام.

روادع الشر بين التدين والإلحاد:

المحـاور: «**ريتشـارد دوكينـز**» يقـول أنّ «**التطـرف في ذات الإنسـانية لا يـزال موجـوداً وسـيبقى موجـوداً حتـى وإن تَـرك أحدهـم الديـن وصـار ملحـداً.. فهنـاك متطرفـون قوميـون، ومتطرفـون عنصريـون لطائفـة معينـة**»[1] .

أمّـا «**فلاديمـير لينـين**» ومـا قـام بـه مـن جرائـم لم يُقـدِم عليهـا لكـونِ الفكـر الإلحـادي يقـوم عـلى هـذا الأسـاس، بـل كانـت أفعالـه تلـك بدافـعٍ مـن فكـرٍ شـخصي لديـه، وفي سـبيل السـيطرة.

سماحة الشـيخ الحبيـب: بحسـب كلام «**دوكينـز**» نقـول أنّنـا بالنتيجـة يُفـترض أن نكـون متسـاوين إذن! والاعـتراض والإشـكال عـلى «**ريتشـارد دوكنـز**» يتمثّـل في أنـه لمـاذا يريـد هـو أن يجـرّد الإنسـان المتديّـن والمتخلِّـق بالأخـلاق الفاضلـة من قيمتـه التـي يسـتحقِّ عليهـا الاحـترام بدعـوى أنـه تخلّـق بهـذه الأخـلاق نتيجـة خوفـه مـن ثـوابٍ أو عقـاب؟!

نحـن لسـنا متسـاوين فحسـب؛ بـل نحـن المؤمنـون لنـا الأفضليـة عـلى غيرنـا، لأن الإنسـان غـير المتديـن -أي الملحـد- نسـبةُ وجهـةُ خوفـه مـن الثـواب والعقـاب لا تتجـاوز حـدود الدنيـا. فـإذا وجـد أنّ بإمكانـه الفـرار مـن جريمتـه مـن غـير أن يُكتشـف ويُفتضـح فإنـه يمكـن أن يرتكـب الجـرم، بينـما المتديِّـن لا يسـتطيع أن يفعـل ذلـك لأنـه يعتقـد أنّ الله تعـالى يراقـب كل شيء وأنـه لا يمكنـه الفـرار مـن عقوبـة الخالـق تعـالى، فإنّـه إنْ لم ينَـل عقابـه المُسـتحقّ في الدنيا فسيناله في الآخـرة.

---

1 - مقتبس من لقاء تلفزيوني معه على القناة السويسرية (SF) واسم البرنامج (Sternsnstunden).

الجريمة بِاسم التدين:

المحـاور: المشـكلة تكمـن في أنّ المتديـن ظنـاً منـه أنـه يقـوم بالأفضـل والأصلـح فإنّـه يقتـل الآخـر لأنـه لا يعتقـد بدينـه. وهـو يظـن أنـه حينـما يقتـل هـذا الآخـر سـوف يكـون مصيره إلى الجنـة. بينـما «ريتشـارد دوكينز» يقـول أنّ الملحـد لا يقـوم بمثـل هـذا الفعـل.

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا كلام واضـحُ البطـلان لأنّنـا إنْ قلنـا أنّ الـذي نتحـدث عنـه هـو الديـن الحـق؛ فإنّـه يحـرّم الاعتـداء عـلى الآخـر، ولا يرتـضي قتـل الآخـر بـلا جـرم بهـدف دخـول الجنـة!

إسلام الشيعة الرافضة:

المحاور: ماذا تقصد بدين الحق؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: أي إسـلام الشـيعة، إسـلام الرفـض للباطـل الـذي نعتقـد بـه. إنـه إسـلامنا نحـن الشـيعة الرافضـة.

الجريمة بدعوى الإصلاح عند الملاحدة:

المحـاور: مـاذا عـن بقيـة الأديـان؛ هـل تلغيهـا؟ ومـا قولكـم في تنزيـه الملاحـدة أنفسـهم عـن ارتـكاب الجريمـة باسـم الإصـلاح؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: نعـم، سـائر الأديـان الأخـرى هـي أديـان باطلـة. ولسـتُ ألغيهـا بمعنـى أني أمنـع أتباعهـا مـن ممارسـة تعاليـم هـذه الأديـان وشـعائرها، وإنـما ألغيهـا مـن دائـرة الاعتبـار والاحـترام الدينـي والاعـتراف الإيـماني. ولسـتُ مُلزمـاً هنـا بالدفـاع عـن بقيـة الأديـان أو مُحاباتهـا.

وأمّا أصل المسألة فهو هذا:

من ذا يقول أنّ الملحد لا يُقدِم على جريمة قتل الآخرين بدافع استشعاره الصلاح في ذلك؟!

إنّ كبار طغاة البشريّة عبر التاريخ كانوا مُلحدين.

على سبيل المثال؛ «**جوزيف ستالين**»[١] قتل حوالي أربعين مليوناً من الشعب السوفيتي في سبيل تطبيق النظرية الاقتصادية في الزراعة، وإلغاء المُلكيّة الفردية. وكان يرى حينها أنه يُطبّق ويُنفّذ ما فيه خير البشرية!

الأمر ذاته بالنسبة للنازي «**أدولف هتلر**»[٢]؛ الذي لم يكن متدينا.

ستجده في كتابه «**كفاحي**» يقول أنّه يستشعر في نفسه أنه مُلهَم من الله، وأنّه يقوم بدورٍ عظيم، وأنّ الله هو الذي هيأه للنهوض بهذا الدور!

فإنْ قلت أنّ هؤلاء مجرمون، وقاموا بجرائم شنعاء لأنهم لم يلتزِموا بالفكر الإلحادي -النظيف- ومبادئه؛ قيل لك نفس الكلام نجيب به بالنسبة للمتدينين.

---

1 - جوزيف فيساريونوفيتش ستالين (الكنية الأصلية: جوغاشفيلي) (18 ديسمبر 1878 - 5 مارس 1953) كان القائد الثاني للاتحاد السوفييتي، فحكم من منتصف عشرينيات القرن العشرين حتى وفاته عام 1953 وهو من إثنية جورجية، وشغل منصب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي من 1922 حتى 1952، ومنصب رئيس مجلس الدولة من 1941 حتى 1953. ترأس في بادئ الأمر حكومة جماعية قائمة على نظام الحزب الواحد وأصبح بحلول ثلاثينيات القرن العشرين دكتاتوراً بحكم الأمر الواقع. يتبع ستالين أيديولوجياً للتفسير اللينيني. وأسهم ستالين في وضع أفكار الماركسية اللينينية ويُطلق على مجموع السياسات التي انتهجها «الستالينية»، عُرف بسلطويته وقسوته إلى درجة أنه أطلقت عليه ألقاب مثل «الرجل الحديدي»، حيث أدت سياساته الاستبدادية إلى قتل الملايين من مواطنيه، وفي المقابل قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى التي نافست الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة والتي انتهت بفوز الأمريكيين وإلى انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991.

2 - أدولف هتلر (20 أبريل 1889 - 30 أبريل 1945) سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم ومؤسس حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف باسم الحزب النازي. حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933 و1945 حيث شغل منصب مستشار الدولة في الفترة ما بين عامي 1933 و1945، والفوهرر في الفترة ما بين عامي 1934 و1945 واختارته مجلة تايم واحدًا من بين مائة شخصية تركت أكبر أثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين، يعتبر هتلر واحد من أكثر الشخصيات دموية في التاريخ الحديث؛ حيث تسببت سياساته في قتل ملايين المدنيين والعسكريين، خلال الحرب العالمية الثانية.

فحينما يخرج إرهابي يدّعي الإسلام مثلاً، فإنّا نقول أنّ الإسلام نظيف من أدران ذلك الإرهابي، ولا شأن له بهذا الإرهابي القذر الذي استغلّ اسم الإسلام وقام بجرائمَ باسم الدين.

لذلك أعود فأقول أنّ «ريتشارد دوكينز» لديه خلل في الفهم والتفكيك، وأخطاء في التحليل، وقدرته على الاستنتاج ضعيفة وتفتقد الدقة. ولك أن تلاحظ انتقادات العلماء الملحدين أنفسهم على كتاباته وآرائه، فهم يرون أنّ فيها اضطراباً كبيراً.

نحن نقول أنّ الملحد قد يصل إلى مرحلة لا يهتم فيها بثوابٍ أو عقاب في سلوكه الإنساني والأخلاقي، وكذلك يمكن للمتدين أن يصل إلى هذه المرحلة فيعبد الله تعالى أي يطيعه ويمتثل لأوامره بعيداً عن رغبةٍ في ثواب أو رهبةٍ من عقاب، وهذا موجود عندنا في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.. ولهذا قد خطّ لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام منهج عبادة الأحرار ويختصره إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما وآلهما السلام في قوله: **(ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)**[1] هذه هي القيمة الحقيقية للحرية في الإسلام، وهكذا تكون عبادة الأحرار، وهي القمة والذروة في سُلّم الإيمان والطاعة للخالق جلّ وعلا.

المشكلة هي أنّ هذا الرجل لم يستوعب الفكر الديني جيداً، وأخصُّ بالذكر فكر المتدينين الشيعة، ولم يطَّلِع على تراث أهل البيت عليهم السلام لكي يقرأ تلك المناجاة العلوية الشريفة التي يمثِّل مضمونها سموّاً لا يضاهيه سموٌّ في أيِّ دينٍ أو معتقد فكريٍّ آخر.

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج67 ص186.

هواجس حول فلسفة الأعمال العبادية عند المؤمنين

المحاور: هناك تهمة من قِبل الملحدين مفادها أنّ المتديِّن يذهب إلى حيث دار العبادة لشعوره بعذاب الضمير من ذنوبه التي ارتكبها، فيعبد الله لأنّه يخشى من تبعات ذنوبه التي اكتسبها. ولكونه مجرماً فإنّه يؤدي هذه العبادات لكي يحمي نفسه من العقاب، ويبعد عن نفسه الشعور بتأنيب الضمير.

سماحة الشيخ الحبيب: فليكن ذلك؛ فهذا الذي يصفونه أمرٌ لا يجرِّد المتدين من كونه حقيقا بالاحترام من قبل الآخرين. فتأنيب الضمير لدى الإنسان هو أمرٌ جيد محمود وحالة إيجابية مطلوبة. إنّ الإنسان دائماً ما يحاسب نفسه ويراجعها، فحتى الملاحدة يفعلون ذلك، خاصةً إذا ما تقدّم بهم العمر حيث تجدهم يكتبون مذكراتهم ويبوحون بأسرارهم ويقرُّون بما ارتكبوه من أخطاء، بل إنّ بعضهم يلعن نفسه تندُّما على ما ارتكبه من أخطاء في شبابه.

فما الذي يجعلنا نزدري المتدين ونتستهجنه لأنه يحاسب نفسه بهذه الطريقة حيثُ يذهب إلى محل العبادة لشعوره بتأنيب الضمير، وهناك يرجو الغفران من الله تعالى. إن هذا سلوك إيجابيٌّ يصبُّ في صالح الاتزان في المجتمع البشري.

أمّا الملحد فإنه حينما يرتكب خطيئةً ويريد أن يكفِّر عنها ولو بعد عشرين سنة فإنه إمّا أن يطلب الغفران ممّن أذنب بحقه، وإمّا أن يبوح بذلك الخطأ عبر وسائل الإعلام. فالمفارقة هنا هي في الأسلوب والطريقة وأمّا الباعث فهو ذاته عند الملحد والمؤمن.

آليَّةُ الإقرار بالذنب بين المؤمن والملحد:

المحـاور: إنّ الملحـد يعـترف بخطئـهِ في العلـن أمـام الآخريـن، بينـما المتديـن لا يفعـل ذلـك، فهـو يتوجـه إلى محـل العبـادة ويعـترف أمـام الراهب -مثـلاً- ولا يعتـذر ممّـن أخطـأ بحقـه!

سماحة الشـيخ الحبيب: المتديـن إذا كان ملتزمـاً بتعاليـم الديـن، فـإن الديـن يُوجـب عليـه أن يسـتبرئ الذِّمّـة ممّـن أخطـأ بحقـه، وهـذا حكـم دينـيٌّ أصيـل عندنـا، فكيـف يُقـال أنّ المتديـن لا يعتـذر ممّـن أخطـأ بحقهـم؟

إنـما يعتـذر لله تعـالى سرّا عـلى الذنـوب التـي عملهـا سرّا فيـما يتصـل بحقوق الله تعـالى. أمّـا الأخطـاء التـي يرتكبهـا المؤمـن تجـاه العبـاد فيطلـب العفـو والصفـح عنهـا ممـن أخطـأ بحقهـم، وأيضـاً تلـك المعـاصي التـي جاهـر بهـا سـواء تعلقـت بـالله تعـالى أو النـاس فعليـه الاعتـذار عنهـا والتوبـة في العلانيـة.

في تُحـف العقـول مـن وصيّـة نبينـا صـلى الله عليـه وآلـه لمعـاذ بـن جبـل لمـا بعثـه إلى اليمـن: «**وأحـدِثْ لـكلِّ ذنـبٍ توبـةً، الـسِّرُّ بالـسِّرِّ والعلانيـة بالعلانيـة**»[١]

أيـن مـا ذهبـت واتّجهـت فإنّـك تجـد الفضـل للدِّيـن وللمتديِّـن، وأنّ السـلامة النفسـية والحصانـة الاجتماعيـة والروعـة الأخلاقيـة والبهـاء الإنسـاني جميعهـا إنـما تكمـن في الديـن وأهلـه، بخـلاف الإلحـاد الـذي مـا زال ناقصـاً وعاجـزاً عـن تغطيـة كثـير مـن المُثُـل الأخلاقيـة والكـمالات الإنسـانية بشـكل رهيـب.

الهدف الجوهري للمؤمنين:

المحـاور: مـا هـو هدفكـم كمُتديِّنـين مـن اعتقادكـم بالخالـق؟ هـل ذلـك الإيـمان هـو في سـبيل زجْـرِ أنفسـكم وتخويفهـا مـن اقـتراف الذنـوب ومنعهـا

1 - بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٤ - الصفحة: ١٢٧.

من ارتكاب المعاصي؟ أو بهدفِ أن تجعلوا لأنفسكم ثواباً لقاءَ أعمالكم الخيِّرة؟ ما الهدف من هذا الاعتقاد بكامله؟

سماحة الشيخ الحبيب: هذا السؤال يُوجّه إلى كلِّ مُتديِّنٍ على حدى، أما أنا فأُجيبك على ما تقدّم من سؤال بأنّي أشعر بقيمتي كإنسان حر حين أعبد الله تبارك وتعالى وأبحث في صفاته وآلائه وآثاره، فهكذا أحترم وجودي وإنسانيتي وأرى نفسي حُرّاً. ولربما تسأل آخرَ فيجيبك أنّه آمن بالله تعالى طمعاً في الجنة، فالمتدينون يتفاوتون في مستوياتهم ومداركهم وطموحاتهم وأهدافهم الإيمانيّة. والأمر ذاته بالنسبة للملحدين.

لِمَ لا يجعل الإلهُ جميع خلقه أخيارا؟

المحاور: لماذا لم يخلق الله «عزّ وجلّ» جميع البشر أخيارا صُلحاء عادلين مستقيمين لكي يعيش البشر بسلام بعيداً عن المشاكل والنزاعات، وما اللُّطفُ في العلّة التي تسمونها دائماً بالامتحان والاختبار مع احتمال فشل هذا الإنسان في هذا الامتحان ودخوله النار؟ أليس الله بمحبٍّ لعبيده؟ فلماذا لا يجعلهم جميعا أصحاب سلوكٍ حسنٍ قويمٍ ويُدخلهم الجنة؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ معنى هذا الكلام هو أنّنا نريد من الله عز وجل أن يُجرِّدنا من أهم قيمة لدينا وهي قيمة الاختيار!

فلكي يقع ما تقولونه فإنّه لا بُدّ أن يسلب الله عزّ وجلّ من خلقه الاختيار، وحيث أنّه تعالى أعطاهم الاختيار فهذا التمايز الذي نراه بين البشر في سلوكهم وتوجهاتهم هو الحصيلة وهو الواقع المحسوس. نحن الآن نملك الاختيار ولسنا بمقهورين أو مُسيَّرين. لذا فإنّ قِسماً منّا صاروا أشراراً بسبب اختيارهم للشّر..

لو رجع بنا الزمن إلى الوراء فقُلنا يا ربّنا لماذا لم تجعلنا جميعا خيِّرين؟ لكان معنى سؤالنا إذن أن نطلب من الله أن يجعلنا مجبورين ومقهورين، وهذا سلبٌ لحريتنا في الاختيار، وحينئذٍ سنعود مرة أخرى للاعتراض على الله عزّ وجل فنقول أنك قد أجبرتنا وقهرتنا فجعلتنا أشبه بمجرّد آلات مُبرمجة على نظام محدّد، وما أعطيتنا قيمتنا الذاتيّة وحرِّيَّتنا في الاختيار، فنحن كنّا مجرد ممثلين على مسرح نؤدي دورنا كما هو مخطّطٌ له من قِبل المخرج وحسب.

ماذا عن القوانين الإلهية الإلزاميّة؟

المحاور: ولكن.. أليس هناك قوانين مُلزِمة يفرضها الخالق من أجل المصلحة العامة؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ الله عزّ وجلّ قد شرّع القوانين التي تُلزِمُنا، ولكن هناك من يخترق القوانين، فكما ترى حتى القوانين الوضعية يخترقها ويخالفها قسمٌ من الناس.

على سبيل المثال؛ قوانين المرور تقول: لا تجتز الإشارة الحمراء. غير أنّ هناك من يجتازها ويتسبب بحوادث مأساويّة وضحايا، فهل هناك إثمٌ على الحكومة؟! وهل نلومها فنقول لِمَ لا تقهر السلطات الحكومية هذا الإنسان وتُجبره على أن يختار عدم تجاوز الإشارة المرورية؟!

بحسب الأبحاث العلمية في الفترة الأخيرة فإنّ الباحثين قد توصّلوا إلى إمكانية غرز بعض الرقائق الإلكترونية في الدماغ بحيث تخلق أفكاراً معينة في الإنسان، وقد وقع جدل كبير حول السماح أو عدم السماح بهكذا إجراء، ومن جُملة ما قالوه أنّا إذا سمحنا بذلك فلن نستطيع التفريق بين الإنسان والآلة، حيث سيكون كلُّ إنسان مكوّن من جزء إنساني وآخر إلكتروني.

وبعدئـذ لا يعـود التفريـق ممكنـاً بـين أفـكار الإنسـان، وبـين أفـكار الرقائـق الإلكترونيـة! وعندهـا تتحـول حياتنـا إلى آلات في آلات وتنعـدم البشريـة.

فهـل يُمكِننـا مطالبـة الحكومـات بإصـدار قانـون -مـن أجـل الصالـح العـام- يقـضي بغـرز تلـك الرقائـق في كل مولـود لكـي لا يتمكـن مـن اجتيـاز الإشـارة الحمـراء ومـا إلى ذلـك، وإلا فإنّنـا ننسـب إلى تلـك الحكومـات التقصـير؟!

في الواقـع لا يمكـن أن نخاطـب الحكومـات بمثـل هـذا الـكلام؛ لأنّ معنـاه المطالبـة بسـلب اختيـار بني الإنسـان وتحويلهـم إلى آلات، وحينئـذ يُعـتَرضُ عـلى الحكومـات بأنهـا سـلبت أهـم قيمـة لـدى الإنسـان وهـي الحريّـة[1].

إنّ اللهّ عـزّ وجـلّ أنـزل القوانـين والإلزامـات وسـنّها، ولكنـه جعـل لـك الخيـار في أن تلتـزم بهـذه القوانـين أو لا تلتـزم، فـإن لم تلتـزم سـيكون عليـك مواجهـة العقـاب. كـما هـو الأمـر في حـال عـدم التزامـك بقوانـين إشـارة المـرور، وهـذا هـو العـدل.

أمّـا أنْ نُطالـب اللهّ عـزّ وجـلّ بسـلبنا القـدرة عـلى الاختيـار، وجعـل الإنسـان مجبـوراً ومقهـوراً فهـذا خِـلاف العـدل والحكمـة[2].

---

1 - نضيفُ تفصيلاً على ما تفضّل به الشيخ الأستاذ فنقول أنّ المطالبة بزرع تلك الرقائق في الدماغ البشري لمثل تلك الأغراض لن تحوِّل البشر إلى آلة فحسب بل من الممكن أن يكون آلة مُختَرَقة قد سُلبت الخصوصية حيث حذّر العلماء كما في الجمعية الملكيّة من أنّ تلك الرقائق الإلكترونية يُمكن اختراقها وقراءة أفكار الأشخاص من خلالها. وهذا من الوارد أن يتمّ استغلاله في تتبُّع أفكار الأفراد، وإرسالها إلى الحكومات أو الشركات في انتهاك صارخ لحقوق الإنسان.

2 - نقول تعقيباً على ما تفضّل به شيخنا الأستاذ: لن يكون هناك معنى لوجود إشارة مرور أصلاً إذا كُنّا مُبرمجين قهرا على عدم تجاوزها فجعلُها لا يكون إلا مضيعة للوقت وعبثا، إذ حينها سنطالب الحكومات ببرمجة كل شيء حولنا فنطالب ببرمجة السيارات نفسها على التوقف التلقائي بالطيران مثلاً تفادياً للحوادث، ثمّ لا تنتهي سلسلة مطالبنا بالمثاليّات الجبريّة المُبرمجة في كل شيء حولنا، وحينها لا يعود عالمنا هو العالم البشري.

الله خلق جنسا اسمه (البشر) له طبيعة تختلف عن الملائكة مثلاً وبحسب الطبائع المركبة فيه فإنّ هذا البشر لا يرضى لنفسه إلا أن يكون مُختاراً لا مُجبرا..

المطالبة بأن نكون مُجبرين وفاقدين للاختيار هي مطالبة بأن نكون جنسا آخر مختلفا عن الجنس البشري.

البشر يتنافسون في التفاضُل وسلبهم الاختيار يُفقِدُهم لذّة الشعور بالتفوق والتفاضل، حيث أنّ إجبارهم على اختيار الخير والصلاح يجعلهم جميعا في مرتبة واحدة ولا فضل لأحدهم على الآخر. وللأفضليّة والتميُّز لذّةٌ فائقة عند بني البشر وهذه بحد ذاتها نعمة عظيمة لا يرتضي البشر سلبهم إيّاها والله تعالى بفضله وكرمه وعدله لم يحرمهم منها فجعلهم مختارين.

إنّ سلبَ الاختيار لا يُحقِّقُ أيّ تفاضُلٍ بين الكائنات البشرية، لأنّ ذلك لا يتحقق إلا بالاختبار والاختيار. فهل يُمكن أنْ يُقال بأنّ المُعلِّم في المدرسة قد جعل جميع الطلبة ناجحين متفوقين ولم يختبرهم ويعرضهم للمشاق وذلك من أجل الصالح العام؟! هل هذا أمر معقول ومنطقي؟ كلا، لأنّه بهذا لا يتحقق التفاضل بين الطلبة والتمييز والتمحيص ومعرفة المتفوق والناجح والراسب منهم.

لو افترضنا أنّ جميع البشر أصبحوا عباقرة وكلٌّ منهم لا يقبل بأقل من وظيفة الأستاذ الجامعي، فإن المنظومة البشريّة ستُدمّر لكونها تحتاج لجميع الوظائف الجسيم منها كقيادة الجيش، والأقل كجمع النفايات وما أشبه. وعليهِ فإنّ إلغاء التفاضل والتنوع في المجتمع البشري يدمِّر الحياة البشرية، فهي قائمة على التفاضُل الذي يقتضي الاختبار والاختيار. فإذا أمكننا إدراك أهميّة الاختيار والاختبار لبني البشر على هذا المستوى المادي المحدود، يكون الاختيار على المستوى الإيماني والأخلاقي يحمل في أهميته وحكمته أبعادا أكبر وأعمق.

مستقبل الدين والتطور العلمي:

المحاور: كان الإنسان فيما مضى يربط بعض الظواهر الطبيعية – التي تُخيفه ولا يجد لها تفسيراً– بالإله، ومن ذلك الزلازل والفيضانات، فقد كان الإنسان حينها يظنُّ أنها الخالق أو الإله. أمّا حديثاً ومع تطوُّر العلم وتمكُّنه من تفسير تلك الظواهر الطبيعية فلم يعد من حاجة إلى الاعتقاد بالإله، لأنّنا تمكنّا من تفسير تلك الظواهر الطبيعية. فهل هناك مستقبل للدين في ظلِّ هذا التطور العلمي؟

سماحة الشيخ الحبيب: وهل يتوقف أمر الاعتقاد بالإله، أو الحاجة إلى

الاعتقـاد بالإلـه عـلى مجـرّد تفسـير الظواهـر الطبيعيـة؟ هـل هـذا هـو دور الإلـه فقـط؟ هـذا قـولٌ هُـراء.

إنّ الاعتقــاد بــالله قيمــةٌ وركيــزةٌ أساســية في حيــاة الإنســان تدفعــه نحــو التكامـل والرُّقـي في شـتى المجـالات، وليـس لمجـرّد تفسـير الظواهـر الطبيعيـة.

عـلى أنّـه أساسـاً مـن قـال أنّنـا قـد تمكنّـا مـن تفسـير كل الظواهـر الطبيعيـة؟ هـذا كلام باطـل بحـد ذاتـه.

فالجاذبيـة -عـلى سـبيل المثـال- هـي ظاهـرة طبيعيـة، إلا أن هنـاك اختلافـا كبـيراً بـين علـماء الفيزيـاء في تفسـير كُنهِهـا. فـ«**نيوتـن**»[١] يقـول أنّ الجاذبيـة قـوّة، بينـما «**أينشـتاين**»[٢] يقـول أنهـا انحنـاءات في الفـراغ تُسـبّبها الكتلـة وليسـت قـوّة. أمّـا «**سـتيفن هوكينـغ**»[٣] يقـول أنَّ الجاذبيـة هـي طاقـة سـلبية في الكـون.

هاجس الاستغناء عن الدين بالتقدم العلمي:

1 - إسحاق نيوتن (25 ديسمبر 1642 - 20 مارس 1727) عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية. شغل نيوتن منصب رئيس الجمعية الملكية، كما كان عضوًا في البرلمان الإنجليزي، إضافة إلى توليه رئاسة دار سك العملة الملكية، وزمالته لكلية الثالوث في كامبريدج وهو ثاني أستاذ لوكاسي للرياضيات في جامعة كامبريدج. أسس كتابه الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية الذي نشر لأول مرة عام 1687، لمعظم مبادئ الميكانيكا الكلاسيكية. كما قدم نيوتن أيضًا مساهمات هامة في مجال البصريات، وشارك غوتفريد لايبنتز في وضع أسس التفاضل والتكامل.

2 - ألبِرْت أينْشتاين (14 مارس 1879 – 18 أبريل 1955) عالم فيزياء ألماني المولد، (حيث تخلى عن الجنسية الألمانية لاحقا) سويسري وأمريكي الجنسية، من أبوين يهوديين، وهو يشتهر بأب النسبية كونه واضع النسبية الخاصة والنسبية العامة الشهيرتين اللتين كانتا اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، ولقد حاز في عام 1921 على جائزة نوبل في الفيزياء عن ورقة بحثية عن التأثير الكهروضوئي، ضمن ثلاثمائة ورقة علمية أخرى له في تكافؤ المادة والطاقة وميكانيكا الكم وغيرها، وأدت استنتاجاته المبرهنة إلى تفسير العديد من الظواهر العلمية التي فشلت الفيزياء الكلاسيكية في إثباتها. بدأ أينشتاين «بالنسبية الخاصة» التي خالفت نظرية نيوتن في الزمان والمكان لتحل بشكل خاص مشاكل النظرية القديمة فيما يتعلق بالأمواج الكهرومغناطيسية عامة، والضوء خاصة، وذلك ما بين (1902 - 1909) في سويسرا. أما «النسبية العامة» فقد طرحها عام 1915 حيث ناقش فيها الجاذبية، وتُمثل الوصف الحالي للجاذبية في الفيزياء الحديثة. تعمم النسبية العامة كل من النسبية الخاصة وقانون الجذب العام لنيوتن، بتقديمها لوصف موحد للجاذبية على أنها خاصية هندسية للزمان والمكان، أو الزمكان.

3 - ستيفن ويليام هوكينغ ولد في أكسفورد، إنجلترا (8 يناير 1942 - 14 مارس 2018)، هو من أبرز علماء الفيزياء النظرية وعلم الكون على مستوى العالم، درس في جامعة أكسفورد وحصل منها على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، أكمل دراسته في جامعة كامبريدج للحصول على الدكتوراه في علم الكون، له أبحاث نظرية في علم الكون وأبحاث في العلاقة بين الثقوب السوداء والديناميكا الحرارية، كما له أبحاث ودراسات في التسلسل الزمني.

المحـاور: ولكـنّ المقصـود مـن سـؤالنا السـابق هـو أنّ الإدراك البشري قد عـبر مرحلـة طفولتـهِ وبلـغ إلى مراحـل عاليـة مـن الرُّقـي العلمـي والفكري فـما عـاد بحاجـة إلى فكـرة الديـن.

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا الـكلام الـذي مضمونـه -أنّ الإدراك البـشري قـد عـبر مرحلـة طفولتـه- هـو ذاتـه الـكلام الـذي قيـل قبـل ألـف عـام. وهـو نفسـه يتكـرر مـع كل الأجيـال والعصـور.

فحتـى هـذا الـذي وصلنـا إليـه ونعتـبره تقدُّمـاً علميّـاً فإنـه بعـد ألـف سـنة سـيُعتبر عنـد الأجيـال القادمـة تخلُّفـاً. وسـيرون أنّنـا لسـنا متطوريـن إلى هـذا الحـد الـذي نـراه.

بـل السـؤال هـو: هـل سـتكون علومنـا بعـد ألـف عـام كـما هـي عليـه الآن؟ وكذلـك الأمـر بالنسـبة لنظرياتنـا وتفسـيراتنا؟ كلا.

قبـل سـنوات قليلـة بدأنـا نكتشـف الأخطـاء العلميـة في تفسـير الظواهـر. وانظـر إلى الضجـة في أوسـاط علـماء الفيزيـاء والفلـك عنـد اكتشـافهم لنظريـات جديـدة تُبطِـلُ نظريـاتٍ سـابقة، وكيـف يقفـون في ذهـول واصفـين إياهـا بالصدمــة!

عـلى سبيل المثـال؛ علـم الأجنّـة الحديـث (الإمبريولوجـي) كان مبنيّـاً عـلى أنّـه في مراحـل تكـوُّن الجنـين ينشـأ اللحـم قبـل العظـم، وهـذا كان مـن بـين الأمـور التـي يسـتغلُّها الملحـدون وأعـداء الإسـلام لمهاجمـة الإسـلام، لأنّ القـرآن الكريـم يتحـدث عـن كسـوة العظـام لحـما. يقـول تبـارك وتعـالى: {**فَكَسَـوْنَا الْعِظَـامَ لَحْـمًا**}[1] فكانـوا يسـخرون مـن ذلـك.

ولكـنّ الأبحـاث الجديـدة اللاحقـة ومنهـا بحـث الدكتـور «**كيـث مـور**»[2]

1 - سورة المؤمنون: 14.

2 - كيث مور أستاذ علم التشريح في جامعة تورنتو بكندا كان قد مر خلال حياته العلمية عبر جامعات عديدة منها

حيث يقول الدكتور في كتابه : **(أثناء الأسبوع السابع، يبدأ الهيكل العظمي بالانتشار خلال الجسم، وتأخذ العظام أشكالها المألوفة، وفي نهاية الأسبوع السابع وأثناء الأسبوع الثامن، تأخذ العضلات موقعها حول تكوينات العظام)**.[١]

فأشياء من هذا القبيل نكتشف يوماً بعد يوم المزيد منها. ولذلك دائماً ما أكرِّر أنّه علينا أن نتواضع للمعرفة وللعلم، لا أن نتكبّر ونظُنّ أنفسنا شيئاً في حقل العلم والمعرفة، فمهما بلغ علمنا يبقى عالم العلم والمعرفة أوسع وأكبر. وهذا الخطأ يقع فيه المُلحد والمتديِّن على حدٍّ سواء. فاللّازم عدم استباق القضايا، والاقتناع التام بأنّنا لم نصل إلى القمة في علومنا ومعارفنا، فخلال سنوات قليلة تتغير النظريات والآراء. فأنْ يقال بعد كل هذا أنّنا توصلنا إلى تفسير كل الأمور والظواهر؛ فهذا هُراء.

هواجس حول فطرةِ الاعتقاد بالإله:

المحاور: هناك من يقول أنّ الإنسان كبقيّة الحيوانات لديه غرائز، ولربما فكرة الاعتقاد بالإله غريزة قادتهُ إلى هذا التفكير الوهمي الذي يصوِّر له أنَّ هناك إلهاً وملائكة وجنّة وناراً؟ فهل صحيح أنّ الإنسان تحكمه غريزة فكريّة وهميّة؟

جامعة توينابك في الغرب الكندي حيث كان هناك لمدة 11 سنة ورأس العديد من الجمعيات الدولية؛ مثل جمعية علماء التشريح والأجنة في كندا وأمريكا، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية. كما انتخب عضوًا في الجمعية الطبية الملكية بكندا، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح، وفي اتحاد الأمريكتين في التشريح، وشارك في تأليف عدة كتب في مجال التشريح الأكلينكي وعلم الأجنة، منها كتاب The Developing Human: Clinically Oriented Embryology وClinically Oriented Anatomy وEssential Clinical.

عُرف مور باعتقاده أن آيات القرآن المتعلقة بعلم الأجنة تقدم دليلًا على أصله الإلهي. قال في مقالة كتبها أن «إشارات القرآن إلى تكاثر الإنسان ونموه متناثرة في القرآن»، وأن «تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بتكون الإنسان لم يكن ممكنًا في القرن السابع للميلاد، ولا حتى منذ مئة سنة.» يؤكد مور أن ما قاله القرآن عن نمو الإنسان يجعل من الواضح أن أصله إلهي قائلًا: «هذا يثبت لي أنه لابد أن محمدًا كان رسولًا من عند الله.»

1- (Moore, Developing Human, 6. edition,1998.)

سماحة الشيخ الحبيب: أوّلاً؛ نحن لا نسميها غريزةً بل نسميها فطرة. فالاعتقاد بالله عزّ وجلّ حالة فطريّة في الإنسان وباعثها فطري، وهذا دالٌ على كونه حقيقةً لا وهماً.

إنّ معنى أن تقول «أنّ الاعتقاد بالله غريزة وهميّة»؛ هو أنّ كلّ البشر متّفقون على هذه الغريزة، وهذا يعني أنه ثمّةَ حقيقة لهذا الذي يبحثون عنه.

نعم قد يقع وهمهم على الصواب وربما يقع على الخطأ. ولكنّ اندفاع هؤلاء الناس على شتى مشاربهم للبحث عمّن يعبدونه دالٌ على أنّ هذه التي تسميها «غريزة» إنما هي متعلِّقة بحقيقة ناصعة؛ وهي الله عزّ وجل.

على سبيل المثال؛ نقول أنّ في الإنسان غريزة اسمها الخوف، ونعلم أنّ هذا الخوف قد يكون من حقيقة مُخيفة كخوف الإنسان من تمساح، أو يكون الخوف من وهمٍ كخوفه من الظلام. فكلاهما ينطلقان من حقيقة واحدة في بني البشر وهي حقيقة الخوف.

وجود هذه الغريزة الحقيقية كاشف عن حقيقة، وهي حقيقةُ أنّ هنالك ما يُخاف منه. ولسنا بواردِ تصحيح أو تخطئةِ ما خِيف منه، فهذه مرحلة أُخرى. فطرة الاعتقاد بالله عز وجل كاشفة عن أنّ هنالك حقيقةً وهي وجود الإله.

-في بعض الأحيان-، من خلال البحث السليم يصل الإنسان إلى الإله الحقيقي الذي يستحق أن يُعبد، وإن لم يكن البحث سليماً مُتجرِّداً عن الميول والهوى فإنه قد يُوصِل إلى إلهٍ مُزيف لا يستحق أن يُعبد. ولكنّ كلا من الباحثين يشتركان في كون انطلاقهما من هذه الفطرة كاشف عن حقيقة ثبوتِ هذا الموجود الحق وهو الإله الذي يجب أن يُعبد.

الحلقة الرابعة

- هواجس حول منشأ الأديان
- في الهاجس الإلحادي:كان عبقريّاً ولم يكن نبيّاً
- بين القوانين العصريّة والشرائع القديمة
- ماذا عن القوة في فرض قوانين الشريعة؟
- أليست هذه انتقائيّة تجاه قوانين الشريعة؟!
- هاجس التناقض بين مرونة قوانين الإسلام وبين القوة في تطبيقها
- الصرامة الإسلاميّة تجاه الشذوذ وأهله

هواجس حول منشأ الأديان:

المحـــاور: هنـــاك اتّهـــام للأديـــان بأنّهـــا مـــن صنـــع البـشر.. إذ يُقـــال أنّ الاعتقـاد بـالله فكـرة صنعهـا الأذكيـاء لخـداع الأغبيـاء والسـيطرة عليهـم؟ فهـل الديـن مـن صنـع البـشر؟

سماحة الشـيخ الحبيـب: لا شـك أنّـه هنالـك بعـض الأديـان الموضوعـة وهـي مـن صنـع البـشر. وتلـك أديـان أرضيّـة مُخترَعـة مُبتدَعـة. ولصانعيهـا أهـداف متنوعـة، مـن جملتهـا حـبُّ السيطرة عـلى السـذّج مـن النـاس وضعفائهـم. ولكـن أن نُرجـع سـبب نشـوء سـائر الأديـان بـما فيهـا الديـن الحـق إلى هـذا السـبب حـصراً؛ فهـذا عـلاوةً عـلى كونـه تجنيّـاً واضحـاً؛ فإنـه مخالـفٌ للحقيقـة الثابتـة. ولـذا لا يكـون هـذا الاسـتنتاج علميّـاً مائـة بالمائـة. لأنّـا إن نظرنا إلى مسـألة نشـوء الأديـان بشـكل مجـرّد فإنّنـا نجـد أنّ كثـيراً منهـا عبـارة عـن أديـان نشـأت مـن غـير أن تتضمـن أدنـى نزعـة للتسـلُّط أو هـدفٍ للسـيطرة. فبعـض الأديـان إذا نظرتـم جيـداً وبتأمُّـلٍ لهـا تجدونهـا مجـرّد بنـاء روحـي أو فكـرة روحيّـة، بـل إنهـا سـلبيّة تمامـاً تجـاه مسـألة السـلطة والقُـدرة وفـرضِ نظـام سـلطويٍّ مـا في الحيـاة والمجتمـع. فكيـف يمكـن لنـا أن نتهـم مؤسـسي تلـك الأديـان بـأنّ غايتهـم مـن تأسيسـها هـو حـب السـيطرة والنفـوذ؟

هناك أديان وإن كانت مُبتدعة وأرضيّة فإنّك تجد أصحابها إنما أسّسوها لأهدافٍ روحيّةٍ بحتة كحصيلةٍ تأمُّلات كانت لديهم، ومن ثم قاموا بمثل هذه الخطوة.

فإذن لا يمكن لنا أن نُعلّل ونُرجع نشوء كل الأديان بمثل التفسير المتقدِّم في سؤالكم.

أمّا من جانبنا كمسلمين فنقول أنّ ديننا ليس مؤسّساً أو مصنوعاً من قِبَل البشر، والأدلة على ذلك كثيرة، من أبرزها أنّه لو كان الهدف هو السيطرة على البشر بالفعل؛ لكان ينبغي أن يقع تعديلٌ على صياغة هذا الدين، لأنّه نشأ في بيئةٍ رافضةٍ له أشدّ الرفض. فلو كان الغرض مجرّد السيطرة على ذلك المجتمع فإنه كان في وسع مؤسس هذا الدين –وهو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله– أن يُعدِّل في هذه الصياغة الدينية ويغيِّر فيها أشياءَ في سبيل أن يحظى هذا الدين بمقبوليّةٍ أوسع من قبل الناس، كَأنْ يعترف في المقام الأول بِالأوثان ولو على نحو القول بأنّ أصنامهم شافعةٌ إلى الله تعالى، وأنّها «**تلك الغرانيقُ العُلى وإنّ شفاعتهنّ لَتُرتَجى**»[1] كما نسبت الطائفة البكرية المُبتَدعة ذلك للرسول صلى الله عليه وآله زوراً وافتراءً، حيث قالت تلك الطائفة المُبتَدَعة أنّ الشيطان ألقى على لسان النبي صلى الله عليه وآله هذه الآيات المكذوبات!

وكان يمكن أنْ يتماهى مع الأديان الكتابيّة السابقة بحيث يستطيع أن يجُرّ أتباعها لهذا الدين من غير أن يضطروا إلى التنازُل عن شيءٍ من ثوابتهم، وهذا للعلم ما عمد إليه «البهاء»(٢)–مؤسس الديانة البهائية المُبتَدَعة– ،

---

1 - فتح الباري لان حجر العسقلاني، ج8 ص333، مجمع الزوائد للهيثمي،ج7 ص115.

2 - الميرزا حسين علي النوري الملقب بـ «بهاء الله»، مؤسس الدين البهائي (1817 – 1892 م). ولد بهاء الله في طهران في 12 نوفمبر 1817 في منطقة تدعى «بوابة شمران». وكان والده الميرزا عباس النوري الملقب بميرزا بزرگ من نبلاء إيران حيث تنحدر سلالة بهاء الله من السلالة الساسانية العريقة، وكانت عائلته تملك أراض واسعة وعقارات متعدده في إقليم نور في مازندران وتتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع الفارسي في تلك الحقبة.

فـإنّ بدعتـه ترتكـز عـلى فكـرة توحيـد الأديـان، لذلـك وضـع نظامـاً مُعيّنـاً يعـترف فيـه بـكل الأديـان ويبجّـل أصحابهـا وكُتبهـا، ويزعـم أنّهـا جميعها مقدّسـة ويُؤخَـذ منهـا.

فـإذن؛ مـن الواضـح لـكلِّ مـن يقـرأ المشـهد بتجـرُّد أنّ هـذا الديـن عـلى هـذه الصياغـة يُنبـئ عـن أنّ وراءه قـوّةً غيبيـةً هـي التـي أمـرت بـأنْ ينطلـق وينبعـث هـذا الديـن، وكانـت تهتـمُّ بـه وترعـاه مـن هـذه الجهـة.

كـما أنّ هنالـك أمـرٌ لا بُـدّ مـن ملاحظته، وهـو أنّ مؤسِّـسَ الديـن الحـقِّ وباعثَهُ لا يمكـن لأحـد أنْ يرشُـوه -إن جـاز التعبـير-، فإنّـك لا تجـد مـن سـماته القبـول بالعـروض الماديّـة أو المعنويّـة المُغرِيـة في سـبيل أن يغـيِّر شـيئاً مـن مبـادئ هـذا الديـن الـذي يدعـو إليـه.

فلـو كان هـدف نبينـا «صـلى الله عليـه وآلـه» هـو السـيطرة عـلى النـاس؛ لـكان يمكنـه تعاطـي الخيـارات التـي أسـلفناها.. ومـن ذلـك أنّـه قـد عُرِضَـت عـلى الرسـول الأكـرم «صـلى الله عليـه وآلـه» المُغريـات مـا إنْ بـدأ بدعوتـه الحقّـة وذلـك في سـبيل تثبيطـه عـن المُـضي في الصياغـة الدينيـة التـي جـاء يدعـو بهـا، ومـن أهـم تلـك الإغـراءات دعـوة النبـي صـلى الله عليـه وآلـه لتنصيبـه ملـكاً عـلى مكـة والعـرب أجمـع شريطـة تخلِّيـه عـن هـذا الديـن الـذي يدعـو لـه.

فلـو كان هدفـه «صـلى الله عليـه وآلـه» السـيطرة عـلى النـاس فهـذا العـرض الاسـتثنائيُّ مـن قريـش كان الطريـق الأقـصر والأسـهل، فهـو طريـق سـالك يخلـو مـن مشـقّة المواجهـات والحـروب والمخاطـر، وهـو الطريـق الـذي خاضـه في الواقـع واختـاره كثمـن لإصراره عـلى التمسُّـك بدينـه وبدعوتـه.

في الهاجس الإلحادي: كان عبقريّاً ولم يكن نبيّاً..

المحاور: هناك اتّهامٌ للرسول -صلى الله عليه وآله- بأنّه كان عبقريّاً ولم يكن نبيّاً، ولذا أراد بهذا الأسلوب الصِّدامي الذي انتهجه مع قريش المزيد من السيطرة وكان يسعى إلى أن يجعل اسمه موطّداً ولامعاً في التاريخ وبين أهل زمانه في كافة البقاع، ولم يشأ أن يكون مِلِكًا تقليديّاً كبقية ملوك العرب الذين لم يُخلِّد التاريخ ذكرهم على نحو الديمومة في كلِّ زمان ومكان. ولذا يقولون أنّ الرسول كان عبقريّاً ولم يكن من عند الله مُرسلاً ونبيّا.

ج: إنْ كان عبقريّاً -كما هم يقولون- فإنّه يستطيع بالصياغة الأخرى أنْ يسيطر أكثر فأكثر وأن يُخلِّد اسمه أكثر فأكثر، لا على الصياغة الإسلامية. فالعبقريُّ يستطيع بأيِّ صياغة أن يُسيطر وأنْ يُخلِّد اسمه.

المحاور: ولكن ليس هناك شيءٌ أشدُّ وقعاً وتأثيراً في القلوب من الدين؟

سماحة الشيخ الحبيب: ولهذا نقول أنّ نبيّنا لو كان مجرد عبقريٍّ فقد كان يسعه أن يصبح ملكاً، وفي الوقت ذاته يتقلّد منصب القائد والموجِّه الديني الأول على الديانة السابقة ويغيِّر فيها كما يشاء، ويسعه أن يجعل لها أذانا يُردّدُ ويُخلّد فيه اسمه وذكره!

وهذا الذي نتحدث عنه قد حصل في بعض الديانات الأخرى. فتاريخ النصرانيّة المعاصرة -على سبيل المثال- يدلُّنا على صياغتها من قبل ملوك وحكام ومتنفِّذين سياسيين زاوجوا بين النفوذ السياسي وبين النفوذ الكنسي. ومن أهم ملامح الديانة النصرانية المُبتدَعة أنها تعتقد بالتّثليث، لأنها في واقعها رواسب من الديانات الوثنيّة الرومانيّة السائدة من ذي قبل. فانظُر كيف استطاعوا أن يتنازلوا عن أساسٍ من مبادئ ديانتهم التوحيدية

الخالصة في أصلها من أجل مطامع السيطرة والتمدُّد والانتشار. وذلك بالفعل ما حصل، فالنصرانية هي الديانة المتصدِّرة من حيث الانتشار وعدد الأتباع في عصرنا الحالي.

أيضاً تلاحظون أنّ الشخصية التي تُعدُّ رُكن النصرانيّة وأساسها وهي شخصية «بولس»[1] الذي يُسمّى عندهم -بولس الرسول- قد كانت شخصية ذات مكر ودهاء فائق حيث استطاع «بولس» أن يكون مُقدّماً على المسيح عليه السلام في المقام العمليِّ -عندهم-. فهو المُهندس النظريُّ لأركان وأصول النصرانيّة وملامحها على ما هي عليه اليوم. مع أنّه كان في السابق يهودياً وكان يضطهد النصارى وقتل عدداً منهم.. إلا أنّه رأى أنّ هذا السلوك لا يفيده في السيطرة فغيّر الاستراتيجية وادّعى أنّ المسيح عليه السلام قد جاءه فآمن هو بالمسيح عليه السلام وتاب!

بين القوانين العصريّة والشرائع القديمة..

المحاور: بما أنّ العلم قد تقدّم كثيراً في هذا العصر؛ فهل يمكن الاستغناء عن الشرائع القديمة بالقوانين التي وضعها الإنسان بناءً على التجربة والبرهان؟

سماحة الشيخ الحبيب: نعم ممكن ذلك. لأن كثيراً من تلك الشرائع باطلة وما أنزل الله بها من سلطان، وحتى تلك التي أنزلها الله لا بدّ أن يُنظر هل أنها منسوخة أم لا. فبعض بقايا الشرائع السابقة على الإسلام سواء في اليهودية أو النصرانية هي شرائع منسوخة وليست لها صفة الديمومة، ولم يكن أساس نزولها أو سَنِّها أن تبقى إلى الأبد، إنما كانت بلحاظ حقبةٍ ما،

1 - بولس: ويُعرف عند النصارى بأنّه بولس الرسول أو القديس بولس. هو الّذي قلب دين عيسى عليه السلام رأسا على عقب. دين النبي عيسى الذي جاء بالتوحيد، وإذا بهذا الرّجل يجعل القوم يعتقدون أنّ عيسى هو ابن الله وأنه جزء من الذات الإلهية. فهو الذي نصّرهم وابتدع لهم فكرة التثليث الباطل.

فـأنْ يتعصب بعضهـم ويريـد أن يسـتصحب هـذه الشرائـع والممارسـات إلى الأبـد -بدعـوى أنهـا نزلـت مـن الله عـز وجـل- فهـذا أمـرٌ لا بـدّ أنْ يعـاد النظـر فيـه.

أمـا تلـك التشريعـات التـي كانـت ناسـخة لا منسـوخة -أي جـاءت في المراحل الأخـيرة مـن الديانـة الإسـلامية- فهـذه خاضعـة لموازيـن الفقـه الإسـلامي. فعـلى سـبيل المثـال إنّ عـدداً ممّـا قـد يبـدو أنـه ثابـتٌ مـن الثوابـت قـد يكـون متغـيِّراً بلحـاظ الزمـان والمـكان. فعندنـا الرِّبـا -مثـلاً- كثابـت مـن الثوابـت المُقـرّرُ هـو حُرمـة الربـا، ولكنـه مُحـرَّم في حـال سـيادة القوانـين الإسـلامية والاقتصـاد الإسـلامي بحيـث يمكـن أن يُحـرَّم الرِّبـا عـلى الإطـلاق، أمّـا إنْ افترضنـا أنّ حُكـماً مـا للتـوِّ قـام ونشـأ؛ فإنـه لا يسـتطيع في سـنواته الأولى أن يمنـع الربـا تمامـاً، لأنَّ هـذا يعنـي انهيـاراً اقتصاديّـاً كامـلاً. فـإذن؛ المسـألة تحتـاج إلى شيء مـن المرونـة إلى أن يمكـن تكييـف الوضـع الاقتصـادي وفقـاً للموازيـن الإسـلامية.

وكذلـك الأمـر بالنسـبة إلى الحـدود في الإسـلام مثـلاً؛ فعندنـا قـولٌ فقهـي مفـاده أنّ الحـدود في زمـان غيبـة الإمـام عليـه السـلام لا يجـوز إجراؤهـا إذا كانـت متعلِّقـة بحـق الله تبـارك وتعـالى، لا حقـوق البـشر التـي هـي بـين بعضهـم الآخـر. وتلـك الحقـوق الخاصـة بـالله تعـالى لا يقيـم الحـدود فيهـا إلا الإمـام المعصـوم عليـه السـلام.

وهنالـك رأي آخـر يقـول أنّ الحـدود يمكـن تطبيقهـا، ولكـن بعـد سـيادة الأجـواء الإسـلامية وغلبتهـا في الجملـة، فـلا يمكـن مثـلاً في مجتمـع؛ غـارقٍ في الانحـلال الأخلاقـي؛ تطبيـق تلـك الحـدود مباشرة، بـل لا بـدّ مـن المرونـة مـن خـلال المهلـةِ الوقتيّـة بحيـث يتسـنّى أوّلاً تكييـف وضـع المجتمـع وفقـاً للنُّظـم المسـتجدة وإعـادة تأهيلـه وزيـادة حمـلات التوعيـة، وتربيـة المجتمـع عـلى المبـادئ الإسـلامية، وتصفيتـه وتنظيفـه مـن بُـؤر الانحـراف، ومـن ثـمّ إذا تشـكّل مجتمـع بنسـبة معقولـة مـن التديـن والصـلاح؛ حينئـذ سـيخضع المجتمـع -طواعيـة-

لتطبيق الحدود ومنع الربا ومنع المظاهر الفاسدة في المجتمع. وهذه هي رسالة الدين الإسلامي، فهو ليس ديناً يفرض الأمور على الناس بعيداً عن توفير الأجواء التي معها تكون العقوبات مُستحقّة ولا يُعنى بإيقاعها بمقدار ما يهتم بتربية الناس على أن يختاروا الخضوع لهذه الفرائض والحدود طواعيةً عن رضاً وتسليم.

ماذا عن القوة في فرض قوانين الشريعة؟

المحاور: ولكن أليس هنالك من يحاول فرض قوانين الشريعة بالقوّة؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ فرض الأمور بالقوة -على نحو الإطلاق- هو أمر غير صحيح إذ يُفترض أن يكون هنالك شيء من المرونة الناظرة لحال المجتمع والزمان والمكان. فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يتغاضى عن إجراء الحدود -خصوصاً في السنوات الأولى- لأنّ المجتمع لم يكن ناضجاً بعد وكان حديث عهد بجاهلية إلى غير ذلك من حكم ومصالح تصبُّ في حفظ وترسيخ البناء التأسيسي للإسلام بما هو. أيضاً أمير المؤمنين علي عليه السلام كان مضطراً لأن يتغاضى عن التغيير العملي لبعض المظاهر الفاسدة والبدعيّة لأنّ المجتمع لم يكن مُؤهّلاً بعدُ للتخلُّص منها دفعة واحدة، كبدعة صلاة التراويح. ولكنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قد نهى عنها وإن لم يتخذ إجراءً عمليّاً لمنعها مراعاةً لبعض المصالح وتقديرا لمدى ملاءمة الوقت، وهذا هو الدور المركزي للإسلام، ودور القائد الإسلامي وهو النهي عن المنكرات وإيضاحها للناس.

لكنّ المسألة هنا هي في إجراء العقاب وتطبيقه على أرض الواقع، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بعد أن يصل المجتمع إلى حالة من النضوج والسلامة

الدينية والأخلاقية كحالة غالبة على المجتمع بحيث يكون مرتكب هذه الأمور قد ارتكب جريمةً مكتملة الأركان بالفعل، لا أنّه يسير على الوضع السائد الفاسد في محيطه عند ارتكابه الجريمة.

فإذن؛ نحن علينا أن ننظر في هذه التشريعات وأن نعرف ما الذي يمكن -بالعناوين الثانوية الفقهية- أن يُعطّل لفترةٍ فيُعمل فيه بقاعدة «**لا يترك الميسور بالمعسور**»[1] ونحو ذلك، بحيث نحقّق شيئاً من المواءمة للواقع الخارجي مع النظام الديني وصولاً إلى حالة التكامل الديني المطلوبة والتي لا يمكن الوصول إليها بنسبةٍ مائة بالمائة إلا تحت حكم المعصوم عليه السلام.

أليست هذه انتقائيّة تجاه قوانين الشريعة؟!

المحاور: ولكنّ العلمانيين يقولون أنّ المسلم يأخذ من الشريعة الإسلامية ما يتماشى مع العصر الحديث ورغبة المجتمع الآن؟ أليس ذلك سلوكاً انتقائيّاً؟

سماحة الشيخ الحبيب: ليس ذلك هو المعيار. ليس الملاك هو كون المجتمع راغباً أو غير راغب؛ فلسنا نأخذ ما يرغب به المجتمع ونترك ما لا يعجبه. فحينئذٍ نكون انتقائيين شأنُنا الالتقاطيّة وقد تصرّفنا في دين الله عز وجل. ولكنّ الأمر ليس كذلك لأنّه بالنتيجة الهدف الأساسي عندنا هو تطبيق دين الله والشريعة، ولكنّ الآليّات والتوقيت والظروف جميعها مرهونة بمقدمات وشرائط مُعيّنة يتكفّل ببيانها الفقه الإسلامي. وأنا مع إجراء وتفعيلِ آليّات الفقه الإسلامي وأرى أنه بما فيه من مرونة وضمانات فإنّ فيه الكفاية ولسنا بحاجةٍ إلى أن نأخذ بكذا أو نترك كذا، فنظرةُ المجتمع

1 - جاء عن المحقق البحراني في الحدائق الناضرة ج7 ص207: «لا يسقط الميسور بالمعسور»..

حينها ستكون كما يصفها العلمانيون بالفعل.

فالفقه الإسلامي بعناوينه الثانوية يتكفّل بأن يجعل المجتمع في المحصلة مُتجاوبا ومطمئناً تجاه تطبيق الإسلام وتطبيق شريعته. فإعادة النظر مُمكنة من الزاوية الفقهية فحسب؛ لا من الزاوية الالتقاطيّة أو من مُنطلق التماشي مع رغبات وأهواء الناس.

ما أو ضحناه في كلامنا السابق لا يتعارض مع كوننا نقول بأنّه أحياناً من أجل تثبيت وإرساء ما هو في صلاح البشرية من الدين فلا بُدّ من فرضه بالقوّة. كما هو حاصل في المجتمعات التي تُوصف بالمتحضرة، فهنالك قوانين تُفرض بالقوة وإن لم تُعجب المجتمع، لأنّ فيها صلاحاً للمجتمع، وهذا أمرٌ واضح ولا يُخالف فيه عاقل.

هاجس التناقض بين مرونة قوانين الإسلام وبين القوة في تطبيقها..

المحاور: أرى الآن تناقضاً في كلامكم، فحيناً تقولون أنّ في قوانين الإسلام «مطّاطيّة» وتسامحاً في بعض الأمور تصل إلى التأني في بعض الحدود، وحيناً تقولون أنه يجب فرضُ بعض القوانين والشرائع بهدف إصلاح المجتمع!

سماحة الشيخ الحبيب: أولاً: تعاليم الشرع ليست مطّاطيةً بحسب تعبيركم، وإنما كما عبّرنا يوجد مقدار من المرونة في التشريعات الإسلامية كما أنزلها الله بذاتها. فعلى سبيل المثال؛ تأتي امرأة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتقول له أنها زنت، فيُشيحُ رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه عنها لئلّا يُطبِّق عليها حدّ الزنا[1]. والقضية معروفة في تراثنا الإسلامي ومن

1 - جاء في مستدرك الوسائل، ج18 ص20:عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أن رجلاً أتاه فقال : يا رسول الله، اني

خلالها ثبت حكم إقامة الحد بإقرارِ المرءِ على نفسه ثلاثاً. وهُناك روايات كثيرة في هذا الفلك وهي التي تتضمّن تفاصيلَ نعتبرها نوعاً من المرونة في التشريعات الإسلامية. فالإسلام دينٌ يُحبِّبُ للإنسان التوبة والإقلاع بمبادرةٍ ذاتيّة قبل إنزال العقوبة عليه، فهذا الشخص الذي ارتكب الفاحشة لو تاب وأقرّ بالذنب بينه وبين ربه وطلب العفو لكان أجدى وأقوم له عند الشارع الحكيم.

فإذن؛ المرونة التي نقصدها هي المرونة التي جاء بها التشريع ذاته في تفصيلات الحكم الشرعي، وهذه عندي كافية في توطين المجتمع على احترام قوانين الشرع، وفي إيصاله إلى حالةٍ من الرضا والطمأنينة النفسية بحيث لا يشعر بأنّ هنالك فرضاً أو إكراهاً على نحو إطلاقي في التشريعات الإسلامية وذلك طبقاً للمبدأ الديني **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}**[1].

ثمّ إنه من الأساس لا يمكن من زاوية الواقع العملي إجراء وتطبيق القوانين الإسلامية على المجتمع إلا حينما يصل إلى حالة من النضج والوعي الإسلامي الصحيح بحيث تجده يختار هو طواعيةً الإسلام شريعةً وعقيدةً ونظاماً للحياة.

فإذن؛ لسنا مع تجاوز الفقه الإسلامي أو صناعة فقه حديث التقاطي كما يفعله بعض المنحرفين -سواء عندنا أو عند مخالفينا-، فهذا قفزٌ على مبادئ الشريعة وعلى قوانينها، ولسنا بحاجةٍ إليه لكي نبدو متحضرين ونُرِي الآخرين أنّا نحترم المجتمع وخياراته، ونبدو أنّا لا نفرض عليه شيئاً.

والسبب هو أنّ المجتمع إن تفقّه جيداً وبُيِّنت له تعاليم الشريعة السمحاء وما تحتويه من عناوين ثانوية وشرائط في الفقه الإسلامي؛ فإنّه لا يمكن

زنيت ، فأعرض عنه إلى أن قال ثم قال له (صلى الله عليه وآله) : «لو استتر لكان خيراً له إذا تاب».

1 - سورة البقرة: 256.

أن يظُنّ أحدٌ بأنّ الإسلام جاء لكي يقهره على شيء، بما في ذلك الحدود والتشريعات والتعاملات الاقتصادية ونحو ذلك.

إن في الإسلام ضمانات تحقق للإنسان السّويِّ الفطرة -سواء المسلم أو الكافر- أعظم مشاعر الرضا والطمأنينة[1].

---

1 - أقول: تعقيباً على ما أفاد به شيخنا الأستاذ آتي على بعض التفاصيل التي تساعد على استيعاب أو سع لما تفضّل به شيخنا.
نتعرض هُنا لحدِّ سابِّ النبيِّ والوصيِّ «عليهما وآلهما السلام».. من يسب النبي أو الأئمة الاطهار عليهم السلام أو يستهزئ بهم ممّن يتسمى بالإسلام فإنّ فِعله «غالبا» لا يكون عن جهل وإنما هو يعلن بذلك عن حالةٍ من الاستعداد للعدوان العمليّ باليد.
من يسب الإمام المُعيّن من الله يسب النبي وهو بذلك يسب الله تعالى فهو الذي عيّنهم.
تلك الفئة من البشر تكون لديها نزعة للوحشية وهذا ما أثبتَهُ الواقع.
إنّ داعش وغيرها من حركات ناصبية تتسمى بالإسلام نجدُها تسبُّ مقدسات أهل البيت عليهم السلام وتصف كربلاء والعياذ بالله بالمُنجَّسة وتسب إمامنا المهدي عليه السلام. فتلك الفئة عادةً تنطلق من طبيعة عدوانية.
ولذلك فإنّ الشارع المقدّس يُعلن في حقِّ من يسب الله تعالى وحُجَجه عليهم السلام حكماً عامّاً الغرض منه الردع والزجر بالدرجة الأولى، فمن يتخطّاه ولا يعبأ به يُبرهن عن استعداد نفسي تام للعدوان فحينها يُرفع أمره للنبيِّ أو الوصيِّ «عليهما وآلهما السلام»
لدينا روايات تقول أنّ من يسب الرسول او الإمام «عليهما السلام» فإنّ دمه مباح لكل مَن سمِعه يسُبُّ وذلك في حال الأمن من وقوع ضرر على مؤمن برئ آخر. ومن جهةٍ أُخرى هناك روايات تقول أنّ قتل الناصبي لا يكون إلا بإذن الإمام.
فيكون الجمع بين الطائفتين هو وفقاً لما ذكرناه، أي بمعنى أنّ التي يُفهم منها العموم غرضها الزجر كمرحلة أولى، والطائفة الأخرى هي المتعلِّقة بالحكم العملي المتمثّل في اشتراطِ إذن الإمام المعصوم «عليه السلام». فلا يُقتل السابُّ لله تعالى أو الإمام إلا بإذن مُباشر من النبيِّ أو الوصيِّ «عليهما وآلهما السلام».
إنّ الإمام المعين من الله هو الذي يَعلم ما إذا كان هذا الناصبي يُشكِّل خطرا فعليّاً على الكيان الإسلامي ولديهِ نيّةٌ في اتِّخاذ سلوكٍ عُدواني، أم أنّه جاهل أو مُشتبه، أو قابل للهداية، أو مأمون الجانب على أهل الإيمان.
ولذلك نفهم أنّ الروايات ذات اللسان الإطلاقي غرضها الزجر والردع فمن لم تزجُره فهو يُبرهن عن استعداد نفسي للعدوان العملي أو التحريض على العدوان وإغراء الجُهلاء والأراذل بالمؤمنين. فيُرفع أمره للإمام وهو عليه السلام يحكم فيه. بل حتى الذي يعتدي فِعليّاً كالخوارج وما أشبه يُستأذنُ الإمام في تنفيذ حكم الناصب عليهم فقد تكون هناك مفسدة مترتِّبة من جهات أُخرى، ولذلك يكون التشخيصُ بيدِ الإمام المعصوم عليه السلام.
قد يُقال وماذا عن حدِّ الرِّدّة؟
نقول الأمر ذاته ينسحب على حدِّ الرِّدَّة فإنه بحسب الفهم الجليّ المأخوذ عن سيرة الوصي والنبي «صلى الله عليهما وآلهما» لا يُقامُ حدُّ الردَّة إلا مع كون المرتدّ يعيش ضمن نظام إسلامي عادلٍ يوفر له سبل المعرفة الصحيحة والحياة الكريمة. وذلك لا يكون إلا تحت حكم الوصي أو النبي «عليهما وآلهما السلام»
فإذا كفر شخصٌ ما سرّاً بُغية أن يَنشطَ في نشرِ كُفره بأساليب خفيّة، أو إذا أعلن كفره فإنّ ذلك يُعتبر حالة من التمرد على الإسلام بما هو إسلام وجنوحا نحو العدوانيّة على أهل ملة الإسلام. وحينها أيضاً يرجع تطبيق حكم الحد إلى المعصوم عليه السلام فهو يُقدِّرُ المصلحة ويعلم عواقب الأمور ومآلاتها بتعليم الله تعالى له. فهناك حوادثُ شتّى كانت تستوجب إقامة حكم الردة ولم يُقَم فيها حدُّ الرِّدّة ومن أوضحها محاولة المنافقين قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة فهذا كفر صريح. ومع ذلك عفى النبي صلى الله عليه وآله حفظا لمصالح أهم وأولى كانت تقتضيها ظروف المرحلة حينها.
فالحاصل هو أنّه ليس حكم الردة في الإسلام بشِعا في حقيقته وفقاً للشرائط التي أوضحناها وإنما يحاول بعضهم تبشيعه من خلال عرضه بمعزلٍ عن شرائطه وحدوده.
على سبيل المثال؛ أيُمكن لهؤلاء أو غيرهم أن يحملوا على من يستبشع خروج شخصٍ ما في مجتمع يسود فيه الأمان والاستقرار والعلم والرفاه الاقتصادي والأخلاق القويمة، فيعمل ذلك الشخص على الجحود للنظام الحاكم في ذلك المجتمع ويعلن الرفض له فيفتح بذلك شهيّة غيره ممّن لديهم نزوع نفسي للمُهاترات والتمرُّد لعوامل معقّدة في

ومـن ناحيـةٍ أُخـرى؛ هنالـك بالنتيجـة قوانـين نحتـاجُ لأن تُفـرض عـلى المجتمـع، لكيـلا ينفـرط عِقـدُ نظامـه، وبالتـالي تقـع المصادمـات ويعـمُّ الدمـارُ وينهـار المجتمـع.

فعـلى سـبيل المثـال؛ بـلاد الصومـال عبـارة عـن مجتمـع كبـير لكنـه تنظيميّـاً مجتمـع فوضـويٌّ تمامـاً، ولا مـن ضابـطٍ يحكمـه عـلى الإطـلاق!

كلٌّ فيـه يسـتطيع أن يقتـل متـى شـاء وكيـف شـاء، فليـس هنالـك قوانـين ولا نظـام يُهيمـنُ عـلى ذلـك المجتمـع . فالإسـلام هنـا بـدورهِ يعمـل بقوّتـه عـلى أن يفـرض نظامـاً، لأنّ معنـى أن يبقـى الوضـع هكـذا سـلبيّاً هـو إبقـاء حالـة الفـوضى، وهـذا مـا يُفسِّر اسـتخدام النبـي صـلى الله عليـه وآلـه القـوّة مـع قريش.

وهـذا هـو الأمـر الـذي حتـى الآن نجـد أنّ أعـداء الإسـلام والمسـتشرقين مـا فهمـوه جيـداً أو فهمـوه وتعمّـدوا المغالطـة فقالـوا أنّ الإسـلام انتـشر بالسـيف والبطـش، وأنّ النبـيّ «صـلى الله عليـه وآلـه» كان نبـيّ القـوّة و والقهْـرِ والبطـش و..و..!

في حـين أنّهـم غفلـوا أو تغافلـوا عـن أنّ بيئـة العـرب التـي ظهـر فيهـا هـذا النبـي صـلى الله عليـه وآلـه كانـت لا تختلـفُ عـن بيئـة الصومـال الآن.

شخصياتهم منها حبُّ الظهور ولو بالسفسطة الفارغة أو الطمع في سلطةٍ أو منصبٍ ما إلى غير ذلك من أسباب تقودهم بأنانية إلى إحراق وتدمير كلِّ ما حولهم في سبيل إرضاء نزعاتهم المريضة؟!
حينها يكونُ سدُّ ذلك الباب ولو من خلال إيقاع أقصى درجات العقاب على ذلك الفرد وإن وصل إلى حدِّ الإعدام في سبيل الردع لغيره حفظا لاستتباب ذلك المجتمع المتكامل هو في الواقع حفظ للدماء والأرواح والممتلكات والاستقرار والأمن والنماء السائد في ذلك المجتمع. فالنار تبدأ بشرارة وتداركها بإخماد أوّل شرارة هو عمل عقلائي.
فليست القضايا تُقرأ من زاوية عاطفيّة ساذجة متجرِّدة من المعطيات والتفاصيل المتعلقة بها. وإلا خرجنا بنظرةٍ مشوّهة لكل شيء.
وفي المقابل حينما لا تتوافر الشرائط بأن تكون السلطة الحاكمة تطبِّق النُّسخة المزيّفة من الإسلام كما في حكم الأمويين والعباسيين وحكومة السقيفة ومن تبعهم، فإنّ الإمام المعصوم المغصوب حقّه تجده يناظر مِراراً الزنادقة والملاحدة المرتدين ومن ذلك مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع أكبر المرتدين الزنادقة في ذلك العصر وهو عبد الكريم ابن أبي العوجاء، ولم يرِدنا أنّ الإمام عليه السلام أفتى لأحدٍ من أتباعه بقتل ذلك الزنديق. فالأمر هو على ما تفضّل به شيخنا الأستاذ من ضرورة ملاحظة القضايا في التشريعات الإسلامية من جميع جهاتها وحيثيّاتها.

كانت بيئة العرب عبارةً عن قبائل تقتل بعضها بعضاً وتُغير على بعضها الآخر، وكانت في حالة ضياع وفوضى وانهيارٍ تام، فقد أضاعت القيمة الإنسانيّة للبشر. ولذلك احتاج هذا الاعوجاجُ والاختلال المهول إلى سلطةٍ وإدارة حازمة قويّة تُعيد الأمور إلى نصابها، فهُنا استخدم النبي صلى الله عليه وآله القوّة مع بيئة لا يُقيمُ اعوجاجها آنذاك حلٌّ آخر. وفي مثل هذا المورد ولإصلاح مثل هذا الوضع المُشتمل على هذا الاختلال الرهيب قال صلى الله عليه وآله «**الخيرُ كلُّه في السيف وتحت ظلِّ السيف، ولا يُقيم اعوِجاج النّاس إلا السيف**»[١].

وإلّا فأخبرونا أين تجد النبي صلى الله عليه وآله جاء وفرَض شيئاً بالقُوّةِ والقهْر واتّخذ من ذلك منهجا دينيّاً في دعوته بحيث يُفرض على أحدٍ أن يتعبّد بهذا الدين وإلّا مصيره أن يُقام عليه حدٌّ من الحدود على سبيل المثال؟

بل حتى مُواطِنُوه والذين كانوا بين يديه وتحت حكمه من الأديان الأخرى -كاليهودية والنصرانية- ما فرَض عليهم أن يُصبِحوا مسلمين، وأعطاهم الضمانات والمواثيق حتى صاروا يثقون بنزاهته وعدله إلى حدِّ أنهم حينما كانوا يريدون الاحتكام إلى أحد يقولون اذهبوا بنا إلى أبي القاسم -صلى الله عليه وآله-.

كذلك المنافقون الذين قالوا عنه «**أنه أُذُنٌ**»[٢] وسبُّوه وتآمروا عليه وقالوا عنه حسداً وحنقاً «**انظرُوا إلى عينيه تدوران كأنهما عَينا مجنون**»[٣]؛ ما أجرى عليهم حدوداً، بل اكتفى بتوبيخهم فقط، ولم يُعمِل فيهم السّيف.

نعم؛ هناك موارد مُعيّنة يُمكن استخدام القوّة فيها، وهي مُتوافقة مع

---

1 - جاء في الكافي الشريف للشيخ الكليني رحمه الله ، ج5 ص2 بلفظ: «**الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار**».

2 - جاء في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ،ج1ص73: ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن « على الذين يزعمون أنه أذن « خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين « الآية.

3 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج37 ص160.

الضمير الإنساني، لكنّ المشكلة هي أنّ نفس هذا المبدأ الذي هم يلتزمون به -في مواثيق حقوق الإنسان، ومجلس الأمن- ما إن يُقال به عند أهل الدين ويُصبح ذا صبغة دينية فإنهم يتحسّسُون منه، ويستنكرونه ويُشنِّعون عليه ويقولون أنّ هذا الدين إكراهي ويفرض على الناس أنظمةً معيّنة ونحو ذلك، مع كونهم يلتزمون بنفس هذا المبدأ والمضمون لكنهم لا يسمونه مبدأً دينيا، في حين أنّنا نؤمن بكونه مبدأً دينياً ونُسمِّيهِ بذلك!

الصرامة الإسلاميّة تجاه الشذوذ وأهله..

المحاور: يقول الغربيون ومن تابعهم أنّ الإسلام في تشريعه يتضمّن عقوبات صارمة على من يمارس الشذوذ، حيث يحكمُ الإسلامُ بقتله، وهذه مُصادرة للحُرِّيّة الفرديّة؟

سماحة الشيخ الحبيب: نقول لهؤلاء هل ترون أنّ كلّ ما يختاره الفرد -وإنْ كان بشعاً- هو من حريّته الشخصيّة التي لا ينبغي التّدخل فيها وفرض قانونٍ جزائيٍّ أو تنظيميٍّ عليه فيها؟

إن كان الجواب نعم؛ فإذن لماذا نراكم اليوم في البلاد الغربية تُوقعون الجزاءات والعقوبات على من يُمارس الجنس مع ابنته أو أُمِّه أو أُختِه والعياذ بالله؟!

فما تسمِّيه عندك ممنوعاً وتُخرجهُ عن دائرة الحريّة الشخصية، قد تجده في مجتمعات أُخرى حريّة شخصيّة كما في المجتمع المجوسي -مثلاً- الذي يبيح نكاح المحارم، ولا يرى فيه بشاعةً ولا مُنكراً.

فإذن؛ قضيّة تحديد الحُريّات الفرديّة والشخصيّة وما مقدارها ونطاقها ومعيارها، قضية خِلافيّة يُخضِعُها الناس لبيئاتهم وأديانهم وأفكارهم

ونظامهم الاجتماعي وغيرها من الأمور التي تجعل المجتمع يحرِّم هذا الأمر أو يسمح به.

الإسلامُ لا يرى حريّةً في ممارسة الشذوذ الجنسي ويُوجب عقوبات صارمة على ذلك العمل الشنيع، كما أنهم يقومون بوضع جزاءات على تلك الممارسات بين المحارم ولا يرونها حريّة شخصيّة، بل يعتبرونها أمراً ممنوعاً بقوّة القانون.

عقوبة القتل لمن يُمارس الشذوذ الجنسي هي في الإسلام عقوبة رادعة فيها تحصين للمجتمع من أوبئة المثليّة الجنسية التي تهدم كيان المجتمعات. فحفظ المجتمع أولى من إبداء الرأفة والتعاطف تجاه عنصر فاسد يريد تلويثه بالأمراض الجنسية وهدم بنائه الاجتماعي الفطريِّ السّليم وتقويضِه.

أمّا أن تتمّ مُصادرة حقِّ الإسلام كليّةً في تقنين مساحة الحريّات الفرديّة وسنِّ القوانين تبعاً لذلك بما ينسجم مع تغليب المصالح ودفع المفاسد، والتجنِّي على الدين الإسلامي واعتباره ديناً مُصادما لحُريّة الأفراد ومصادراً لها، فهذا يُعتبر من التّحامُل الواضح الذي لا يقوم على معايير علميّة أو أخلاقيّة.

الحلقة الخامسة

- هواجس حول الهوية الحقيقية للمتديِّن
- فكرةُ الشهادة عند المتديِّن
- تصوير «دوكينز» للمتديِّن والواقع العملي
- هل هذا هو المتديِّن الحقيقي
- ماذا عن المتدينين المجرمين؟
- زعماء دينيُّون مجرمون
- الشخصيّة الدينية الإيمانية الحقّة
- هواجس حول أسباب خلق الإنسان
- موقف الدين من التفكُّرِ في المُعتقَد
- التديُّن والنّزعةُ الدَّمويَّة
- كيف يبحث الملحد في آلاف الأديان؟
- المُستقبل للدِّينِ أم الإلحاد؟

هواجس حول الهوية الحقيقية للمتديِّن.

المحـاور: هنـاك اتِّهـام مِـن قبـل «ريتشـارد دوكينـز»؟ يقـول فيـه «أنّ المُتديِّـن الحقيقـي المُلتـزمَ بتعاليـم دينـه هـو المُتديِّـن الـذي يُفكـر في العمليّـة الانتحاريـة لكـي يستشـهد ويذهـب إلى الجنّـة، أمـا المُتدينـون الطيبـون الذين لا يعتقـدون بـما اعتقَـدهُ الأوائـل والأسـلاف فهُـم لا يعتقـدون بدينهـم عـلى نحـو جـاد، أو ليـس لديهـم إيـمان قـويٌّ بالديـن؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا كلامٌ يبعـث عـلى الضحـك، وذلـك مـردُّهُ إلى اختـلالات في شـخصية «ريتشـارد دوكينـز»[1] وقـد ذكرناهـا في جـوابٍ مـضى.

كـما أسـفلنا فإنّـه رجـل نلاحـظ عليـه الاضطـراب في التفكـير وضعـف الاسـتيعاب للفكـر الدينـي، ولذلـك فـإن فهمـه للفكـر الدينـي كثـيراً مـا يكـون مخجـلاً ومُحرجـاً حتـى لأقرانـه مـن الملاحـدة.

إنّ الرجـل متعصـب لفكـرة الإلحـاد ولذلـك يريـد أن يجُـور عـلى الديـن ويريـد أن يصـوِّر للآخريـن أنّ أي ديـن في الدنيـا لا بُـدّ أن يكـون دينـاً إرهابيـاً غايتـهُ إفنـاء النـاس في سـبيل المبـدأ الدينـي مـن خـلال مـا يُسـمّى العمليـات الاستشـهادية أو الانتحاريـة، وإلّا فإنهّـم ليسـوا بمتدينـين حقيقيـين إن لم يكونـوا عـلى تلـك

---

1 - تقدمت ترجمته.

الصورة التي يحصر فيها الفرد المُتديِّن! وذلك ليس سوى كلام اعتباطيٍّ أشبه بالهُراء!

فكرةُ الشهادة عند المتديِّن

المحاور: ألا تُفكِّر أن تستشهد في يومٍ ما؟!

سماحة الشيخ الحبيب: نعم، ولكن أطمح لنيل شرف الشهادة بين يدي إمام زماننا الحُجّة بن الحسن المهدي «عليهما السلام» في سبيل أهداف سامية دنيوياً وأخروياً وهي في الحقيقة تضحية من أجل الإنسانية وتخليصها من الشرور والظلم!

وليست الشهادة عندي أن أذهب وأفجّر نفسي في الأسواق أو المساجد والحسينيات وأقتُل النساء والأطفال والأبرياء، فليس هذا هو الدين!

إنّ الاستشهاد هو نوع من أنواع التضحية لأجل المبادئ الحقّة والسامية، وهذا أمر مقبول عالميّاً.

على سبيل المثال؛ العالم يحترم غاندي من جانب الثبات على المبدأ لأنه قُتِل متمسكاً بمبادئه، وعند من يعتقدون به قُدِّست روحه وأسموه المهاتما غاندي، والعالم يرى هذه الشخصية قد ضحَّت في سبيل الصالح العام للمجتمع والإنسانية، سيما وأنه كان صاحب فلسفة اللاعنف، من خلال عدم قبوله مُواجهة البطش الاستعماري بالعنف، مُعوِّلاً على تحريك حس الضمير لدى مُجتمع الطرفِ الباطش.

والشيء بالشيء يذكر؛ هنا نُشير إلى أنّ غاندي يؤمن باللاعنف في موارد معينة لا على نحو الإطلاق. فهو يقول في كُتبه أنه «**إذا كان المستعمر أو الغازي ينتمي إلى مجتمع له نسبة من الضمير يمكن إيقاظها واتقادها فحينئذ**

نواجهـه باللاعنـف».

نحـن لسـنا كالبكريـة والوهابيـة التـي تريـد القتـل لمجـرد التعطُّـش للقتـل والاسـتيلاء والإيـذاء، فليـس عندنـا شيء كهـذا في الثابـت مـن تعاليـم أهـل البيـت عليهـم السـلام البتّـة. ومُشـكلتنا مـع دوكينـز هـي لُغـة التعميـم، فهـو دائـماً مـا ينطلـق مـن عُمومـات إلى تعميـمات، في حـين أنـه يُفـترض بـه –إن كان أكاديميـاً منصفـاً ودقيقـاً– أن لا ينطلـق مـن العمومـات بـل ينطلـق مـن خصـوص هـذا الديـن لكـي ينتقـده بـما هـو وبـما فيـه. وعليـه أن يتفقـه في ذلـك الديـن ويرى مبادئـه وشرائطـه المُحكمـة، فأيـن عندنـا في الديـن الإسـلامي الأصيـل – ديـن الشـيعة– أنـه يجـوز لنـا أن نقتـل النـاس الأبريـاء بعمليـات تسـمّى استشـهادية؟ هـذا الأمـر مُحـرَّم عندنـا تمامـاً، وغـير مقبـول عـلى الإطـلاق.

إنّ ديننـا يَمْنَـعُ قتـلَ الشـيخ الفـاني، والمـرأة، والفتـى دون البلـوغ وإن كانـوا في سـاحة المعركـة ويشـاركون فيهـا! فكيـف بالأبريـاء الذيـن هـم خـارج سـاحة المعركـة؟!

هـذه المبـادئ مُقـرّرة عندنـا في شريعتنـا، ويمكـن ملاحظتهـا بالنظـر في بـاب الجهـاد مـن متُوننـا الفقهيـة. وفي هـذا الشـأن نُرجِـعُ الباحـث المُهتـم إلى الكتـاب القيّـم للسـيد المرجـع صـادق الشـيرازي دام ظلـه «**السياسـة مـن واقـع الإسـلام**»[1] خاصـةً في فصـول الجهـاد منـه.

وعليـهِ نقـول؛ أن يـأتي «دوكينـز» ويعمِّـم صورتـه تلـك عـلى كل المتدينـين فهـو أمـر يرفضـه أهـل الإنصـاف، ولا يـرون منطقـه سـوى كلام اعتباطـي بلغـة تعميميّـة لا تنطلـق مـن حقائـق علميـة، وليسـت مـن شـأن الأكاديمـي الحقيقـي

1 - قدم سماحة المرجع الديني السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله رؤية الإسلام لهذه المفردة (السياسة) التي عمل على صياغة أسسها آلاف المفكرين ومن عديد الأطياف الفكرية والدينية والسياسية، تلك الرؤية تضمنتها أطروحة سماحته قدمها في كتابه (السياسة من واقع الإسلام) التي يشير فيها سماحته إلى تلك السياسة المغيبة عن مسرح الأحداث بفعل الحكام في بلاد المسلمين، أو بفعل الجهل بتعاليم الإسلام نتيجة التراكمات التاريخية السلبية المتداخلة أو بفعل التعتيم الذي مارسته وتمارسه أدوات القمع السياسي والفكري والديني.

الـذي يفـترض أن لا يتحـدث بمثـل هـذه اللغـة.

تصوير «دوكينز» للمتديِّن والواقع العملي.

المحـاور: ولكـنّ تصويـر دوكيـز للمتديِّـن هـو الواقـع المحسـوس! فإننـا نشـاهد هـذا الأمـر في المتدينـين بالإسـلام، ونجـد أنـه إذا ازداد الفـرد منهـم تديُّنـاً فإنـه يجنـح إلى قتـل الآخريـن ومـا أشـبه!

سماحة الشـيخ الحبيـب: فئـة مـن المسـلمين هكـذا وليـس كل المسـلمين! وعـلى فـرض أنّ جميـع المسـلمين صـاروا هكـذا؛ فـأيُّ شيء عـلى الديـن ذاتـه إذا كان النـص الدينـي المُلـزِم لهـم وتعاليمهـم الدينيـة عـلى خـلاف مـا يفعلـون، وهـم سـاروا في طريـق آخـر معاكـس للتعاليـم الدينيـة؟! أي مسـؤولية تتحملهـا التعاليـم الدينيـة حينهـا؟

لماذا يتحمَّل الدين مسؤولية أفراد يَنْسِبُون أنفسهم إليه ولا يمتثلون له؟!

هل هذا هو المتديِّن الحقيقي.

المحـاور: كيـف تصـفُ المتديِّـن الحقيقـي، هـل هـو كائـنٌ عنيـف وعـدواني؟

سماحة الشيخ الحبيب: لا!

ماذا عن المتدينين المجرمين؟

المحـاور: ببسـاطة هكـذا قُلـت «لا»؟ هنـاك متدينـون عنيفـون مجرمـون يقتلـون ويأمـرون بالقتـل فـماذا عنهـم؟!

سماحة الشيخ الحبيب: هؤلاء ليسوا متدينين حقاً!

زعماء دينيُّون مجرمون

المحاور: هناك زعماء للديانة الإسلامية مُتدينون ومجرمون كأبي بكر البغدادي مثلاً، أليس هو من زعماء الديانة الإسلامية؟!

سماحة الشيخ الحبيب: نعم المذكور وأمثاله من زعماء الديانة الإسلامية (المُزيَّفة)، وليس من زعماء الديانة الإسلامية الحقيقية!

إنّ زعماء الديانة الإسلامية الحقيقية هم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. فلماذا تُحاسبني وتُحاكمني على جرائم مَن اتّبعُوا شخصية حاكم سياسي جاء واستولى على الحكم بانقلاب غادر، ومن ثم زعم أنه خليفة نبي الإسلام وأنّه زعيم ديني!

لم يكن أبو بكر بن أبي قحافة وهو مؤسِّس دين الطائفة البكرية التي ينتمي لها أبو بكر البغدادي[1] وأمثاله زعيمًا دينياً، بل كان زعيمًا سياسياً. وقد اتّخذ رداء دينياً وتلبَّس به لكي يوطِّد أركان حكمه السياسي فقط. فلمَ تحملني مسؤولية شخصية سياسية كانت لها أطماعها؟!

في الواقع إنّ هذه هي مشكلة «**دوكينز**» وغيره في نقدهم للإسلام، حيث يتوجب عليهم أن يحدِّدوا أي إسلام ينتقدون؟ لا بدّ من البحث والتفكير جيداً والنظر مليّاً في الفقه الإسلامي والمفارقات بين أتباعه وطوائفه. ولكنّ هؤلاء ما قرأوا كتاباً فقهياً إسلامياً واحداً فضلا عن قراءة كتب أهل ملة الإسلام والتمييز بينهم!

1- إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي وشهرته أبو بكر البغدادي (28 يونيو 1971 - 26 أكتوبر 2019) كان قائد تنظيم القاعدة في العراق والمُلقب بأمير الجماعات المسلحة التي تتسمى بـ»دولة العراق الإسلامية»، قام بإعلان الوحدة بين تلك الجماعات -»دولة العراق الإسلامية»- المسلحة ومنظمة جبهة نصرة أهل الشام في سوريا تحت اسم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي اشتهر بـ(داعش).

الشخصيّة الدينية الإيمانية الحقّة.

المحاور: صِف لنا من هو المؤمن المتديِّن بحق، وكيف يكون؟

سماحة الشيخ الحبيب: المؤمن الحق هو النموذج الأسمى للإنسان المتوازن، حيث لا يقع في إفراطٍ أو تفريط، وليس ذا نزعة سلبيّة تجعله ينزوي عن المجتمع والمحيط العام. وليس ذاك الذي يدخل المجتمعات بالدبَّابات والمتفجرات والأسلحة النارية.

بل هو الشخص المتّزن الذي يكون في كل الميادين شخصيةً منتجةً وفاعلةً وإيجابيّة ونشطة تهتم بالصالح العام وبالحريّة الحقّة والعدالة والمساواةِ الصحيحة بمقدار اهتمامها بأن يُوحِّد الناس الله عزّ وجل وأن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وبالأئمة الطاهرين عليهم السلام، فهو دائب العمل على حملات التوعية للمجتمع بلا إكراه ولا غلظة ولا فضاضة، وإن كانت منه قسوة وخشونة فإنما تقع على الأديان الباطلة والمبادئ الباطلة والرموز المُضلِّلة، فهو يوجِّه القسوة على المعتقَدات؛ لا على المعتقِدين. لأنّه يُفرِّق بين المعتَقَد وبين المعتَقِد، فله أن يهاجم المعتَقَد ويوهِنه وينال منه ويتحدّث بلغة حادة تجاهه، أما المعتَقِد فليس يغلُظ عليه في الخطاب إلا بمقدار ما يجد أنّ المُخاطب يحتاج توبيخا يُفضي إلى التنبيه.

هواجس حول أسباب خلق الإنسان

المحاور: ما سبب وجود الإنسان أساساً؟ وما هو السر في ذلك أصلاً؟ وبعبارة أُخرى؛ لماذا نحن هنا، وما سبب وجود الخليقة؟

سماحة الشيخ الحبيب: في الإجابة على تساؤلكم قد تكون النظرية

الشائعة -إن جاز التعبير- خصوصاً على مستوى تفكير المسلمين هي أنّ الإنسان مخلوقٌ لكي يعبد الله عزّ وجل، أخذاً بقوله تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[1] وهذا صحيح؛ إلا أنّ تلك ليست العلة الوحيدة وحسب، بل هناك عللٌ أخرى تُستَنْبط من الآيات والروايات، ومع الأسف لا نجد تلك العلل حاضرةً في منتديات النقاش والحوار مع ما يُسمّى العالم المتحضِّر ليتمكّن أن يأخذ صورةً أخرى عن الإسلام، وعن هذا الدين الأنفس والأصفى من الذهب، هذا الدين الذي ليس له مثيل.

يمكن لنا أن نعلِّلَ خلق الإنسان وإيجاده بأنه نظرةُ رحمةٍ من الله عز وجل بهذا المخلوق فإنّ من رحمة الله عز وجل بنا أنه قد خلق الإنسان لكي يتكامل وينضج ويجد نفسه في صفحة الوجود، ولا يكون عدماً بل يمنُّ عليه بهذا الوجود الذي هو أهم ميزة فينا، وأعظم ما يمكن أن يُقال فينا هو أنّنا موجودون وفي عالم الوجود. كان يمكن أن يشاء الله تعالى إبقاءنا في طي العدم، ولكنّ رحمته تبارك وتعالى جعلتنا نُوجَد فنتكامل وننضج ونجد ذواتنا ونعرف ما يُصلحنا ويُوصلنا إلى طريق الخلود الأبدي.

وهذا الأمر يمكن استفادته من القرآن الحكيم ذاته، فالله سبحانه وتعالى يقول: {**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**} أي خلقهم الله عزّ وجلّ للرّحمة.

{**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**}: يشير تعالى إلى الواقع التعددي وهو أن البشر متعددون في مشاربهم ومذاهبهم وآرائهم ونحو ذلك، {**إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**} فإن الله يهديه تبارك وتعالى إذا كان مُستحقّاً وصادقاً في طلب الهداية ويُثبِّته على الحق، {**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**}. وهذا المعنى مع ما سبقه من الآيات يُفهِمنا جملة من المعاني التي ينطوي عليها الخلق والمخلوقات وهي الرحمة،

1 - سورة الذاريات: 56.

والاختلاف والتعدد، والهدى والرشاد، والنور، وقيمة الكينونة في صفحة الوجود، ونعمة إنضاج الإنسان وتهيئته للتكامل ليكون لا سيّد نفسه فقط بل سيّد الموجودات وأفضلها، ولهذا خلق الله الإنسان.

وقد قال بعض علماء الغرب(١): (**أنه كلما زادت معارفنا واكتشافاتنا العملية؛ كلما زدنا يقينا أن هذا الكون قد أُعِدَّ لاستقبالنا**).

فتخيّل أنّ قوّةً غيبيةً ما خلقت لك هذا الكون الفسيح وأعدَّت كل شيء فيه لكي يستقبلك، فأنت إذن الكائن المحظي والمُكرّم عند تلك القوّة الغيبية الجبّارة، وأنت الكائن الذي خلقك الله لكي يُذكِّرك دائماً بأنّك مرحوم ومشمول ومُحاط بالرحمة، ولذا فإنّ من أوجدك تراهُ في كلِّ سورة بدأ توصيف نفسه بقوله {**بسم الله الرحمن الرحيم**}، وحين بعث إليك نبياً قال لك إني بعثته رحمةً للعالمين، ونحو ذلك.

إذن؛ هذه القيم والإشارات السماوية تعطينا مقاماً كريماً وعظمةً وحظوة، وتُفهِمنا أنّنا نستحق هذا الوجود ولذا رحمنا الله عزّ وجل فأوجدنا وخلقنا لكي نحظى بمثل هذه الرفعة والسمو والمجد الذي يوصلنا إلى حالة من السعادة والكرامة الأبدية في جنّة الخُلد، ولهذا خَلَقَ الله الإنسان.

وإلّا فإنّ الله عز وجل ليس بحاجةٍ لعبادتنا وهو غنيٌّ عنها، ولا تزيد عبادتنا في شأنه شيئاً، كما أنّ كُفرنا أو عصياننا له تعالى لا يُنقص منه شيئاً.

إننا نقرأ في تعقيبات الصلوات «**إلهي هذه صلاتي صليتها لا حاجة منك إليها ولا رغبة منك فيها، بل تعظيماً وطاعة وإجابةً لك إلى ما أمرتني به...**»(٢).

غاية ما هنالك أنّ الله عزّ وجلّ أراد أنْ يرحمنا وأن يُكرِّمنا بالوجود ويهبنا

1 - هو: العالم الفيزيائي البريطاني فريمان دايسون..
2 - المصباح، الكفعمي، ص21.

الحياة التي ترفعنا من مستوى العدم إلى مستوى الوجود والسمو والرفعة والمجد والسعادة الأبدية. ولأنّه صانعُنا فقد علّمنا كيف نستفيد من نعمة وجودنا فرسم لنا خُطّة ومنهج تكاملنا ووصولنا للفوز الأبدي.

موقف الدين من التفكُّرِ في المُعتقَد.

المحاور: ما ردكم على من يقول أنّ مساوئ الدين أكثر من إيجابياته؟ يقول دوكينز: «إن الدين ضار لأنه يعلِّم أصحابه أنهم لا يجب عليهم أن يجدوا العلة لمُعتقَدِهم، ولا يجب عليهم أن يأتوا بأدلة على مُعتقَدِهم»؟

سماحة الشيخ الحبيب: هذا أيضاً مثال على الاضطراب الفكري لهذا الرجل.

ما ذكره «دوكينز» صحيح بالنسبة إلى قسمٍ من الأديان، وخاطئ -على الأقل- بالنسبة إلى دينٍ من الأديان، فلِمَ هذا التعميم؟!

نعم، في النصرانية الأمر هو على ما يقوله «دوكينز» وخصوصاً في المجتمعات الغربية، بخلاف النصارى الشرقيين -العرب- الذين يحاولون الظهور بصورةِ الفرد المنطقيِّ حين يدافع أحدهم عن اعتقاده في التثليث، وذلك نتيجةً لتأثُّره بالبيئة الإسلامية التي تحتكم إلى الدليل والبرهان والنقاش العلمي.

أما المجتمعات الغربية فلأنها كيانات متقدمة ومتحضرة والسيادة فيها لِلُّغة الأكاديمية؛ فإنّك لا تجد هنالك قسيساً يناقش منطقيّاً في مسألة التثليث وإثباتها بُرهانياً طبقاً للقواعد المنطقيّة، وإنّما يجيبك بهذه العبارة الشائعة «عليك فقط أن تؤمن بهذا الموضوع»!

فلو كان «ريتشارد دوكينز» مُنصفاً ومُطَّلعاً أكثر لَعَلِمَ أنّ كلامه هذا يُضحك الناس عليه ويخزيه ويدعوه للخجل من نفسه! فكيف يزعم أنّ الأديان هي التي تُعلِّم أبناءها الإيمان بالمُعتقَد الديني جزافاً بلا حُجّة ولا برهان،؛ في حين أنّه يوجد دين هو من الأديان الرئيسية في هذا الزمان وله انتشار واسع حيث يناهز عدد أتباعه النصف مليار وهو إسلام الشيعة -على الاصطلاح الغربي- لدى المسلمين الشيعة ستجد في كل رسالةٍ عمليَّة صادرة عن كل مرجعِيَّةٍ دينيّةٍ المسألة رقم «١» وفيها أنّه «**لا يجوز التقليد في أصول الدين وإنما يجب الاعتقاد بها عن دليلٍ وبرهان**»[1]. وهذا كافٍ في تكذيب «دوكينز» أو وصْمِهِ بالجهلِ على أقل تقدير.

إنّ على دوكينز أن يتحدث هكذا عن النصرانية، أو عن أديان أخرى هو واقفٌ عليها تفصيليّاً، وأمّا عن ديننا -الإسلامي- فهو لا يعرف شيئاً.

أنْ تلتقط الصورة العامة التي تصلُك من الإعلام أو من خلال الجماعات الإرهابية وتبني عليها؛ هو أمرٌ يجعلك بعيداً عن اللغة والمنهجية الأكاديمية.

إذا كان دوكينز أكاديميّاً حقيقياً فعليه أنْ يحقق ويفتِّشَ أكثر ليكتشف كيف أنّه يظلم بعض الأديان التي يحسبُها كسائر الأديان الأخرى المُبتدَعة أو المُختَرَعة.

التديُّن والنّزعةُ الدَّمويَّة

المحاور: يقول دوكينز «إنّ المتدين يقول بما أنّني متدين فبإمكاني القتل لأسباب دينية، أمّا الملحد فلا يستطيع قول هذا لأنّه ليس هناك أي رابط منطقي في الموضوع» السؤال: ماذا قدّم الدين للإنسان

1 - راجع -على سبيل المثال- الرسالة العملية للمرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله (المسائل الإسلامية)، أحكام التقليد، المسألة رقم (1)، ص87.

غير الاختلاف والحروب؟ بخلاف الإلحاد الذي قدّم الرفاهية والتطور والعلم والتكنولوجيا؟

سماحة الشيخ الحبيب: نعم، بالفعل بعض الأديان ذات صبغة دموية، كالدِّيانة الوهابية فإنها في أوّل انطلاقتها عَبَّرَ مؤسسها «**محمد بن الوهاب**»[١] عن رغبته في الاستيلاء على الكون بسفك الدِّماء عندما وضع يده في يد ابن سعود وقال له: «**الدم بالدم، والهدم بالهدم**»[٢]، وكان مبدأه ومنهجه يقوم على تكفير الناس ومن ثم قتالهم وسبيُ نسائهم واستحلال أموالهم وأراضيهم، وبالفعل انتشرت الوهابية بهذا الأسلوب!

نحن نقول أنّ كلام «دوكينز» صحيح بالنسبة إلى بعض الأديان وبعض المبادئ الدينية المُحرّفة السائدة اليوم، وتلك تحتاج إلى تجريم أُممي كما جُرِّمت النازيّة. أمّا أن يُقال كلُّ الأديان على ذلك النحو؛ فهذا باطل.

هنالك أديان ذات نزعةٍ روحيّة مُجرَّدة، ليس فيها قتالٌ قط ومع ذلك يجنح بعض أتباعها للدموية. ولذلك علينا التفريق بين المعتَقَد وبين ممارسات المعتقِدين!

على سبيل المثال؛ المشهور هو أنّ الديانة البوذية لا تؤمن بالعنف، ولكن مع ذلك وجدنا مجازر فظيعة ارتُكبت بحق المسلمين في ميانمار من قبل البوذيين بدافعٍ ديني وبتحريضٍ من الزعماء الدينيين الذين أمروهم بقتل المسلمين!

ولكي نكون منصفين؛ فإنّنا لا نحسب هذه الممارسات الوحشية من

---

1 - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي وتنسب إليه الفرقة الوهابية، ولد سنة 1115هـ، وتوفي سنة 1206هـ، وقد أخذ شيئاً من العلوم الدينية وظهر منه أيام دراسته زيغ وانحراف كبير، مما دعا والده وسائر مشايخه إلى تحذير الناس منه، وفي سنة 1143هـ أظهر الدعوة إلى مذهبه الجديد، ولكن وقف بوجهه والده ومشايخه، فأبطلوا أقواله فلم تلقَ أفكاره رواجاً حتى وفاة والده سنة 1153هـ فجدد دعوته بين البسطاء والعوام فتابعه حثالة من الناس، فطرد إلى الدرعية فراجت أفكاره فيها واتبعه أميرها محمد بن سعود وعامة أهلها.

2 - عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر،ج1 ص89.

هـؤلاء الزعـماء الدينيين عـلى مُعتقَـد البوذيـة ولا نقـول أنهـا مـن صميـم العقيـدة البوذيـة أو مــن تعاليمهــا.

إنّ مشـكلة «دوكينـز» أنـه يعمِّـم حكـماً واحـداً عـلى جميـع الأديـان فيزعـم أن هدفهـا القتـل والجريمـة وسـفك الدمـاء بُغيـة فـرض الديـن بالقـوة! وهـذا غـير صحيـح؛ فمـن جانبنـا نحـن الشـيعة المسـلمون ليس عندنـا مثـل هـذه النزعـة الدمويـة، وهـذه كتـب الفقـه الخاصـة بالشـيعة أمامنـا لا تتضمّـن أيّ تعاليـم إرهابيــة.

فعـلى «دوكينـز» وأمثالـه أن يطَّلعـوا ويتعلّمـوا فقـه الشـيعة الرافضـة لسـنوات حتـى يقفـوا عـلى الحقائـق بأنفسـهم.

وأمّـا المقارنـة بـين المُتديِّـن والملحـد مـن ناحيـة النـزوع للقتـل والحـروب وعدمـه؛ فهـي أمـر باطـل بداهـةً. عجيـب مـن هـذا الرجـل كيـف لـه أن يقفـز عـلى مـا يُعـدُّ مـن البدهيـات والمحسوسـات المُشـاهدة والمُسـجّلة في التاريـخ البــشري!

إنّ أكـبر الحـروب التـي وقعـت وخلَّفـت أعظـم عـددٍ مـن الضحايـا مـا كانـت أسـبابها دينيـة، بـل قِسـمٌ منهـا كان ينطلـق مـن خلفيـات دينيـة، أمـا القسـم الآخر فهـو حـروبٌ كانـت ذات خلفيّـات وأسـباب سياسـية بحتـة، أو سياسـيةٍ غُلِّفـت بإطـارٍ دينـيٍ والديـن منهـا بـراء، أو أُخـرى تلبّسـت بذرائـع آيدولوجيـة مختلفـة!

فالشـيوعية -عـلى سـبيل المثـال- حينـما جـاءت وأرادت فـرض النظـام الشـيوعي عـلى العـالم قـد ارتكبـت كـمّاً هائـلاً مـن المجـازر! والشـيوعيون ملحـدون كـما هـو معلـوم!

أكـبر المجـازر الدمويـة التـي عرفتهـا البشريـة والحـروب جـاءت مـن هـؤلاء الشـيوعيين أمثـال «**فلاديمـير لينـين**» و«**سـتالين**» وغيرهمـا.

لقد قتلوا في روسيا قرابة الأربعين مليون إنسان ودمَّروا العالم كُلّه!

فلماذا يُنزِّه «**دوكينز**» الإلحاد؟!

إن قال أنَّ هؤلاء الشيوعيين ما فهموا الإلحاد جيداً أو كانوا يخدعون الناس برفعهم شعارات مُخادعة ولكنّ واقعهم الذي ظهر شيء آخر؛ قُلنا له اعتبر أولئك المتدينين الذين يمارسون مثل هذه الأفعال الإجرامية على الأرض مجرّد مخادعين يتّخذون الدين ستاراً!

وبعبارةٍ أُخرى؛ إن كان «**دوكينز**» يريد أنْ يُنزِّه العقيدة الإلحادية من ممارساتِ الملاحدة المُجرمين؛ فعليهِ أنْ يُنزِّه العقيدة الدينية من مُمارسات المُتديِّنين المجرمين أيضاً، خاصةً إذا كان هذا الدين -كإسلام الشيعة- ليس يتضمّن مثل تلك التعاليم والتأصيلات التي تدعو إلى سفك الدماء وإباحة الأعراض ونحو ذلك.

كيف يبحث الملحد في آلاف الأديان؟

المحاور: ما الذي تطلبه من «ريتشارد دوكينز» الآن؟ هل تريد منه أن يبحث في آلاف الأديان؟ ولقد سبق وذكرتُم أنّه يحتاج إلى سنوات لدراسة الفقه الشيعي وحده لكي يكوِّن نظرة صحيحة عن التشيع!

سماحة الشيخ الحبيب: عليه الرجوع إلى المُختصين الذين يُدرِّسون الأديان في الجامعات الغربية، ويسألهم عن الرأي المشهور في الفقه الإسلامي عند المسلمين الشيعة، وهل أنّ له ملامح دمويّة أو إرهابيّة أم لا؟! فليسأل مثلاً؛ هل يوجد فقيه شيعي واحد يُجيزُ أن يذهب شخصٌ بحزام ناسف ليفجِّر نفسه في الأسواق وغيرها؟! سيجد الجواب أنّه لا يوجد شيء من هذا القبيل في فقه الشيعة على الإطلاق!

فإن كان «دوكينز» لا يستطيع أن يبحث بنفسه ويقف على حقائق الأمور؛ فإنّ عليه أنْ يرجع إلى المُختصِّين.

المُستقبل للدِّينِ أم الإلحاد؟

المحاور: هل بقي مكان للدين مُقابل هذا التطوُّر العظيم الذي يشهده العالم البشري في الآونة الأخيرة؟

إنّ هنالك أسئلة قد أجاب عنها العلم في حين عجز الدين عن الإجابة عنها.. وهُنالك من يقول أنّ المستقبل للإلحاد لكونِ غالبية العلماء من الملاحدة، فما تقولون؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ المستقبل للدِّين الحق ونسبةُ إيماننا بهذا هي مائة بالمائة. أعني بذلك الدين الإسلامي الذي جاءنا عن الأئمة الشّرعيين من آل محمد صلوات الله عليهم. أمّا الأديان المزيفة فإنها ستندثر، لأنها ليست بالمستوى الذي تقبله الحضارة الإنسانية في تكامُلها ونضوجها.

لو لم يكن المستقبل للدين؛ لما وجدنا واحداً من كبار علماء الإلحاد وكان أشهر من نار على علم -وهو «أنتوني فلو»- يؤمن بفكرة الإله، وقد صدَّر كتابه الشهير بعنوان «**نعم: هناك إله**» فأحدث بذلك صدمةً لدى الملحدين ومنهم «**ريتشارد دوكينز**»!

نحن بدورنا نقول أنّه كلما ازداد البشر نضوجاً وتقدُّماً في الاكتشافات والحقائق والمعارف العلمية؛ كان ذلك في صالح رسوخ الدين وتعزيزه في نفوس وعقول ذوي الألباب أكثر فأكثر، وكان ذلك دافعاً أكبر للعلماء الملحدين في الصيرورة الى التديُّن.

وهنا تجدرُ بنا الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنّك لا تجد عالماً من مُختلف

التخصُّصات إذا كان مُتديِّناً ينتقل إلى الإلحاد، بل العكس هو الصحيح حيث تجدُ انتقال العلماء الملاحدة إلى التديُّن أو على الأقل إلى الاعتقاد بفِكرةِ الإله، وهذا يقتضي منهم البحث عن الدين الحق.

ومن أولئك الذين بحثوا عن الدين الحق البروفيسور «توماس ماكلوين»[1] الذي أسلم وتشيَّع وقد قابلتُه شخصياً. وهو رجلٌ لم يدْعُه أحدٌ إلى الإسلام أو التشيع، بل آمن بذلك من خلال علومه وعن طريق بحثه الشخصي، وهو نادرة من النوادر في تخصُّصِه.

لذلك نقول وبإيمانٍ تام أنّ المستقبل للدِّين عاجلاً أم آجلاً.. عيناً كما نقول دائماً أنّ المستقبل للتشيُّع؛ لأنك لا تجد من الشيعة أحداً ينتقل إلى الديانة البكريّة المُزيّفةِ عن اعتقاد وإيمان، في حين أنّك تجد في المقابل أفواجاً من تلك الديانات الزائفة تنتقل إلى التشيُّع عن قناعة وبحث وإيمان.

1 - توماس ماكلوين (بالإنجليزية: Thomas McElwain). هو بروفيسور أمريكي في الفلسفة واللاهوت وعلم الأديان المقارن. وهو محاضر في جامعة توركو بفنلندا. اشتهر بتحوله من المسيحية إلى الإسلام. بعد أن دخل توماس ماكلوين الإسلام، غير اسمه إلى «علي حيدر»، وقد اختار المذهب الشيعي الإثني عشري. وقد نشر بحثاً يثبت فيه «ورود واحدة من الإشارات عن كفر عمر بن الخطاب في التوراة والإنجيل!»

الحلقة السادسة

- فكرة الخالق حلٌّ أم إشكال؟
- ألا يمكن أن يكون استبعادكم للعشوائية مُبالغة؟!
- الكون مُنسّق لنا أم نحن تناسقنا معه؟!
- هاجس العشوائية والصدفة
- أيهما طارئ المادة أم القانون؟

فكرة الخالق حلٌّ أم إشكال؟

المحاور: هناك من يعترض على الدين بهذا القول وهو أنّ ربط وجود المخلوقات بالخالق ليس حَلاً لُمعضلةٍ بل تعقيدٌ لها، بمعنى أنّه ليس ذلك هو الحلُّ لإشكاليّةِ وجود الخليقة حيث فكرة الخالق تزيد المسألة تعقيداً. فما ردكم على هذا القول؟

سماحة الشيخ الحبيب: هذا قول باطل ولسنا نقول ببطلانه من وجهة النظر الدينية أو انطلاقاً من رأي المتدينين، بمعنى أنّي لستُ أصف هذا القول بالبطلان لكوني متديِّناً أؤمن بالخالق تبارك وتعالى، وإنما أصفه بالبطلان بناءً على الحقائق العلمية من جهة، وعلم المنطق من جهة أُخرى، وبعبارة جامعة إنِّي أصفه بالبُطلان لأنِّي أحترم عقلي وهذا الذي يدعوني لأن أصف ذلك القول بالبطلان، لأنّا إذا تأمّلنا جيداً لوجدنا أنّ التفسير الآخر لنشوء الكون هو التفسير الأكثر تعقيداً والأبعد عن الفهم العقلي والأبعد عن موافقة المنطق.

لاحظوا هنا أنّنا نفسر الخليقة بالخالق وذلك يعني أنّ هنالك قوة غيبية هي التي أنشأت هذه الحياة وأنشأت الكون وسنّتْ قوانينه، وهذه القوة هي قوّة عالمة حكيمة قادرة واجبةُ الوجود، وهذه هي صفات الإله تبارك

وتعـالى.

هـذا التفسـير أقـرب إلى العقـل مـن التفسـير الآخـر الـذي يطرحـه الملحـدون أو الماديُّـون فتفسـيرهم هـو الـذي عقّـد الأمـور أكثـر وجعلهـا أبعـد عـن العقـل.

ثـمّ مـا الـذي يطرحـه الملاحـدة؟! إنهـم يزعمـون أنّ الكـون قـد أُنـشيء بنـاء عـلى العشـوائية وأنّ هـذه الحيـاة بـما في نظامهـا الكـوني مـن تعقيـد ودقـة قـد نشـأت أيضـاً بشـكل عشـوائي! بعضهـم ذهـب قديـماً إلى أنّ هـذا الكون مُتسلسـل أزليٌّ ليـس لـه نقطـة بدايـة ولكـن تاليـاً انتهـت آراء علـماء الفيزيـاء والكونيـات إلى أنّ للكـون نقطـة بدايـة وهـي التـي يسـمُّونها بالانفجـار الأعظـم حيـث تعلمـون أنّـه تقريبـاً في الوقـت الحـالي هنـاك شـبه تطابـق بـين مختلـف العلـماء عـلى اختـلاف توجهاتهـم في القـول بـأنّ للكـون بدايـة سـواء فسروهـا بالانفجـار الأعظـم أو غـيره مـن نظريـات طرحـت تعديـلات عـلى نظريـة الانفجـار الأعظـم إلا أنّهـم جميعـاً بالنتيجـة انتهـوا إلى أنّ للكـون بدايـة؛ وحينئـذ أحـرج هـذا الأمـر أولئـك الذيـن أرادوا إثبـات تسلسُـل الكـون وأزليّتـه ولهـذا قالـوا بالانفجـار الأعظـم! ومـن هنـا وقعـوا في الاضطـراب فإنهـم إذا قالـوا بالانفجـار الأعظـم لزمهُـم أن يفسِّروا مـن أيـن جـاء هـذا الانفجـار ومـا هـي القـوّة التـي سـبّبت هـذا الانفجار الأعظـم؟!

فبالنتيجـة أنّ الكـون كان عدمـاً وبعـد العـدم نشـأت هنالـك مـادة انفجـرت وفقـاً لقوانـين فيزيائيـة مُعيّنـة وهـذا الانفجـار تبعـاً لتلـك القوانـين شـكّل هـذا الكـون ونحـنُ طـور مـن أطـواره. فالواقـعُ أنّهـم في سـبيل أن يتملّصـوا مـن إثبـات الإلـه المُوجِـد قالـوا بعـدّة نظريـات وإحداهـا تلـك التـي قالـوا فيهـا بـأنّ كوْنَنـا جـزء مـن مجموعـة أكـوان ليسـت ملائمـة بالـضرورة للاسـتمرار والتطـور وليسـت قائمـة عـلى القوانـين الفيزيائيـة التـي تحكـم كوننـا هـذا وذلـك مـا أفسـح المجـال تاليـا لنشـوء هـذه الحيـاة الكونيّـة المعقّـدة.

لماذا قالوا بذلك؟ من الواضح أنّ هدفهم هو التملُّص من إشكال كبير طرأ على نظريّتهم. يقول ذلك الإشكال أنّا لو حسبنا عمر هذا الكون بناء على القواعد الفيزيائية سنُقدر عمر الكون بكذا بلايين من السنوات مثلاً، وعليهِ فإنّ هذا الكون يحتاج لكي ينشأ بهذه الطريقة العشوائية وصولاً إلى الانتظام بهذا الشكل العجيب والتناغم بحيث يوفِّر البيئة المناسبة لنشوءِ الحياة الذكيّة المعقّدة التي نحن أحد تجلياتها إلى أن نُعمِل ما يُسمى في الرياضيات بقانون الاحتمال.

بمعنى تطبيق قوانين الاحتمالات الرياضية لننظر كم احتمالا نحتاج لكي يكون أحد تلك الاحتمالات هو الاحتمال الناجح أو الظرف الكوني الناجح الذي شكّل هذه الحياة.

بعبارة أخرى الآن أنا أريد البرهنة على شيء موجود و أنه نشأ بطريقة عشوائية لسبب عشوائي وهذا يحتاج إلى حساب نسبة الاحتمالات لنعرف ما تتطلبه هذه العشوائية وهذه الصدفة بحيث تكون ناجحة وتُحقِّق هذا الموجود وتكوِّنه.

وهذا له قواعد تحكمه وعلى أساسها وجدوا أنهم إن أعملوا تلك القواعد وفقاً لحساب الاحتمال فإنهم لتفسير الحياة المعقّدة التي نحن أحد عناصرها سيحتاجون إلى عمر أكبر وأطول من عمر الكون الحالي بأضعاف مُضاعفة لكي يصح الاعتماد على قوانين الاحتمال.

ذلك أنّ الاحتمال بالنسبة لعمر الكون الحالي فرصتُه في إصابة وتحقيق هذا النموذج من الكون البديع ونظامه فائق التناغم والدقة المُقارِنة للتعقيد هي فرصة لا تُسعفها العشوائية.

إنّ كلّ من يتأمل في هذا الكون يجد فيه تناغماً قائماً على نسب محدّدة قد

وُضِعت بدقّة تامّة لتُلائم الظروف البيئية والكونية بما فيها من موجودات.

كمثال على التناغم والتلاؤم الكوني للحياة بشكل دقيق جداً فإنّ العلماء يقولون فلننظُر إلى العشب الموجود في المساحات الخضراء لنجد أنّ العشبة الواحدة هنا أعقد وأشدُّ ذكاء من أفضل وأذكى «حاسب آلي» صنعه الإنسان إلى عصرنا هذا.

ذاك أنّ العشبة هذه أشدُّ ذكاء في التعامل مع الظروف المحيطة بها من هواء وماء وشمس.

فمن يتأمل في هذا الكون ويرى هذه الهندسة الدقيقة يشعر كأنّما مُصمِّماً ذكيّاً قد صمّم هذا الكون بهذه الدقة الفائقة فجعَله مناسباً لنشوء هذه الحياة الذكيّة المعقّدة التي يمثِّل الإنسان أحد أبرز وأهم عناصر منظومتها البديعة.

من يتأمل ذلك يصل إلى أنّ وراء ذلك الوجود المُحكم المُتقن مصمِّماً، ولهذا برز هؤلاء الذين ذهبوا إلى نظرية التصميم الذكي (**THE INTELLIGENT DESIGN**) وهذه النظرية يتبناها عدد من علماء الغرب المعروفين.

ومع ذلك تجد جمعاً من علماء الغرب يرفضون نظرية التصميم الذكي ويزعمون أنّ هذه الحياة المعقدة نشأت من الصدفة عشوائياً واتفاقاً. أي أنّ ذلك كما يقول «**ريتشارد دوكينز**»[١] كان ضربة حظ**!**[٢]

والحال أنّ «دوكينز» يلزمُه لكي يكون كلامه منطقياً أن يكون هذا الاحتمال مُمكناً من الناحية المنطقيّة وذلك بحسب قوانين الاحتمال، فإذا حسبوا قوانين الاحتمال وقد فعلوا ذلك؛ وجدوا أنهم إما يحتاجون إلى عمر أكبر من عمر كوننا بأضعاف كبيرة، أو يحتاجون إلى كون أكبر مِن كوننا أضعافا مُضاعفة.

1 - تقدمت ترجمته.
2- رحلة عقل ،د.عمرو شريف، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2011، ص137.

ألا يمكن أن يكون استبعادكم للعشوائية مُبالغة؟!

المحاور: أليس من الممكن أن يكون كلامكم هذا مبالغةً ربما؟

هـل المعقـول تفسـيركم أنتـم لوجـود هـذه المجـرات التـي لا تُعـد ولا تحصى بحيـث تجـاوزت المليـارات وكل مجرة تحـوي المليـارات مـن النجـوم وكل نجـم يـدور حولـه ربـما المليـارات مـن الكواكـب. فهـل وجـود هـذه المنظومـة الكونيـة الضخمـة صدفـةً واتِّفاقـاً قضيـةٌ مسـتحيلة؟ لربـما كلامكـم الـذي تقطعـون فيـه بنفـي نظريـة الصدفـة هـو مبالغـة بعـض الـشيء؟

سماحة الشيخ الحبيب: المتوجِّب علينـا أولاً أن نثبِّت القاعـدة أو كـما نقـول العـرش ثـمّ النقـش!

فلنفصِـل قبـل كل شيء في كـونِ هـذا الوجـود مُحكـمٌ ومتناغـم كأنّـما أُعِـدّ لاسـتقبالنا نحـن وتهيّـأ لهـذا الموجـود والكائـن الأكثـر تميُّـزاً وهـو الإنسـان وكذلـك الكائـن الحـي بشـكل عـام أم لا؟

هذه القاعدة يتحتّم أنْ نتّفق عليها أولاً.

انظـروا مثـلاً إلى مـا يقولـه الدكتـور الأمريكـي «**فريـمان دايسـون**»[1] الـذي ذكـر أنّـه كُلّـما **ازدادت معارفنـا وازداد وقوفنـا عـلى دقائـق هـذا الكـون وكيـف أنّـه متناسـب في أدقِّ دقائقـه مـع احتياجـات الكائنـات الحيّـة كُلّـما ازداد شـعورنا بـأنّ هـذا الكـون قـد أُعِـدّ لاسـتقبالنا مـن قِبـل مُعـدٍّ مـا**[2].

1 - تقدمت ترجمته.

2- Energy in the Universe, Scientific American, 1971, 224, p.50.

الكون مُنسّق لنا أم نحن تناسقنا معه؟!

المحـاور: لمـاذا لا تكـون هـذه المقولـة معكوسـة فيُقـال أنّنـا نحـن المتناسـقون مـع هـذا الكـون ومـع ظروفـه وقوانينـه وليـس الكـون هـو المتناسـق مـع وجودنـا نحـن؟

بمعنـى أنّـا تطوّرنـا لكـي نتناسـب مـع الوجـود ونتمكّـن مـن العيـش بهـذا الأسـلوب في هـذا الكـون.

سـماحة الشـيخ الحبيـب: أقـول أنّ العلـم والحقائـق العلميـة تُثبـت العكـس؛ ولا تُثبـت هـذا الـذي تقولونـه.

هاجس العشوائية والصدفة.

المحاور: ألسنا كائنات متطورة الآن؟

هـذه العشـبة قُلتـم بأنّهـا ذكيـة تسـتطيع أن تتناغـم مـع المحيـط البيئـي والمناخـي الـذي تتواجـد فيـه؟

سماحة الشيخ الحبيب: نعم هو كما ذكرتُ لكم.

من وضع في هذه العشبة تلك الميزة؟! هو هذا الكلام.

مـن خـلال سـؤالك كأنّـك تفـترض أنّ الحيـاة المعقّـدة هـذه نشـأت عـن طريـق الصدفـة بـلا غايـة وهـي تكيّفـت مـع هـذه الصُّدفة!

هـذا أمـر غـير معقـول! بمعنـى أنّـه لا بـدّ أن يكـون هنـاك مُنسِّـقٌ بـارع مـن وراء هـذا التناسـق وهـو قـد هيّـأ وأعـدّ هـذه النِّسـب الكونيّـة الدقيقـة فجعلهـا مترابطـة ومتناسـبة بهـذه الكيفيـة. فـنرى مثـلاً كيـف أنّ الكائنـات تحتـاج بعضهـا بعضـاً وذلـك يدلُّنـا عـلى أنّ الحيـاة تكوّنـت بهـذا الشـكل اعتـماداً عـلى نسـب دقيقـة في الكـون فـإذا اختـلّ شيء واحـد منهـا انعدمـت الحيـاة.

العلماء هكذا يقولون وبالنتيجة الآن يوجد شِبه تطابق على أنّ الظروف الكونيّة التي نحن نعيش فيها هي بالفعل الظروف الأوفق لنشوء الحياة.

والحاصل هو أنّ العقل لا يمكنه أن يتخيّل شيئاً وراء هذا الكون القائم بهذا الشكل والنظام الحالي ويكون ملائماً لظهور وتكيُّف وتناسب وعيش الكائنات الحيّة على نحوِ ما هو عليهِ في الواقع.

أي أنهم يقولون أنّ هذه هي البيئة المُناسبة والأمثل والأوفق، فكيف بعد هذا نفترضُ أنّ ذلك التناسب وُجِدَ لأنّنا نحن تكيّفنا مع البيئة؟! بل العكس هو الصحيح كما يقول « فريمان دايسون»[1] الذي دلّهُ الحسُّ والواقع المُعاش على أنّ هذا الكون قد أُعِدّ لاستقبالنا من قِبل قوّة أعدّتهُ لذلك الغرض. مع قطعِ النظر عن كون تلك القوة إلهيّة أم لا.

فإذا اتّفقنا على هذه القاعدة وهي أنّ الكون أُعِدّ بهذه الدقّة الفائقة ليكون ملائماً لنا؛ ننتقل إلى المرحلة التالية فنقول أنّ إيجاد الكون على ذلك النحو من الدقة يكشف عن أنّ الأمر لم يكن عشوائياً.

أمّا إذا أردنا أن نقول ذلك فلا بُدّ أن يكون ذلك مقبولاً وفق قوانين الاحتمال، ولكنّ قوانين الاحتمال ليست مفتوحة فإنّ لها حدوداً وضوابطَ لا تكون مقبولة إلا من خلالها، أي أنا لا يمكن أن أجيء فأريك طائرةً ما وأزعم مثلاً أنّ الطائرة تشكّلت بسبب انفجار ما! ولنقُل أنّه انفجار ما وقع في مصنع للطائرات والانفجار سبّب حالة من العشوائية أدّت بدورها إلى أن تلتصق هذه القطعة بتلك القطعة، وأن يلِجَ هذا المسمار في هذا الثقب، ويرتبط هذا الجهاز وهذا السلك بهذا الموضع وفي النهاية تشكّلت الطائرة صُدفة! هذا لا يقبله أحد، لماذا؟ لأنّه إن حملنا القضايا على حساب العشوائيات وقانون الاحتمال سيكون الاحتمال ضئيلاً جداً تبعاً لما يقبله

1 -تقدمت ترجمته.

المنطـق.

والمعنـى أنّ المنطـق يتوقّـف عنـد حـدٍّ مـا فهـو يقـول أنّ الاحتـمال لـه حـدود يُقبـل معهـا كـون هـذا الاحتـمال قـد نشـأ بالصُّدفـة.

فـإذا قيـل أنّ هـذا الموجـود قـد نشـأ مـن صدفـة أو مـن عشـوائية فـإنّ أهـل قوانـين الاحتـمال يضعـون لـه حـدّاً مُعيّنـاً[١].

فمثـلاً الاحتـمال واحـد مـن مئـة وخمسـين في ظـروف مـا هـو احتـمال ممكـن؛ بينـما احتـمال واحـد مـن بليـون مثـلاً غـير مُمكـن ولا يقبلـه المنطـق خصوصـاً عنـد حسـاب الاحتـمالات لأيِّ نـوعٍ مُعقّـد ودقيـقٍ مُحكـم.

فـإذاً لا يُمكـن أن يفـترض المـرء أنّ احتـمالاً نسـبته واحـد مـن بليـون مثـلاً وعـلى الأخـص في الأنـواع المعقـدة مـن الممكـن أن يتحقّـق بـلا تدخُّـلٍ مـن قـوّة مُريـدةٍ قـد صمّمتـه، أو بمعـزلٍ عـن عقـلٍ ذكـي بالنسـبة للطائـرة مثـلاً.

فلـو أنّي بالنظـر لقانـون الاحتـمالات أتيـتُ لأقـول لـك أنّ هـذه الاحجـار التـي أمامنـا يـأتي يـوم ونراهـا قـد شـكّلت كلمـةً أو شـبه كلمـة أو حرفـاً، فوجدنـا أنّ الاحتـمال لذلـك الحـدث هـو واحـد مـن سـبعين فحينهـا سـنقول أنـه ممكـن.

مـن الجائـز بالفعـل القـول أنّ هـذا بسـبب تدحـرج الأحجـار بطريقـةٍ مـا أو بفعـلِ عوامـل الجـو والبيئـة ممّـا أدى ألى تـراصّ الاحجـار بطريقـة مـا شـكّلت هـذه الكلمـة أو هـذا الحـرف.

ذلـك ممكـن الوقـوع في الصحـراء مثـلاً إذ يتّفـق أحيانـاً أن يـرى الشـخص

1 - أقول: قد يكون الشيخ عنى بعبارته الأخيرة هنا ما تُمثِّله الاحتمالات عند الرياضيين، حيث أنّه عند أهل الرياضيات الاحتمالات هي أعداد تنحصر في المجال بين العددين: صفر،1 وضمن هذا المجال يمكن الحكم على احتمالِ حصول الحدث العشوائي أو عدم حصوله. ولذلك يقولُ عالم الأعضاء الأمريكي (مارلين ب. كريدر): «إنّ الإمكانَ الرياضي في توفير العِللِ اللازمة للخلق عن طريق الصُّدفة في نِسَبها الصحيحة هو ضربٌ من الخيال اللّا معقول، وهو أقرب من لا شيء» المصدر: (The Evidence of God .p.117) وعلى كل حال هو ليس أقرب من لاشيء كما ذكر كريدر بل الاحتمال مستحيل بالنظر إلى الكون المعقّد.

منظـراً معينـاً فيقـول عجبـاً كأنـما هـذا حـرفُ كـذا أو كلمـة كـذا قـد تشـكّلت فذلـك ممكـن حسـب قوانـين الاحتـمال.

أمّـا أنْ أقـول لـك: هـذه الكامـيرا مثـلاً وُجِـدت مـن قوانـين الاحتـمال ومـن خـلال الصدفـة نشـأت؛ حينهـا يكـون هـذا الادعـاء خـارج الحـدِّ المقبـول في قوانـين الاحتـمال.

وبنـاءً عـلى مـا سـبق نُذكِّـر أنّ أهـل الاختصـاص قالـوا أنّ هـذا الكـون إن حسبنا عمـره وسـعته سـنجد أنـه لكـي يتقـدّم ويتطـور إلى الشـكل الحـالي الـذي هـو عليـه ويكـون ملائـماً لنشـوء الحيـاة بهـذه الطريقـة الذكيـة بحسـب قوانـين الاحتـمال إذا أردنـا أن نفسر ذلـك حسـب قوانـين الاحتـمال فـلا بُـدّ أن يكـون عندنـا كـون أكـبر عُمـراً وسـعةً مـن كوننـا. فقامـوا بإجـراء تجربـة في المعهـد القومـي البريطـاني أرادوا مـن خلالهـا التّحقـق مـن إحـدى الدراسـات التـي تفسِّر هـذا الكـون واسـم تلـك الدراسـة طريـفٌ بعـض الـشيء حيـثُ تُدعـى بُرهـان القِـرَدة.

تقـول هـذه التجربـة أنّـا إذا جئنـا بمجموعـة مـن القـردة ودرّبناهـا عـلى أن تطبـع أو تكبـس عـلى أزرار لوحـة المفاتيـح في الحاسـب الآلي فإنـه يمكـن لهـا أن تكتـب مقطوعـة شـعريّة مـن مقطوعـات شكسـبير صُدفـةً مـع تكـرار الضغـط العشـوائي عـلى أزرار الطباعـة لمـرات ومـرّات.

وبالفعـل أرادوا إجـراء هـذه التجربـة فأتـوا بسـتّة قـردة وأحـضروا لهـا حواسـيب آليـة بعَددهـا وتركوهـا تضغـط عـلى أزرار الطباعـة مـدّة مـن الزمـن فتمخّـض إبداعهـا وعبقريتهـا الأدبيّـة عـن لا شيء.

إنّ نظريـة الاحتـمال قـد طرحهـا بعـض الملحديـن في تفسـير هـذا الكـون فقالوا أنـه ممكـن الحـدوث بهـذه الدقـة! ونحـن نقول كيـف يصحُّ الاحتـمال والعشـوائية

في كـون بهـذه الدقـة والتعقيـد؟

إننـا نـرى الإحـكام والدقـة في كل شيء سِـمةً واضحـة، كبُعـد الأرض مـن الشـمس، والنسـب الموجـودة في الأرض، وبـدَن الإنسـان المعقّـد والدقيـق في تركيبـه والمتناسـق في أجزائـه في كل عضـو مـن هـذا الإنسـان نـرى دقّـة عجيبـة، وفي سـائر الكائنـات.

وللعلـم أقـولُ أنّ مشـكلتنا ترجـع إلى علّـةٍ نغفـل عنهـا وهـي أنّـا لا نلتفـت إلى مـدى دقّـة الكـون والخلـق بسـبب الاعتيـاد فنحـن معتـادون عـلى هـذا الكـون الـذي نـراه مـن حولنـا والبيئـة التـي نعيـش فيهـا فـلا نستشـعر هـذا الإتقـان البديـع في الوجـود وفي خلقنـا.

لا نـرى الإعجـاز في ذلـك كلّـه لأننـا اعتدنـا عليـه و لذلـك يقـول بعـض العلـماء إذا أردت الوقـوف عـلى أسرار الكـون فانظـر إليـه بعـينٍ تـراه للمـرة الأولى، وانظـر إلى ذاتـك كأنـك تراهـا للمـرّة الأولى لتكتشـف بالفعـل أنّ أسرار هـذا الكـون دالـة عـلى وجـود الله عـزّ وجـل.

المحـاور: إنّ الإنسـان إذ مـا نظـر إلى آلـة حديثـة مـن صنـع الإنسـان يتعجـب فكيـف إذا نظـر وتأمّـل في ذاتـه وبديـع صُنعـه للمـرة الأولى؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: أصبتـم؛ والشـاهد هنـا أنّ الملاحـدة أنفسـهم قالـوا نعـم صحيـحٌ أنّ الكـون مُرتـب ومُصمّـم بشـكل دقيـق يتـلاءم واحتياجاتنـا وبشـكل عبقـريٍّ إنْ جـاز التعبـير؛ ولكـنّ المُسـبِّب لهـذا عـلى خـلاف مـا تتوهمـون فليـس هنالـك قـوة عبقريـة مـن وراء نشـأة الكـون وليـس مـن قـوّة ذكيـة ومـا أشـبه! وإنـما كانـت القضيـة عشـوائية وصدفـة ونبرهـن عـلى ذلـك مـن خـلال التجربـة التـي نطرحهـا نحـن وهـي تجربـة القِـردة! وبالفعـل تمـت تلـك التجربـة برعايـة مـن المعهـد البريطـاني حيـثُ جـئ بسـتة قـردة لدراسـة نسـبة احتـمال كتابتهـم قصيـدةً لشكسـبير عـلى نحـو عشـوائي! فبقيـت القـردة تكبـس عـلى أزرار

الطباعـة الآليّـة مـدّة مـن الزمـن.

الحاصـل أنّهـم كتبـوا صفحـات تتضمـن حرفـا مُكـررا، وقـد فوجـئ الباحثـون بـأنّ القـردة عـلى مـدى شـهر تقريبـاً مـا تمكنـوا مـن تأليـف كلمـة واحـدة مفهومـة مـن قصيـدة لشكسـبير أو غيرهـا. بـل إنهـم لم ينجحـوا في أن يجعلـوا للحـرف دلالـةً مفهومـة بحسـب اللغـة الإنجليزيـة لأنّ الحـرف الأول في حـروف الهجـاء الأنجليزيـة إذا جُعِلـت مسـافة بينـه وبـين مـا يليـه فإنـه يعطـي دلالـة عـلى النكـرة.

مثـلاً: (**a car**) فحتـى بهـذا المقـدار لم تتحقّـق الصدفـة في برهـان القـردة فكيـف بـما هـو أعقـد تكوينـا بـما لا مجـال للمقارنـة معـه بحـال؟!

فمـن هنـا سـخر العلـماء الغربيـون مـن برهـان القـردة هـذا لأنهـم قالـوا أنّ هـذه القـردة وفقـاً لنسـب قوانـين الاحتـمال لم تُصـب كلمـة مـن قصيـدة لشكسـبير وهنـا نسـبة الاحتـمال أكـبر مـن نسـبة احتـمال أنّ الكـون منـذ الانفجـار العظيـم إلى زماننـا هـذا كـوّن هـذه الحيـاة المعقّـدة!

بمعنـى أنـه إذا كانـت القـردة السـتة تبعـاً للافتراضـات تمـارس العشـوائية في الطباعـة لمـدة شـهر فيمكـن لهـا أن تُصيـب قصيـدة لشكسـبير.

فلـو كانـت النسـبة فرضـاً عـشرة بالمائـة حسـب قوانـين الاحتـمال مثـلاً؛ فإنـه وفقـاً لقوانـين الاحتـمال يكـون حسـاب الاحتـمال لهـذه الحيـاة المعقـدة بهـذه الدقـة منـذ الانفجـار العظيـم إلى زماننـا أقـلّ مـن الاحتـمال المُفـترض بالنسـبة لبرهـان القـردة، ولنقـل أنّـه واحـد بالمائـة فرضـاً.

فقـال المعترضـون إن لم يثبـت ويتحقـق الاحتـمال في برهـان القـردة فهـذا الـذي يتعلـق بنشـأة الكـون الدقيـق المعقّـد لا يثبُـت بطريـق أولى إذا لم يكـن للقـردة أن تصيـب حسـب قوانـين الاحتـمال كلمـة واحـدة مفيـدة مـن قصيـدة لشكسـبير!

وعليـهِ قالـوا لا يمكـن لنـا إذاً تفسـير الكـون بهـذه الطريقـة إلّا أنْ نتخـرّص!

وهــذا بالفعــل هــو مــا دفــع بعضــاً مــن علــماء الغــرب إلى التخــلي عــن نظريــة الصدفــة والعشــوائية أو التشــكيك فيهــا عــلى الأقــل لأنهــم قالــوا لمــن يتبنــى تلــك الفكــرة أنــك أنــت هاهُنــا تُعقِّــد فهــم الكــون بشــكل أقــرب إلى أن يجعــل نشــأة الكــون مــن ضروب أفــلام الخيــال العلمــي فقــط!

أي أنّه ما من برهان منطقي في تلك النظرية على الإطلاق.

ودعنــي أضرب لــك مثــالاً آخــر عــلى النمــط الإلحــادي المُعقّــد في النظــرة الكونيــة.

مــن بــين النظريــات المطروحــة هــي نظريــة «**ســتيڤن هوكينــغ**»[١] الفيزيائــي الانجليــزي الشــهير المُقعــد.

لــه كتــاب بعنــوان: (THE GRAND DESIGN) أي «التصميــم العظيــم» في هــذا الكتــاب يطــرح نظريّــة لتأســيس الكــون؛ وطبعــاً «**ســتيڤن هوكينــغ**» يقــول أنْ لا حاجــة لافــتراضِ وجــود إلــه لأنّ الســاعة الكونيــة بالنتيجــة تكــون متوقِّفــة عنــد نقطــة الصفــر[٢].

أي أنّ الطاقــة الكونيــة تكــون صفــراً مــن حيــث الأصــل. فيقــول أنّ مــا قبــل ذلــك هــو عــدم! فــإذاً كيــف نشــأ الكــون؟ يقــول «**هوكينــغ**» أنّ الكــون نشــأ مــن خــلال قانــون الفيزيــاء وهــو قانــون تجــاذُب الموجــب للســالب والســالب للموجــب. أي يقــول أنّ الجاذبيــة هــي الطاقــة الســالبة في الكــون والمــادة هــي الطاقــة الموجبــة في الكــون وبســبب هــذا التجــاذب بــين الســالب والموجــب نشــأ الكــون مــن نقطــة الصفــر وأمّــا قبــل ذلــك كان الكــون صفــراً عدمــاً.

فــإذاً مــا هــو الموجــود؟! يجيبــك **هوكينــغ** بــأنّ القانــون كان موجــوداً !! هــذا المنطــق بذاتــه ولّــد ســخرية لــدى بعــض الفيزيائيــين الكبــار مــن الجانــب الآخــر

1 - تقدمت ترجمته.

2- Stephen Hawking & leonard Mlodinow. The Grand Desigen. 2010. p0180

كالفيزيائي الانجليزي الشهير البروفيسور «بول ديفيز»[1] وكانت له مقالة في «الغارديان» ينتقد فيها «**ستيفن هوكينغ**» وقد كتبها بعد نشر «**هوكينغ**» لكتابه[2].

كانت مقالةً نقديّة قال فيها أنه إذا كان الأمر على هذا النحو وإذا كنّا على الاستعداد لقبول هذه المقولات الاعتباطية بهذا الشكل فإذاً لماذا لا نقبل فكرة الإله لأنه يبقى هنا تساؤل مهم جداً وهو من وضع هذا القانون الفيزيائي الذي يعزو «**هوكينغ**» نشأة الكون له ومن جعلهُ قانوناً حاكماً من الأساس؟!

وكيف يمكن لطاقة هي صفر تماماً كما يطرح «**ستيفن هوكينغ**» أن تكوِّن كلّ هذه الطاقة الهائلة في الكون وهذا الخلق البديع بتفاصيله المعقّدة؟! لذلك قال «بول ديفيز» هذا أنّ ما يطرحه «**هوكينغ**» هو في واقع الحال عبارة عن مقولة اعتباطية سخيفة لا يسندها أي دليل علمي على الإطلاق إلا التخرص والخيال. وبعد ذلك أخبرونا بالله عليكم أيهما أقرب إلى العقل وإلى المنطق وأكثر بُعداً عن التعقيد؟!

هل هو القول بوجود قوّة حكيمة عالمة باعثة للوجود؟ أم كما يقول «**ستيفن هوكينغ**» الذي لا يجد جوابا لهذا السؤال: من أوجد القانون الفيزيائي وفعّلَ عمله؟ أو قول أصحاب نظرية الصدفة والعشوائية الذين لا تساعدهم قوانين الاحتمال في إثبات دعواهم الخيالية؟

وهَبْ أنّ قوانين الاحتمالات تساعدهم فيبقى السؤال المهم هو كيف

1- بول تشارلز ويليام ديفيز: عالم فيزيائي بريطاني مشهور. مواليد سنة 1946. مؤلف، ومقدم برامج، وأستاذ في جامعة ولاية أريزونا، ومدير مركز بيوند BEYOND للمفاهيم الأساسية في العلم، يشارك في معهد الدراسات الحكومية. ويتقلد مناصب جامعية أخرى. باحث في الفيزياء الكونية والنظرية الكمومية وعلم الفلك البيولوجي، وقد اقترح رحلة بلا عودة إلى المريخ كخيار ممكن الحدوث.

2- Paul Davies (2010 -09 -04). «Stephen Hawking›s big bang gaps». The Guardian. London.) 09--Retrieved 2010

لطاقة تساوي صفراً أن تكوِّن كلّ هذه الطاقة العجيبة ومن جاء بالقانون الفيزيائي أصلاً وجعله فاعلاً في تكوين الوجود؟

من يحترمون المنطق والعلم يقولون هذا تعقيد وبالأخص إذا ضممتَ لهُ نظرية الأكوان المُتعددة. فما الدليل على وجود أكوان مُتعددة؟

ليس القول بهذه الأكوان إلا محاولة بائسة للتفصِّي من إشكال أنّ الكون هذا كان في نقطة الصفر وأنّ إنتاج هذا القانون الفيريائي الملائم لِتوسُّع وتطوُّر الكون كان أمراً ناشئاً عن محاولة تفسير الصدفة بتوالد الأكوان، فكونٌ ينشأ وينطفي آخر وهكذا باستمرار حتى انتهينا إلى أنّ كَونًا واحداً من هذه الأكوان ما انطفأَ وهو كونُنا هذا الذي كان ملائماً للاستمرار!

القائل بالأكوان المتعددة يطرحها كتفسير لنشأة الكون لأنه مضطر، فحسب قوانين الاحتمال هو يحتاج إلى كون أوسع وعمر كونيٍّ أطول وهذه هي المشكلة التي حاولوا حلّها فافترضوا أنّه حتى قبل الانفجار الكبير كانت هنالك أكوان مُتعددة مُتوالدة، وكان هنالك بطبيعة الحال عمر وحجم أكبر للكون وذلك ليتمكّنوا من تفسير الأمر منطقياً حسب قانون الاحتمال، نحن نقول هل هنالك أيّ دليل على ذلك التفسير؟

لا يوجد أي دليل وهذه هي الميتافيزيقيا بعينها، وهذه هي الماورائيات والخيالات! فإنهم قومٌ لا يسندهم أي دليل في دعواهم على الإطلاق.

نعود لنسأل أصحاب الوجدان السويِّ والعقول المستنيرة فنقول لهم: أهذه النظريات التي طرقناها هي الأقرب للعقل أم تفسير الكون بهذا التفسير الأقل تعقيداً حيث يقول أصحابه أنّ هنالك قوّة حكيمة مُريدة عليمة خارجة عن حدود الفيزياء -بمعنى أنها غير مؤطّرة بحدود الفيزياء- وتلك هي التي سنّت قانون الفيزياء و من خلاله تطوّر الكون وبُعِثت فيه

الحياة والحركة، أهذا أقرب إلى العقل كما يقول «بول ديڤيز» أم غيره من النظريات المعقّدة الخيالية التي عرضناها وناقشناها؟!

أيهما طارئ المادة أم القانون؟

المحاور: هل تعنون أنّ المادة أوجدت القانون؟

سماحة الشيخ الحبيب: اذا قُلت بهذا فكلامك يكون على خلاف مذهب «**ستيڤن هوكينغ**»..

إنّ «**هوكينغ**» لا يقول بأنّ القانون طارىء على المادة بل يقول أنّ المادة طارئة على القانون فيُخالف عدداً من الفيزيائيين كآينشتاين حيث يقول بأنّ القانون طارىء على المادة بمعنى أنّ القانون الفيزيائي كأنّما اشتُقّ من المادة وليس العكس. في حين أنّ «**هوكينغ**» يقول أنّ القانون هو الأصل. فمن هنا يردُّ عليه «**بول ديڤيز**» فيقول أنّا إذا كنّا نقبل أنْ يكون هذا القانون هو الأصل في تفسير نشأة الكون؛ فلماذا إذاً لا نقبل الإله الخالق؟

إذا كان هذا القانون الذي لا يُعرف من أبُوهُ -إن جاز التعبير- ومن الذي جاء به؟ فأنتم إذاً قولوا هو الإله الذي لا تعرفون من أين جاء فهذا أبعد عن التعقيد من ذلك الذي يطرحونه من تفسيرات معقّدة.

في حين أنّ تفسير الكون بوجود الإله أوضح وأبعد عن التعقيد من تفسيره بمثل نظريات «**هوكينغ**» وغيره، لأنّنا نُثبِتُ إلهاً حكيماً عليماً صاحب مشيئة قد أبدع وصمّم هذا الوجود فبعث الحركة في الكون وأوجده وهو خارجٌ عن حدود الوجود -أي لا يمكن أن يتحيّز بالوجود، وإنّه واجب الوجود.

وبالمناسبة إنّ أضدادنا نحن المتديِّنون يتحدثون أيضاً عن موجودٍ هو

عندهـم واجـب الوجـود.

وهـذا التفسـير أيضـاً أقـرب إلى العقـل والمنطـقُ يقـول إذا قبلنـا كلام «**سـتيڤن هوكينـغ**» في كتابـه «**التصميـم العظيـم**» سـنكون حينئـذ في وحـل التخبـط والخيـالات وسـنغدوا جمعـاً مـن الاعتباطيـين. ولهـذا قـرّر «**ديڤيـز**» أنّ مقالـة «**هوكينـغ**» اعتباطيّـة لا يمكـن أن يسـندها أي دليـل علمـيٍّ عـلى الإطـلاق.

الحلقة السابعة

- مُستقبَل المعارف العلميّة الدينيّة
- التفسير الديني لنشأة الحياة
- دواعي المتدين للبحث في نشأة الكون
- البحث في أسرار الكون كفر أم دين؟
- هاجس العلاقة بين العلم والدين
- دعوة إلى السلام أم التخلُّف؟
- ماذا عن جانب المنفعة في اختراعٍ تدميري كالديناميت؟

مُستقبَل المعارف العلميّة الدينيّة:

المحـاور: في جولـة النقـاش الماضيـة أبطلتـم نظريـة عـالم الفيزياء «سـتيڤن هوكينـغ»، وهُنـا أريـد أن أسـألكم عبـارات مُقتطفـة مـن لقـاء مـع «هوكينـغ» وفيـه يقـول: إنّ العِلـم أخـذ بشـكل متسـارع بالإجابـة عـلى أسـئلة كانـت الإجابـة عليهـا مـن اختصـاص الديـن فقـط.

سـؤالي لكـم هـو: هـل نحـن بحاجـة إلى الديـن وإلى فكـرة الخالـق في هـذا العـصر؟ لا سـيّما بعـد أن تمكّـن العلـم مـن الإجابـة عـلى جميـع أو معظـم القضايـا المتعلقـة بالكـون والخلـق وكشـفِ كثـير مـن الأسـرار التـي لم يعرفهـا الإنسـان مـن قبـل.

أنتـم في الحلقـه الماضيـة قلتـم أنّ مـا طرحـه «هوكينـغ» مجـرد تخرصـات ونظريـات لا حقيقـة لهـا.

أقـول لكـم أنـه لربـما أتـت نظريـات في المسـتقبل قدّمـت إجابـات علميّـة أمتـن وأفضـل مـن تلـك التـي يعرضهـا الدِّيـن، فـما ردكـم عـلى هـذا القـول؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا أيضـاً كلامٌ يُمكـن القـول أنّـه مـن قبيـل المجازفـات، لأنّ الادعـاء بأنّنـا اسـتطعنا أن نفـسر كل شيء أو معظـم القضايـا

هـو ادعـاء باطـل لا محـلّ لـه فـإنّ الزمـان يُنبئنـا أنّـا لا نـزال عـلى أعتـاب حقائـق ومعـارف هـذا الوجـود ويكشـف لنـا عـن تبـدُّل النظريـات يومـا بعـد يـوم، فـما كنّـا نعتـبره ثابتـاً بالأمـس أصبـح شـبه منقـوض، ومـا كان منقوضـاً صـار بعـد حيـنٍ ثابتـاً وهكـذا، فأيـن هـذا مـن دعـوى تمكـن العلـم البـشري مـن تفسـير كل أو أغلـب قضايـا وأسرار وظواهـر الخلـق والكـون؟ كلا، هـذه مجازفـة ويحضرني هنـا قـول لعـالم الفيزيـاء النوويّـة الأمريكـي دكتـور «**جيرالـد شرودر**»[1] يقـول مُتحدثـاً عـن نشـأة الحيـاة ويقـول عـالم الفيزيـاء النوويـة : (**إن مجـرد وجـود الظـروف الملائمـة لنشـأة الحيـاة، لا يفـسر لنـا كيـف نشـأت)**[2].

مُداخلة اعتراضيّة من المُحاوِر:

المحاور: فلتسمح لي أن أقاطعك بخصوص هذه المسألة.

إنّ «يـوري»[3] و «ميلـر»[4] همـا عالمـان أمكنهما إجـراء تجربة في خمسـينيات القـرن المـاضي لتحضـير أحمـاض أمينيّـة بسـيطة باسـتخدام المكونـات التـي يُعتقـد أنهـا كانـت موجـودة عـلى القـشرة الأرضيـة مثـل المـاء والميثـان والأمونيـا والهيدروجـين. المهـم هـو أنّ هـذه التجربـة تـمّ فيهـا تحضـير هـذه

1 - جيرالد شرودر (Gerald Schroeder) هو فيزيائي، وعالم نووي من الولايات المتحدة الأمريكية، ولد في إسرائيل تعلم في معهد ماساتشوست للتكنولوجيا.

2- خرافة الإلحاد، ص١٨٩

3 - هارولد يوري: هو كيميائي أمريكي حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء سنة 1934، ولد في ولاية إنديانا في 29 أفريل 1893 وتوفي في 5 جانفي 1981 في كاليفورنيا. هو من قام باكتشاف الديوتريوم. اقترح في سنة 1952 ذ بأن الكواكب السيارة نشأت عن قرص غازي كان يدور حول الشمس. حصل يوري إلى جانب جائزة نوبل في الكيمياء لسنة 1934 على قلادة ج. لورنس سميث سنة 1962، وقلادة العلوم الوطنية الأمريكية سنة 1964، والميدالية الذهبية للجمعية الفلكية الملكية سنة 1966، وقلادة بريستلي من الجمعية الكيميائية الأمريكية سنة 1973. كما سميت باسمه فوهة قمرية ومذنب وجائزة يوري للإنجاز في علوم الكواكب التي تمنحها الجمعية الفلكية الأمريكية ومدرسة هارولد يوري المتوسطة في ووكرتون بولاية إنديانا وقاعة يوري بمبنى الكيمياء في كلية رافيل بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو في لا خويا بولاية كاليفورنيا. كما أنشأت جامعة كاليفورنيا في سان دييغو كرسياً باسمه، وأطلق اسمه على قاعة محاضرات في حرم جامعة مونتانا في ميسولا بولاية مونتانا.

4 - ستانلي لويد ميلر: هو عالم كيميائي وأحيائي أمريكي اشتهر بسبب دراساته في مجال التولد التلقائي وبالتحديد في تجربة ميلر-يوري التي أثبت فيها أنه من الممكن إنشاء مركبات عضوية من خلال عمليات كيميائية بسيطة من مواد غير عضوية. أكمل دراسته للحصول على درجة الدكتوراة في الكيمياء سنة 1954م في جامعة شيكاغو وقد أشرف على ستانلي في مرحلة الدكتوراة هارولد يوري، وقد ظهرت تجربة ميلر لأول مرة في ورقته التقنية في 15 مايو 1953م، والتي حولت مفهوم الأفكار العلمية حول أصل الحياة إلى مجال محترم من التحقيق التجريبي. وقد أصبحت دراسته تعريفاً كتابياً كلاسيكياً للأساس العلمي لمنشأ الحياة،

الأحماض الأمينية التي تُعدُّ اللبنة الأساسية للخلايا الحيّة وتُعد هذه التجربة دليلاً على النشأة الأرضية للحياة ولكنها كبقية التجارب لا تشرح آليّة نشوء الحياة.

بعض الفرضيّات تقول أنه يُمكن توالد الحياة بطريقة طبيعية من جزيئات غير حيّة في محيطات مِن الحَساء البدائي لمواد عضوية أوليّة أو في أعماق البحار بفعل التفاعلات الفيزيوكيميائية وفق احتمال التراكم العشوائي -الذي تنفيه أنتَ جملة وتفصيلاً- ولكنّ تلك العملية تتم تحت ظروف حراريّة مُعيّنة مع توافُر العامل الزمني المناسب. وعليهِ لربما تنشأ الحياة.

هذا جميعه يدلُّ على أنّ الكائنات الحيّة لربما وُجِدت عن طريق أجواء مناسبةٍ ما وخُلقت من خلال ظروف صالحة مُعيّنة.

الآن لربما لم نستطع أن نخلُق تلك الظروف ولم يتمكن العلماء من ذلك ولكن لربما استطاعوا في المستقبل إثبات شيء من هذا القبيل، فما ردُّكم على هذا القول ؟

سماحة الشيخ الحبيب: لو دقّقنا فيما نقلتهُ من كلامهم تجد أنهم قالوا «رُبّما» نشأت الحياة بهذه الطريقة، «رُبّما» نتمكن في المستقبل من إنشائها بهذه الطريقة، (رُبّما) هذه لا يمكن التشبُّث بها أو التعويل عليها بحال من الأحوال.

إذا كان الأمر هكذا فهل (رُبّما) يمكنُ في المقابل الرّدُّ عليها بـ(رُبَّما)؟!

هل يجدون ذلك دليلاً تامّاً إذا ما أجبنا على النظرية الإلحادية قائلين (رُبّما) تدركون وتعرفون في المُستقبل أنّ هنالك إلهاً خالقاً؟

هل هذا جواب مُسكِت أو مقنع بالنسبة لهم؟

فما داموا هُم يحومون في دائرة (رُبّما) فليس لهم أنْ يتكلّموا، ومن يملك

دليـلاً فليتكلـم.

المعلـوم والمقطـوع بـه اليـوم كـما يقـول «جيرالـد شرودر» هـو أنّ كلّ قوانـين الطبيعـة مجتمعـة لا يمكنهـا أنْ تُفـسِّر لنـا كيـف تنشـأ الحيـاة مـن المـادة غـير الحيّـة.

إنهـم كـما يقولــون توصّلــوا إلى تحضــير الأحمــاض الأمينيــة ولكــن؛ هــل اسـتطاعوا إحياءهـا؟ هـل تمكنـوا مـن تكويـن كائـن حـي مـن مـادة غـير حيّـة؟ مـا اسـتطاعوا ذلـك! إذاً القضيـة ليسـت بهـذه السـهولة.

دعنا نضرب مثالاً:

أنـت قـد تتوصـل إلى أنّ الإنسـان مُكـوّن مـن هـذه الأجـزاء وأنّـه يحتـاج إلى كـذا مـن المـواد لكـي ينمـو ويعيـش ومـا إلى ذلـك... وعليـهِ فلتقُـم بتفصيـل كلِّ ذلـك واكتُبـه عـلى ورقـة ثـمّ انظُـر هـل يتكـوّن مِـن كل هـذا التفصيـل إنسـان حـيٌّ مـن لحـم ودم؟

فلتكتـب بالحـبر أنّ الإنسـان يتكـون مـن كـذا ويحتـاج إلى كـذا وقـد تولّـد في بداياتـه مـن نطفـة وبويضـة وتطـوّر بهـذه الطريقـه ويحتـاج أن يـأكل بهـذه الطريقـة ويتنفـس بهـذه الكيفيـة وينـام عـلى ذلـك النحـو، وأسـهِب في إعـداد مقـال تفصيليٍّ كامـل عـن الإنسـان، فلـن يُنشِـئ ذلـك إنسـاناً حيّـاً مـن لحـم ودم!

إنهم الآن في إطار وطورِ إعداد تقرير على ورقة!

إنهـم يقولـون أنّ الكائنـات نشـأت بهـذه الطريقـة ضمن هـذه الظـروف الملائمة للحيـاة وأنّ الحيـاة عـلى حـدِّ زعمهـم نشـأت مـن مـادة غـير حيّـة. فمعنـى ذلـك أنهـم يقولـون: نحنُ توصّلنـا إلى مـا يُسـمّى توصيـف القضيّـة لكـنّ إنشـاء الحيـاة بذاتهـا مـن المـادة غـير الحيـة ممتنـع! أي أنهـم غـير قادريـن عـلى الإنشـاء ولـن يقـدروا، لمـاذا ؟ لأنكـم حتـى السّـاعة إذا طالعتـم في حقـل الأبحـاث البيولوجيـة سـتجدونهم يقولـون أنّ كلّ شيء انكشـف لهـم اليـوم حـول مـا هـي الحيـاة ومـا

الظروف الملائمة لنشأتها، وما هي مادتها الأوليّة، لكنّ العجيب هو أنّه كيف يُمكن بعث الحياة وخلقها من الكائن غير الحي. فعلى سبيل المثال (DNA) هو في واقعِه شيفرة وراثية أي أنها شريط المعلومات. فهي عيناً كالحبر الذي كُتبت به المعلومات على ورقة، ذلك الحبر لا يُنشِئ القضايا التي كُتِبت به. فكيف لذلك الـ(دي إن أي) أن يصير كائنا حيّا؟ هذا الذي تمنعهم الغفلة أو العنجهية عن الالتفات إليه أو تجاهُله، ولذلك فشلت جميع التجارب في إنشاء كائن حي من مادة غير حية.

تلك العملية ليست على سبيل المثال مِن قبيل الاستنساخ الذي هو إنشاء حياة من حياة، وإنما إيجاد حياة من مادة غير حيّة، فالإشكال هو هنا. هنالك بعض التجارب التي أجروها كانت باعثة على السخرية خصوصا في العقود الماضية، وواحدة من تجاربهم كانت أنهم وضعوا اللحم في وعاء زجاجي على أساس أنّ اللحم مادة غير حيّة، ثمّ قالوا انظرُوا فلقد دبّت في هذا اللحم الحياة!

والواقع أنّهم تركوا اللحم في ظروف مُعيّنة وإذا بهم يجدون أنّ أجزاءً أخذت تنشأ في هذا اللحم، وقد اكتشفوا أنها عبارة عن ديدان! إنها ديدان متناهية الصِّغر كانت تتحرك، فهل يُسمّى هذا بعثاً للحياة؟! أو خُذ اكتشافاتهم المزعومة المُضحكة التي اتّضح أنّ حب الظهور هو الذي يقف وراءها لا غير والرغبة في تسجيل سبق علمي وهمي هو المُحرِّكُ لها.

لقد عرضوا جمجمة يزعمون أنها ترجع لملايين السنين وأرادوا من خلالها تفسير نظرية التطور الداروينية على أساس قولهم أنّ الإنسان تطوَّر من فصيلة أشبه بالشمبانزي، فقالوا انظروا إلى هذه الجمجمة! وقد كان جزء منها يُشابه جمجمة البشر والآخر يُشبه جمجمة الشمبانزي، ثمّ رجعوا بالخيبة حينما اكتُشِف أنّ الأمر كله عبارة عن خُدعة وأنّ تلك الجمجمة

المُزيّفة حديثةٌ ومصنوعة، فلماذا اللجوء إلى الكذب والاحتيال؟

ليس لذلك تفسير سوى أنّ هذا الصنف من الملحدين ليست دوافعه علميّة صرفة، وإنما هدفه الحقيقي هو تفنيد فكرة الإله الخالق بأي طريقة!

فالخلاصة هي أنّ الحياة أعقد شيء، وبالفعل لا يمكن لِامرئٍ أن يتوصّل إلى إيجاد حياة من مادة غير حيّة.

واهب الحياة هو الله عزّ وجل، وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أمرين كما أقول دائماً لا ينبغي الخلط بينهما وهُما:

١- اقتباس الحياة إن جاز التعبير ومن ذلك ما يُسمّى الاستنساخ

٢- إيجاد وإنشاء الحياة وهو شأن الإله الخالق العظيم وحده.

فبينهما فرق شاسع، حيث أنّ الأول هو إيجاد الحياة من المادة الحيّة.

والثاني إيجاد الحياة من المادة غير الحيّة.

إنّ الكائن الحي لا بُدّ أن تكون فيه صفات أساسية هي صفات الحياة، وصفاته هي أن تكون غايته البقاء والمحافظة على وجوده، بالإضافة إلى التكاثُر، تلك المميزات لا يمكن وجودها كصِفات ذاتيّة في غير الكائنات الحيّة.

أمّا الاستنساخ فليس خلقاً وليس بعثًا للحياة، بل هو اقتباس حياة من حياة، ففي عمليّة الاستنساخ تؤخذ الخلية من كائن حيٍّ فيتم الاستنساخ من هذه اللبنة الحيّة لتُزرع في كائن حيٍّ فتدُبّ الحياة.

لذا ترى مَن يخلطون بين الأمرين، فإنّ الجهلة من المتسمِّين بالإسلام كالوهابية وأمثالهم بادروا منذ الأيام الأولى من الإعلان عن استنساخ النعجة دُولّي إلى القول بأنّ هذا حرام ولا يجوز وهو تدخُّلٌ في صنعة الخالق

وإلى آخـره.

وفي المقابـل بعـض الملاحـدة السـطحيين قـد طـاروا فرحـاً وقالـوا هـا نحـن ذا اسـتطعنا أن نخلُـق فـإذاً (There is no need to God) هـا نحـنُ نجحنـا في إيجـاد كائـن حـي مـن غـير حاجـة للتناسـل الطبيعـي! فهـا نحـن قـد أصبحنـا خالقـين؟!

فهل هذا الذي فعلوه هو حقّاً خلق؟

كلا، هـذا ليـس خلقـاً كـما زعـم بعـض الملاحـدة، وليـس تدخُّـلاً في صنعـة الخالـق كـما زعـم الجهلـة مـن الوهابيـة، لذلـك في حينـه أجـاز المرجـع الدينـي السـيد محمـد الشـيرازي رحمـه الله الاستنسـاخ آنـذاك[١]. واليـوم مـن يحرمـه مـن فقهائنـا كالمرجـع السـيد صـادق الشـيرازي حفظـه الله[٢] فإنهـم يحرمونـه بالنظـر إلى لوازمـه أو آثـاره غـير محسـوبة العواقـب لا بعنـوان أنـه تدخُّـل في الشـأن الإلهـي.

أصـلاً اصطـلاح أو تعبـير «التدخـل في الشـأن الإلهـي» يعنـي أنّ الله تعـالى لـه اختصاصـات ونحـن اسـتطعنا أنْ نتدخّـل في اختصاصاتـه جـلّ وعـلا! فـإذاً صرنـا آلهـة والعيـاذ بـالله!

نعوذ بالله تعالى ونستغفره.

إنّ توهُّـم أمـرٍ كهـذا أو التلفـظ بـه هـو أصـلاً نقـص في الاعتقـاد بـالله عـزّ وجـل، ولذلـك كـما أسـلفنا فـإنّ هـذا الخلـط يقـع عنـد هـؤلاء مـن غـير المتعلمين جيـداً أو غـير المُلتفتـين.

ومجـددا نُذكّـر بالعـالم «**جيرالـد شرودر**»[٣] وكلامـه المهـم بشـأن الحيـاة ونشـأتها

---

1 - موسوعة الفقه، فقه المستقبل، ص١٣١.

2 - المسائل الفقهية المتنوعة، اعداد الشيخ منصور آل مبارك، ص١٧٠.

3- يقول جيرالد شرودر: «إنّ مجرد وجود الظروف الملائمة لنشأة الحياة، لا يفسر لنا كيف نشأت. نستطيع أن نقول على أحسن تقدير أنّ هذه الظروف (سمحت) بنشأةِ الحياة على كوكبنا واستمرارها ولكنّ كل القوانين التي نعرفها مجتمعة لا يمكنها تفسير نشأة الحياة من المادة غير الحية)

حيث قرّر أنّه يستعصي علينا تفسير كيفية نشأة هذه الحياة، وذلك طبعا بالنظر الى ما بلغته عناصرها من التعقيد. وإنّ أقصى ما يمكننا فهمه هو ظروف نشأة الحياة وأمّا كيف انبعثت الحياة فهذا عصيٌّ الفهم بالنسبة لنا.

إنهم بالفعل يقولون بالعجز عن بعث الحياة في المادة غير الحيّة مع كون كل شيء أو أغلب الأمور حول الخلق والحياة قد انكشفت لهم كما يقولون.

فإذاً جنابك تقول في سؤالك أنهم قاموا بهذه التجارب وحضّروا الأحماض الأمينية فهم الآن يعرفون شيئاً عن اللبنة الأولى للخلق ويستطيعون أن يصفوا لك بحسب ما عندهم من معلومات كيف نشأت الحياة تطوُّريّا، ولكن فلتسألهم؛ أنتم بالنتيجة إذا انكشف لكم كل هذا فلماذا إذاً لم تستطيعوا بعد إنشاء الحياة أو بعث الحياة في المادة غير الحيّة؟

أنا أتذكّر أنّه قيل بأنّ اليابان أصبحت رائدة في صناعة السيارات لأنّ أحد اليابانيين قد تعلّم من خلال الملاحظة حينما كان يعمل في مصنع للسيارات في إحدى الدول المُصنِّعة.

ذلك الشخص قال لنفسه إذا استطعتُ أنا المراقبة جيداً وأخذَ المحرِّك إلى اليابان وتفكيكه ثمّ تجميعه من جديد فسوف ننجح في صناعة السيارات - ولا حِظوا أنّ الأساس والجزء الذي تكمن فيه صعوبة الصناعة هو محرك السيارة بالدرجة الأولى- وبالفعل بهذه الطريقة قد نجحوا وتوصّلوا إلى صناعة السيارات، أي قد انتقل إليهم سرُّ المهنة إن جاز التعبير.

والمُفترض بالنسبة للقدرات البشريّة أنّ هذا هو الصحيح فالإنسان إذا علِم كيف يصنع شيئاً ما وتوصّل إلى طريقة إنشائه فإنّه يستطيع أن يصنع مثله.

«من كتاب رحلة عقل: ص١١٥»

فنقول حسنا؛ يُفترضُ أنّ القوم قد توصّلوا إلى معرفة كيفية نشأة الحياة ومن أيِّ مواد وفي أيِّ ظروف، فلِمَ إذاً لم ينجحوا بعد في بعث الحياة أو في إنشائها؟ لأنّ هذا هو معنى الخلق ومعنى إيجاد وبعث الحياة بعد أن لم تكُن، ولا خالق إلا الله تبارك وتعالى.

الخالق نعني به القادر على أن يبعث الحياة في المادة غير الحيّة، وهذا بالفعل شأنٌ إلهيٌّ خاصٌّ لا يُمكن لأحدٍ أنْ يقوم به .

التفسير الديني لنشأة الحياة

المحاور: إذا كُنت تُنكِرُ على هؤلاء الملاحدة جهلهم بتفسير نشأة الحياة فهل لك أن تشرح لنا نشأة الحياة؟

عندما يُسْأل المتدين فإنه يجيب على الفور بإرجاع القضية إلى الإله الخالق.

هو بذلك يُخبر عن واهب الحياة من هو؟ ولكنّ هذا لا يعطي جوابا عن كيف بدأت ونشأت الخلقة والحياة.

الآن علماء الفيزياء والبيولوجيا أخذوا بتبنّي أجوبة على هذه التساؤلات وإن كانت في مُجملها نظريّات تجريبيّة لربما بعيدة في بعض مضامينها كما تقولون عن المنطق.

من هُنا يقول بعضهم أنّ وجود الإله لا يشرح شيئاً عن نشأة الكون بل يُخبرنا فقط عن كون الإله هو السبب في وجود الكون والحياة.

وبالتالي أليست فكرة الإله الخالق ضارّة بالتربية الفكريّة والتعليم ونشأة الأطفال الذهنيّة؟

حينما نُعلم الأطفال أنّ هذا الوجود وهذه الحياة منشأها الخالق

وحسب. ألا نُعطِّل فيهم حسّ الاكتشاف والتعلم؟

لماذا لا ندفعهم إلى البحث عن أسرار الخلق ومنشأ الحياة بمعزل عن الجواب المعهود المتمثِّل في إرجاع الخلق والحياة إلى الإله الخالق؟

أما باتت فكرة الإله الخالق في هذا العصر من دواعي إلغاء العقل والفكر؟

سماحة الشيخ الحبيب: ليس من تخصصي أنْ أشرح نشأة الحياة فأنا لستُ بايولوجياً لأشرح كيف نشأت الحياة، لكنني أعتمد على تراثي الديني الذي بيّن لي أنّ هذه الحياة لها واهب وذلك الواهب هو الله تبارك وتعالى، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية من قال أنّا نمنع أبناءنا عن البحث في أسرار الوجود ونشأة الحياة؟

دواعي المتدين للبحث في نشأة الكون..

المحاور: ما الداعي عندكم للبحث إذا كانت الإجابة جاهزة لديكم؟

سماحة الشيخ الحبيب: هذا ليس كلاما منطقياً!

ليس يوجد مانع من الجمع بين الاعتقاد بالإله الخالق والبحث في أسرار الخلق .

ليس هنالك تنافر بين الأمرين، بل على العكس فكلما بحثت أكثر في أسرار الحياة والكون ونشأتها ترسّخ اعتقادك بالله عزّ وجلّ وازداد ثباتُ إيمانك بالإله الخالق الحكيم القادر المُبدع الذي أنشأ هذا الكون بهذه الطريقة الإعجازية وبعث فينا الحياة، وهذه النتيجة كما بينتُ لكم يذهب إليها

عـدد مـن أكابـر العلـماء في حقـل العلـوم التجريبيـة مُجتمعـة فمـن البايولوجيـين، الفيزيائيـين، والكيميائيـين مـن ذهبـوا إلى القـول بالتصميـم الذكـي[١].

فبعض علماء الطب مثلاً ذهبوا إلى نظرية التصميم الذكي، لماذا ؟

لأنّهـم مـن خـلال دراسـتهم حـين تأمّلـوا وتفحّصـوا وجـدوا أنّ هـذه الحيـاة تدلُّنـا عـلى وجـود الخالـق وليـس العكـس، وذلـك أمـر يحثُّ عليـه الديـن ويدعو إلى التأمُّـل في الكـون والموجـودات لأنّ الله عـزّ وجـلّ لـه في كل شيء آيـة تـدلُّ عـلى وجـوده وعظمتـه تعـالى.

إنّ «آنتـوني فلـو» الـذي ذكرتُـه في كلام سـابق يبـين لنـا انّـه كلـما ظهـرت اكتشـافات تفصـح عـن أسرار هـذا الكـون فـإن هـذا يُرسـخ الاعتقـاد بالتصميم الذكـي[٢].

بمعنـى أنّ التصميـم الذكـي هـذا هـو الوحيـد الـذي يفسِّر لنـا كيـف نشـأ هذا الكـون وصُمِّـم بهـذه الطريقـة الإبداعيـة الذكيّـة المعقّـدة والتـي وفّـرت الظـروف الملائمـة لنشـأة الحيـاة.

جـورج والـد وهـو أحـد الملاحـدة يقـول **أنّ احتـمال أن يكـون حـدوث الكـون**

1 - التصميم الذكي أو الرشيد هو حجة دينية تقول بأن «بعض الميزات في الكون والكائنات الحية لا يُمكن تفسيرها إلا بمسبب ذكي، وليس بمسبب غير موجه كالاصطفاء الطبيعي».. هذا المفهوم يعد شكلًا معاصرًا للدليل الغائي لوجود الله، يُقدم على أنه قائم على أدلة علمية بدلاً من الأفكار الدينية. وتم تعديله لتجنب الحديث حول ماهية المصمم أو طبيعته وهي بنظر مؤيديها نظرية علمية تقف على قدم المساواة أو تتفوق على النظريات الحالية التي تتعلق بالتطور وأصل الحياة، وترتكز فكرة التصميم الذكي على مفاهيم أساسية وهي التعقيدات المتخصصة والتعقيدات غير القابلة للاختزال والتي تدعي بأن هناك أنظمة بيولوجية معقدة بشكل معين بحيث لا يمكن تكونها عبر طرق طبيعية عشوائية، وهناك أيضًا مفهوم التوافق الدقيق للكون والمقصود به أنّ الكون قد صُقل بعناية ليسمح بظهور الحياة على الأرض. أثار مفهوم التصميم الذكي جدلًا في المجتمع العلمي بسبب محاولة أنصاره إدخاله إلى مجال التعليم المدرسي، إضافة لجذبه عددًا من العلماء والفلاسفة، ومنهم الفيلسوف أنطوني فلو الذي أعلن تأييدهُ للتصميم الذكي وأن هناك مصمماً ذكياً يقف خلف التطور، ورجوعه عن الإلحاد.

2- قـال «أنـتـوني فـلـو»: إنّ الـحـجـج الأكـثـر إثـارة لـلإعـجـاب عـلـى وجــود الله هـي الـمـدعـومـة بالاكـتـشـافـات العـلـمـيـة الـحـديـثـة وتـلـك الـحـجـج الـخـاصـة بـالـتـصـمـيـم الـذكـي أقـوى بكـثـيـر عـن مـا كـنـت قـد رصـدتـه مـن قـبـل.
Habermas,Gary R.9 December 2004,»My Pilgrimage from Atheism to Theism: An Exclusive Interview wite Former British Atheist Profesor Antony Flew

صدفة هو احتمال مستحيل[١].

البحث في أسرار الكون كفر أم دين؟

المحاور: هل أنت مُستعدٌّ أن تجعل ابنك يبحث حول نشأة الحياة؟! هل تعتبر هذا الأمر من الدين أم هو كفر بالدين؟

سماحة الشيخ الحبيب: قطعاً هو من الدين.

كيف يكون ذلك كُفراً بالدين، وكيف يكون مُضاداً لتعاليم الدين والحال أنّ المرء كلما تأمّل في نفسه وفي البيئة التي يعيش فيها يزداد رسوخاً في التدين وليس العكس.

نعم فليبحث أبناءنا في نشأة الحياة، وليُصبح الواحد منهم من عمالقة البايولوجيين في العالم ومن كبار علماء الأحياء.. نعم فليكُن.

فلْينظُر في الكائنات الحيّة وليذهب وراء البحث في (DNA & RNA) المهم أن ندعهُ يبحث في هذه الأمور وينظر ويُقارن ويُجري التجارب، لمَ لا؟!

كلما ذهب في بحثه إلى حدود أوسع كلما أيقن أنّ هاهُنا إلهاً خالقاً هو الباعث للحياة.

أنتم راجعوا ما يقوله كبار الأحيائيين والبايولوجيين في العالم اليوم، لا تعتمدوا فقط على ما يقوله «ريتشارد دوكينز»[٢] فلا بُدّ أن تُلاحَظ وجهات النظر الأُخرى أيضاً ويُرى أيها أقرب إلى العقل، فالبايولوجيون محتارون كيف يمكن أن تنشأ الحياة من المادة غير الحيّة؟!

بالنتيجة نحنُ لسنا نفسِّر سبب نشأة الحياة هكذا تفسيراً جزافياً وعليهِ

1- The Origin of Life, Scientific American, 191:48, May 1954

2 - تقدمت ترجمته

نقول فلنقف عند هذا التفسير! أي لسنا نقول: نعم الله هو الخالق فإذاً لا حاجة للبحث في أسرار الخلقة! ولا نقول الله هو واهب الحياة فلا حاجة للبحث في أسباب نشوء الحياة وتطوُّرها والظروف الملائمة لوجودها.

لا نقول بذلك ونراه منطِقاً ينطوي على فكرٍ متزمِّت رجعي، بَل نحن نقول أنّه كلّما تطوّرت معارف الإنسان واكتشف المزيد من هذه الأسرار والأسباب فإنّه يزاد رسوخاً في اعتقاده بالله عزّ وجل وثباتاً على دينه، إلا أنْ يكون مُتعنِّتاً فهذا موضوع آخر.

دعني أضرب لك مثالاً:

العلماء يقولون ليس هنالك أيّ فرق بين مُخ «**ألبرت أينشتاين**» وحفنةٍ من الرمال! فكلاهما مكوّن من بروتونات ونيوترونات وإلكترونات.

كيف نشأ عقل «**أينشتاين**»؟ هذا العقل المُتميِّز كيف تكوّن؟

ما الذي يُميِّزه عن حفنة الرمال تلك؟

لذلك الآن شبه إطباق على أنّ العقل شيء وراء الدماغ، أصلاً حتى هؤلاء الذين يحاولون بأي طريقة تبديل ذلك أي يحاولون القول بأنّ العقل ليس شيئاً وراء الدماغ وإنما هو نفس الدماغ بمعنى أنه ذات الإشارات الكهربية الموجودة في الدماغ لا يمكنهم أن يقدِّموا تفسيراً مُقنِعاً فتقديمُه صعب جداً.

من غير المقبول أن يقول أحدهم أنّ هذا العقل البشري الجبار العجيب هو مجرّد هذه الخلايا الدماغية التي يتقاسمُ وجودها كلُّ البشر تقريباً وتشاركهم في ذلك الحيوانات أيضاً، بل حفنة الرمال كذلك، فمن الصعب أنْ يُقال بأنّ القيم التي يشعر بها الإنسان ويتبنّاها كالعدل والمساواة والصدق هي قيم نابعة من تلك الإشارات في الدماغ.

هُنالك شيء وراء ذلك، وكلّما تأمّل الإنسان أكثر في هذه الحقائق والمعارف

توصّل إلى أنّ هنالك مَن خلق لنا عقلاً فائق القدرات لا نُدرك كُنهَهُ إلى هذه اللحظة.

بل أبسط الأمور لا نُدركها إدراكا كاملاً، فالنطقُ بالكلام هذا الذي يتميّز به بنو البشر عن سائر المخلوقات إذ يصف الفلاسفة البشر بأنه حيوان ناطق؛ البشر بحسب هذا الوصف حيوانات ناطقة تتعلم وتتعاطى وتفكِّر وتُنشيء حضارات وتتكلم وتُناقش، ولكنّ البشر إلى الآن عاجزون عن تفسير كيفية نشأةِ الكلام بيننا؟

النظرية التي كانت تُطرح عند الملاحدة أو الماديين هي أنّ الكلام نشأ على سبيل التطوُّر، يعني كأنّ الأمر وقع تبعاً للفطرة الإنسانية القاضية بأنّ البشر يحتاج إلى أن يتفاهم مع بني جنسه وبالنتيجة تنشأ في البداية أصوات معينة متقاربة بحيث تُتيح المجال للتفاهم والتواصل ثمّ تدريجيّا تنشأ اللغات وتتفرّع وتُشتقُّ من بعضها بعضاً.

هذه النظرية قد تمّ إبطالها بتجربة قاموا بها في العقود الماضية حيث جاءوا بأطفال رُضّع ما عرفوا كلاما قط وقد نشأوا في بيئات مُنقطعة عن الاحتكاك البشري، وقد تصوّروا أنّ هذه المجموعة ستكون لديها بطبيعة الحال القدرة على الكلام وأنّ أفرادها سيخترعون لغة خاصة فيما بينهم مع مرور الوقت، وإذا بهم يجدون أنّ هؤلاء الأطفال قد كبروا وبلغوا السنّ التي يُفترض أن يتكلموا فيها ويتخاطبوا فيما بينهم ولكنهم ما تكلّموا بكلمة واحدة، صمتٌ مُطبق إلا من الصراخ والأصوات التي لا دلالة لها، أي أنّه ما نشأت لغة فيما بينهم، فما تفسير هذا؟

هذا أيضاً تفسيره عندنا نحن المتدينون بأنّ واهب الكلام والقُدرة على الكلام هو الله سبحانه وتعالى. **(وعلّم آدم الأسماء كُلّها)**[1]

1- آية 31 سورة البقرة.

هنالك قوّة غيبيّة هي القوة الإلهية التي ميّزتنا عن سائر الحيوانات والكائنات وأعطتنا هذه القدرة على الكلام بهذه الأصوات ذات النسق الموزون المترابط المنتظم بخلاف الحيوانات والكائنات الأخرى التي يوجد بينها أصوات ولكن ليست كلاماً كالذي بيننا نحن البشر، هذا الكلام الدقيق المتنوع المنظّم في تراكيبه والذي نترجمه إلى كتابة وفكر وثقافة.

هذا جميعُه يدلُّنا على أنّ هنالك خالقاً هو المُعلِّمُ الأول إن جاز التعبير وهو الله عزّ وجلّ الذي علّم آدم الأسماء كُلّها.

هاجس العلاقة بين العلم والدين:

المحاور: هنالك اتّهام للدين بأنّه مُنافس أو مُضايِق للعلم، بمعنى أنّه لا يُفسح للعلم المجال في شرح وتفسير بدْءِ الخليقة لئلّا يقع المتدينون في مأزقِ عدم وجود الخالق!

فهل يسمح «الدين الإسلامي الحقيقي» كما يُطلق عليه جنابكم بإجراء جميع التجارب في جميع حقول العلم؟

سماحة الشيخ الحبيب: الدين يُنافس العلم على سبيل المُضايقة إذا كان دينا جاهليّا أرضيّا مُختَرعاً، فهذه العبارة صحيحة بذلك اللحاظ، أمّا الدين السماوي الحقيقي والذي نعتقدُ به نحنُ فإنّه لا ينافس العلم بل يكون حين إذٍ رديفاً لهذا العلم بل حاضنةً وضابطاً له.

أمّا عن الشطر الثاني من سؤالكم فنقول: نعم يسمح الدين بإجراء جميع التجارب التي تخدم العلم إلا أن يكون فيها محاذير تنطوي على تدمير البشريّة.

على سبيل المثال؛ لو أنّ الزمان يعود للوراء مُفترِضِينَ أنّ العالِمَ الذي

اخترع القنبلة الذرّية كان رجلاً مُسلِماً مُتديِّناً لكانت النتيجة أنّه ما كان ليمضي في هذا الاتِّجاه لأنّه لا فائدة أصلاً بل المضرّة هي الحصيلة. فيكون ذلك تبعاً لقوانين الإسلام الحق مُحرّم شرعاً، وإذا كان تحت سُلطة دولة إسلامية عادلة فإنها تمنعهُ وتُصارح صاحب الاختراع بأنّ هذا ليس علماً بل طغيان ولا يحقُّ له الإقدام على هكذا عمل باسم العلم.

العلم الذي يدفعُ الدين باتجاهه هو العلم الصحيح الذي يكون في نفع البشرية لا دمارها وإبادتها.

الجنون والعبث ليسا علماً، فتأمّل مثلاً في أنّ أربع أو ثلاث قنابل بحوزة روسيا وأمريكا اليوم بإمكانها إحراق البشرية التي تناهز سبعة مليارات إنسان إذا تمّ استخدامها في أماكن متفرقة من العالم في حال نشوب حرب بين البلدين!

فإذا –والعياذ بالله– وقع طيش من ذلك القبيل مُستقبلاً، فما العمل حينها؟

الآن توجد دول أخرى تمتلك أسلحة نووية كالكيان الصهيوني، باكستان، الهند، وكوريا الشمالية.

فإذا قيل أنّ أمريكا مثلاً يسودها نظام مُسيطر يمكن أن يقبض على يد من بيده المفتاح، لكن هنالك أنظمة يتسيد فيها المجانين أمثال «كِم جونغ أون»[١] رئيس كوريا الشمالية! تخيلوا أنّ ضغطة زر من شخص كهذا يمكنُ

---

1 - «كم جونغ أون» كما أنه يعرف بأسماء أخرى مثل «كم جُنغ يون» و»كم جونغ يون» يُعرف سابقاً باسم «كم جونغ وون» أو «كم جُنغ وون»، ولد 8 يناير 1983 في مارشال كوري، وهو الابن الثالث والأصغر لزعيم كوريا الشمالية السابق «كم جونغ إل» من زوجته «كو يونغ هي». ومنذ تولى شؤون البلاد تحت الحكم المطلق، بدأ بتنفيذ سلسلة من الإعدامات لم تتوقف، وقد ذكرت تقارير كورية جنوبية أن الزعيم الكوري الشمالي أعدم في سنة 2015م ما لا يقل عن 15 مسؤولا، لأسباب مختلفة من بينها الشك في الولاء، كما قام بإعدام مهندس احدى المطارات حيث لم يعجب بتصميمه، وإعدامه لوزير دفاعه هيون يونغ شول، وإعدامه لزوج عمته ومستشاره السياسي بتهم مختلفة، ثم قام بتعزية عمته بعد إعدام زوجها، وذلك منذ وصوله إلى سدة الحكم أواخر سنة 2011. أُعلن يوم 31 أغسطس 2016 قيام كم جونغ أون بإعدام وزير التعليم في كوريا الشمالية كيم يونغ-جين، وأكد هذه النبأ المتحدث باسم وزارة التوحيد في كوريا الجنوبية جيونغ جون

أن تُدمر البشرية!

فهـذا الـذي نتحـدث عنـه لم يكـن عِلـماً صحيحـاً ولم يكـن خـوض التجـارب فيـه عمـلاً رشـيداً، ولا مـا تمخّـض عـن ذلـك كان تطـوراً إنسـانياً سـليماً. فـإذاً هـذا هـو مـا يحرمـه الديـن.

المرجـع الراحـل السـيد «محمـد الشـيرازي» رحمـه الله [1] كان يقـول أنّـه حتـى الأسـلحة الحديثـة جميعهـا مُحرّمـة في الإسـلام ولا بُـدّ مـن العـودة إلى الأسـلحة البيضـاء القديمـة كالسـيف ، الرمـح، والنبـل ومـا أشـبه. لمـاذا؟

لأنّ الأسـلحة الحديثـة تقتـل بشـكل جمعـيٍّ وعشـوائي وتُوقِـع دمـاراً هائـلاً بحيـث أنهـا لا تقتـل المحـارب فقـط، وإنـما تقتـل جمعـاً مـن البـشر الأبريـاء غـير الحربيـين وتُدمِّـر المُنشـآت والحـرث والنسـل والحضـارة والعمـران والبيئـة.

مـا كان ذلـك التدمـير الشـامل الهائـل ليقـع لـو لم نختـرع هـذه الأسـلحة مـن قاذفـات، مدفعيـات، رشاشـات، قنابـل يدويـة وأنـواع الأسـلحة المختلفـة.

وللأسـف نجـد هـذه الأسـلحة المدمـرة في ازديـاد كـمّاً ونوعـاً ويتـم تطويـر قدراتهـا لتصبـح أكثـر فتـكاً مـع ازديـاد طغيـان وصراع قُـوى الـشر العنجهيـة في العـالم وتنافسـها عـلى تطويـر أدوات القتـل تلـك وجعلهـا ذات قـوة تدميريـة أكـبر وكأنّ هـذا نجاحـاً إنسـانيّاً وحضـارة مُثـلى للبشريـة.

دعوة إلى السلام أم التخلّف؟

المحاور: أليس هذا الاعتراض من قبلكم دعوة إلى التخلُّف؟

هي في مؤتمر صحافي، وقال مسؤول آخر إنه أعدم رميا بالرصاص، وأشارت وسائل إعلام إلى أنه كان متهما من قبل النظام «بالتحريض ضد الحزب والثورة»، وقد أدين مؤخرا بالجلوس في وضع غير لائق تحت المنصة خلال جلسة للبرلمان وخضع لاستجواب كشف عن جرائم أخرى.

1 - موسوعة الفقه، فقه البيئة، ص٢٢٩.

سماحة الشيخ الحبيب: كلا، ليس كلامنا دعوة إلى التخلُّف.

أن أُجرِّد البشريّة من الأسلحة التدميرية تخلُّف؟! «إنّ هذا لشيء عُجَاب»

إذا كان كلامنا دعوة إلى التخلف، فالدعوة المُضادّة هي دعوة إلى القتل!

في عالمنا المُلتهب اليوم تخيّل لو أنّه ليس بين أيدي الجيوش سوى الأسلحة البيضاء التقليدية أو المتخلفة كما يحلو لهم تسميتها.

أما كان عدد النفوس البريئة والممتلكات والمنشآت التي خسرناها أقل؟

مُداخلة من المحاوِر: ليست تلك السلبيات جميعها عن قصد وإنّما بعضها «نيران صديقة»؟

الشيخ مُعلِّقاً: نيران صديقة أو غير صديقة. بالنتيجة عدد القتلى سيكون أقلّ بكثير. بمعنى أنه لا يتمكن جيش من أن يقصف بلدة فيُباد جميع أهلها دفعة واحدة. فلم يكن لِيحصُل أن تُلقي أمريكا قنبلة في هيروشيما وناغازاكي فيقع فناء كامل للأبرياء بمن فيهم النساء والأطفال والشيوخ وغيرهم.

نسبة القتلى ستكون أقل بكثير. لكُنّا حفظنا الإنسان والكائنات الحية والمدن.

ودونكم اليوم «سوريا» فانظر إليها بعد ٤ سنوات من الحرب كيف أصبحت؟!

لن نتحدث عن الحربين العالميتين الأولى والثانية فذلك غنيٌّ عن البيان، دعنا في الدمار المعاصر ونتكلم عن سوريا الجميلة إلى ماذا استحالت؟!

كل شيء مهدم ومخرب فلقد أُتلفت مدن وقُرى هناك، وذاك جميعه بسبب القوى التدميريّة للأسلحة الحديثة أم بسبب الأسلحة البيضاء التقليدية كالسيوف والرماح؟

تلك الأسلحة إذا دخلت على مدينة مُشيّدة على أجمل طراز فإنها لا تستطيع أن تدمِّر البنيان ذاته وتهدمه على رؤوس أصحابه، ولهذا نقول أنّ الإسلام أو الدين يضبط مسيرة الاختراعات البشرية ويكفُّها عن المنحى التدميري لا التطويري السليمِ.

وعليهِ كيف يمكن أن يُنظر إلى مخترع الديناميت سوى على أنه مجرم؟

ماذا عن جانب المنفعة في اختراعٍ تدميري كالديناميت؟

المحاور: ألا ترى أنّ نوبل مخترع الديناميت قد أراد به الفائدة للبشرية؟ كانت أغراضه سلمية للاستفادة في حفر الأنفاق والتّعدين وما أشبه. ولقد وفّر على البشر الكثير من العمل المُجهِد. فلماذا لا يُؤخذ بالاعتبار جانب المنفعة من هذه الناحية؟

سماحة الشيخ الحبيب: إنّ هذا كله بالنتيجة خاضع للتقديرات، ولا بُدّ حينئذ من سلطة أخلاقيّة تضبطُ الأمور لئلا تخرج عن مسارها الصحيح، ولكن لم تكن هنالك جهة من ذلك القبيل فالسلطة التي يقبع هؤلاء العلماء أو المخترعون تحت يدها قد فتحت لهم الباب على مصراعيه وأطلقت يدهم ليقوموا بالمزيد من الاختراعات التي تُفضي إلى دمار هائل! وهُنا إشكالنا.

لذلك نقول لو كانت السلطة مُتديِّنة لصرفت مثل هذه الجهود فيما هو في صالح ونفع البشرية والحفاظ عليها، ولكن لأنّه ما كان هنالك دين سماويٌّ قويمٌ حاكم فقد وجدتم أنّ البشرية دمّرت نفسها بنفسها من خلال هذه التصرفات، وصارت هذه الاختراعات وبالاً علينا، ولا تخَلْ أنّ هذا فقط في الشؤون الحربية والعسكرية.

الكلام ذاته ينسحب على سائر الاختراعات التي طُرحت، فمن قال أنّ

هـذه الاختراعـات كلهـا كانـت في صالحنـا؟

كل شيء الآن مـن تلـك الاختراعـات إذا نظـرت لـه تجـد لـه نفعـاً مـا قـد يكـون جزئيّـاً، في حـين أنّ مضـاره أكثـر في جوانـب أُخـرى، وعـلى سـبيل المثـال؛ بعـد أن اختُرعـت وسـائل الترفيـه المختلفـة مـاذا كانـت النتائـج عـلى أصعـدة أُخرى؟

عـلى مسـتوى الطفـل سـبّبت تسـطيحاً عقليّـا للأطفـال وزرعـت في الطفـل حُـبّ الجريمـة لأنّ كثـيراً مـن هـذه الألعـاب هـو يـمارس مـن خلالهـا خططـاً وأسـاليب في القتـل والذبـح!

قـرأتُ في إحـدى الصحـف في التسـعينات أنّـه في أمريـكا وقعـت جريمة بشـعة تمثّلـت في أنّ طفـلاً ذبـح أخـاه لأنـه كان يلعـب مـع أخيـه فأحـضر سـكينا وذبحـه مـن الوريـد إلى الوريـد!

هـذا ناهيـك عـن قضايـا السـمنة وقِصر الأعـمار لأنّ الفـرد يجلـس ويلعـب ويشـاهد التلفـاز ويتّصـل ليأتيـه الطلـب جاهـزاً مـن المطعـم وهكـذا.

القصـد هـو أنّ الوسـائل ليسـت كلهـا في نفعنـا بنسـبة مائـة بالمائـة، فتقنيـات الاتصـال والتواصـل الحديثـة تعمـل عـلى موجـات ناقلـة منتـشرة في أجوائنـا، وهـذه التقنيـات وأمثالهـا قـد أتلفـت صحتنـا حيـث تفشّـت مشـاكل صحيـة خطـيرة كالسرطـان الـذي انتـشر بشـكل بـات أشـبه بالطبيعـي[1]!

---

1 -أقول: إنّ شيخنا الأستاذ يتحدث في هذه الجزئية بلغة الواقع الملموس بصرف النظر عن كون بعض الخبراء في منظمة السرطان الأمْريكية يقللون من مخاطر تأثير الموجات الكهرومغناطيسية كتلك المنتقلة بين أبراج الاتصالات عند مستوى سطح الأرض لكون احتمال التعرض لها يبدو قليلاً بسبب ارتفاع الأبراج والسير المتقطِّع للموجات. لكن لا يمكن الركون بشكل قاطع لتلك الدراسات حيث تكشف لنا الأيام والسنوات بمرورها أنّ كثيراً من التقنيات التكنولوجية لا نكاد ننبهر بما تنطوي عليه من مميزات، حتى تتكشف لنا بعد حين سلبياتها الخطيرة من جهات أُخرى. لذلك نحن بحاجة دائماً إلى درجات عالية من الحرص والوعي في التعامل مع تلك التقنيات المستجدة. وحتى لو افترضنا أنه بالفعل ليس من تأثير سلبي للموجات المنتقلة بين أبراج شبكة الاتصالات فتبقى مخاطر التعرض للأشعة الكهرومغناطيسية المنبعثة من الأبراج مشكلة قائمة! ويزداد الأمر على الجسد خطورة كلما كان قريبا من تلك الأبراج. وعلى ما ببالنا أنّ الوكالة الدولية للبحوث المرتبطة بالسرطان والتابعة لمنظمة الصحة العالمية تذهب إلى كون تلك الإشعاعات تُسرطنُ جسد الإنسان ومما تؤدي إليه سرطان الدماغ. هذا ناهيك عن أنّ هنالك قضايا محسوسة لا يمكن لأي دراسة المكابرة عليها ومن ذلك انتشار مشاكل اضطرابات النوم وهي تُلحظ في الأماكن التي يكون سُكّانها بالقرب من تلك الأبراج وهناك دراسات ربطت بين اضطرابات النوم وخطر الإصابة بالسرطان كما في الدراسة التي أجراها باحثون في جامعة شيكاغو على مجموعتين

ويوماً بعد يوم تدفع البشرية هذه الضريبة، وأعني ضريبة المدنية والحضارة غير المُرشّدة، فلو كان هنالك سلطة دينيّة أخلاقية راشدة لكُنت تجد أنّ هذه الاختراعات تُوظّف بنحوٍ ما في صالح البشرية ونمائها لا في دمارها وإضعافها.

كان يمكن توجيه تلك الاختراعات في نطاقات معيّنة والحد من سلبياتها وحصرها في نطاق معيّن، فليس كل شيء فيه رفاهية الإنسان هو من صالحه.

إذا عوّدت طفلك منذ الصغر على منحه قطع الحلوى المختلفة باستمرار، فسوف يحوِّله ذلك إلى طفل مريض.

إذا علّمته أن يكون مخدوماً مُرفّهاً على الدوام ولا يعرف التعب فكيف سينشأ؟ سيتحول إلى دُبٍّ ثم يُصاب بأمراض القلب ويموت، وذاك واقعي لأنّ أمراض القلب تبدأ من السمنة المرتبطة عادة بالكسل والخمول.

فالصواب هو أنّه لا بُدّ أن تُعرِّض ابنك إلى مواجهة الحياة وإلى الكثير من الأمور التي تنطوي على شيء من المشقّة، وهكذا بالنسبة للأمور الأُخرى.

إذاً نرجع إلى أصل الجواب على سؤالكم المُتقدِّم فنقول أنّ الدين لا يُنافس العلم فالدين هو العلم في الواقع، وذاك أنّنا لا نتكلم عن دين خرافي أو أسطوري وإنما نتحدث عن الدين الحقيقي الذي يساعد بالفعل على تطور

من الفئران. والمشكلة من جانب آخر هي أنّ هذا العالم الذي يعج بالمنظمات البيئية والتنموية الداعية للمساواة بين البشر في حق الحصول على حياة صحيّة آمنة تجد فيه تفاوتاً واضحاً بين الدول حتى في الحدود المسموح فيها بالتلوث الكهرومغناطيسي! وذلك التفاوت ربما يصل إلى مائةِ ضِعف! ومع ذلك تنبري بعض الهيئات الصحية في تبرئة أبراج الاتصالات مما يُنسب إليها من أضرار على صحة البشر. ولكنّ تلك التهوينات لم تمنع بعض الدول المتقدمة من استخدام التدابير الوقائية الحازمة بإبعاد أبراج الاتصالات عن المناطق السكنية ما أمكن.
إنّ القِيم المتعلقة بالإشعاع الناتج عن أبراج الاتصالات كما هو مصرّح به أنقصُ بكثير من الحد الأقصى المسموح به، ولكنّ كثيراً مما يُصطلح على تسميتها بـ «البلدان النامية» لا وجود فيها لقواعد تُنظِّم الإشعاع الناتج عن تلك الأبراج، ولم يتمّ أخذ القواعد الوقائية بعين الحسبان في المناطق السكنية والمأهولة في محاولات التقليل من التعرض للإشعاع.
ومن حيث المحصلة فإنّ نفي بعض الهيئات والمنظمات لمخاطر التأثيرات السلبية لبعض التقنيات على صحة الفرد يبقى محلّ نظر وتحفُّظ ولو من باب الاحتياط لكون لسان الواقع العمَلي في كثير من الزوايا أصدق وأبلغ في نظر المجتمع البشري

الفكـر الإنسـاني وثـراء التجربـة الإنسـانية وإيصالهـا إلى مزيـد مـن الاكتشـافات العلميّـة، لكنّـه يضبـط كل ذلـك بحيـث يجعـل المُخرَجـات والنتائـج في صالـح البشريـة ونمائهـا لا في تقهقرهـا ودمارهـا.

الحلقة الثامنة

- الدين والعلم المعاصر
- المعارف العلميّة في النص الديني
- النص الديني في ميدان العلم عمليّاً
- ألا يُستغنى عن الدين في هذه الحالة؟
- الإيمان بالماورائيات والعلم التجريبي
- هل تقود الفرضيّة المؤمن للإلحاد؟
- معنى تجاهُل المتديِّن لفرضيةِ الملحد
- معايير السؤال العلمي
- هاجس النظرية الدّارونيّة
- دواعي وصف الداروني ين بالجهل

الدين والعلم المعاصر

المحاور: في الحلقتين الماضيتين على الأخص أجبتم على الكثير من الأسئلة العلمية التي قد تبدو بعيدة عن المجال الديني بعض الشيء، وهُنا سؤال يُطرح مِن قِبَل كثير من الملحدين؛ ولربما يُعتبر اتِّهاماً للدين والمُتدينين حيث يُقال على لسان الملاحدة: هل يستطيع الدين الإجابة على الأسئلة العلميّة في هذا الزمان؟ وهل هذا أيضاً من واجبات الدين وتخصُّصه؟

سماحة الشيخ الحبيب: نعم إنّ بوسعِ الدين الصحيح والذي نعتقد به بحمد الله تبارك وتعالى أنْ يُقدم إجابات تفصيلية أو أوَّليَّة على كثير من الإشكاليات العلميّة أو المعرفيّة التي تُطرح بين الفينة والأخرى حسب سياقات العلوم التجريبية، ولكنّ ما يُعطل ذلك مع الأسف هو أنّ كثيراً من علماء المجتمعات الأكاديمية الغربية غير مُطّلعين على العلوم النقليّة الدينية وغير واقفين على دقائقها ولا مُتفقهين بلُغتها لذا لا يمكنهم الاستفادة منها، بمعنى أنّ هنالك مشكلة كبيرة في كونهم أجنبيين عن هذه العلوم التي ندرسها نحنُ في الحوزات العلمية لذا لا يمكنهم التعامل مع النص الدِّيني أو مع الأثر الديني بفهم وأسلوب صحيح[1].

1 - أقول: إنّ كثيراً من المعارف الكونية والعلمية في التراث الديني قد وصلتنا بلغة المُداراة. فقد قال أبو عبد الله الإمام

الصادق (عليه السلام): «ما كلّمَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) العباد بكُنْهِ عَقْلِهِ قَط. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» (الكافي - ج ١ - الصفحة ٢٣). والسبب في ذلك بحسب ما ورد عن آل محمد عليهم السلام أنّ عقول البشر لم تتكامل بالمستوى المطلوب ولم تصبح بعدُ قابلة لتلقي تلك المعارف العالية. البشر الذين يعاند أغلبهم أولياء الله تعالى وحُجَجه الذين عيّنهم لقيادة البشر ويحاربونهم ويجحدونهم. هؤلاء البشر المتمردون كيف يكونون أهلاً لأن يجعل الله تعالى بيدهم مفاتيح هذا الكون وأسرار معارفه وعلومه؟ فإنهم بهذا النزر اليسير الذي لديهم فعلوا الأفاعيل ونشروا الدمار والحروب والتلوث البيئي والجوع والفقر والمرض والفساد في العالم!

عن الإمام الصادق (عليه السلام): العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم (عليه السلام) أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضمّ إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً. (مختصر بصائر الدرجات: ١١٧) حينما يظهر خاتم الأوصياء المهدي من آل محمد عليهم السلام ويبسط حكومته العادلة سيكون أهل ذلك الزمان مؤهلين لانفِتاح عقولهم على تلك المعارف العالية لأنّ عمومهم سوف يؤمنون بحجة الله تعالى على العباد والمُنصّب من قبل الله تعالى ويتّبعونه والأمر الآخر أنّ بسْط حكومة العدل المهدويّة سوف يكون حائلاً دون استغلال تلك المعارف في الشر والفساد أو الخروج بها عن مسار النفع والخير.

في أصول الكافي بإسناده عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكمُلت به أحلامهم. (الكافي: ١ / 25 باب العقل ح 21) لذلك أنا كفرد من أهل الإيمان أستحمق وأستهجن تبجُّح بعض الملاحدة بما توصّلوا له من اكتشافات ليس يخلو أكثرها من سلبيات في جوانب أخرى قد تفوق الإيجابيات. نقول لهم أنتم سبب تعطيل مسيرة التطور البشري في نظرنا بكُفركُم وعصيانكم ونشركم الكفر فلو آمنتم وخضعتم وصدَقتُم في العَزم على الاتّباع والامتثال لِمن عيّنه الله تعالى إماماً للناس وقائداً للبشرية لكان الله تعالى منّ علينا بتعجيل وجوده بيننا ولكانت البشرية تعيش أكمل مستويات العلم والرّفاه والعدل والمساواة. وبماذا تمنُّون علينا؟! من ذا طلب منكم أن تكفُروا وتتمرّدوا ثمّ تزعمون أنّكم تُصلحون وأنتم في الواقع أفسدتم أكثر ممّا أصلحتم.

ها هو ڤايروس كورونا يجتاح العالم ويحصد أرواح الأبرياء ولقد وقفتم عاجزين أمامه بينما الاقتصادات العالمية والأرزاق والتجارات والأرواح والمصالح الاجتماعية تواجه التعطيل والكساد. فماذا استطاع ما تتبجحون به من تقدم علمي ومعرفي أن يصنع للناس في هذه الأزمة؟! لقد كشفت هذه الأزمة للناس أنكم أجهل وأضعف وأكثر تخلفاً على الصعيد العلمي والحضاري والإنساني مما تظنون! وأخصُّ بالذكر هذه الأخيرة. فإنسانيتكم المزعومة قد عرّتها هذه الأزمة حين تركتم كبار السن يموتون وأنتم تتفرجون عليهم. وعلى كل حال أنتم هذه دنياكم وهي جنّتكُم ولذلك من الطبيعي أن تعصروا أذهانكم وأبدانكم وأنفسكم وتشحذوا طاقاتكم جميعها في سبيل الوصول للرفاهية والهيمنة والعلو فيها، ومع ذلك ما زلتم لم تبلغوا من أهدافكم إلا ما هو سراب يحسبه الظمآن ماء.

أعرضتم عن الطريق الذي رسمه الله تعالى فسخّرتم أنفسكم عبيداً لدُنيانا نحن المؤمنون قَبْل دُنياكم، فها أنتم تكدحون وتجرون التجارب التي لا يخلو بعضها من إشكالات في الجانب الإنساني وتُمضون السنين فيها وبالنتيجة نحن ننتفع على حسابكم ممّا يسعنا الانتفاع به من مُخرجاتكم العصرية المشُوبة. وهذا أقلُّ تكفيرٍ تُقدِّمونه على جريمتكم في حق البشرية. تلك الجريمة المتمثِّلة في حرمانها من حكومة العدل الإلهي التي تحمل العلم الكامل الصحيح المُنضبِط. فأنا أراكم جمْعاً من المجرمين ولا فضْل لكم علينا في شيء مما تتبجحون به. أمّا المؤمنون الحقيقيون فحتى لو فرضنا أنه لا يوجد إسهام لهم في اكتشافات وعلوم هذا العصر وغيره من الأعصار- رغم أنّ هذا غير صحيح- ولكن على فرض ذلك فنقول لا يعيبُنا ولا يُنقِصُ من أقدارنا أن يقوّي الله تعالى قدراتكم البشريّة لِتُطوّروا ما أنتم مُتعلّقون به وترون أنه عالمكم الوحيد وجنّتكُم الوحيدة، ويصرِفنا سبحانه عمّا أشغلكم به ويُفرِّغنا تعالى للعمل لجنّتنا الأخروية الدائمة، وفي نفس الوقت يتركُكم الله تعالى كادحين في الدنيا تُطوّرون أساليب العيش فيها ما استطعتم لخِدمتنا نحن المؤمنون بلا كُلفةٍ علينا في ذلك، فنحن نأخذ من دنياكم لدنيانا وآخرتنا، ولنا الآخرة خالصةً من دونكم.

فحماقة الملحد تجعله في حالة من الانتفاخ الدائم ويحاول بذلك إظهار الفوقيّة والازدراء للمتدينين بما يرى أنّه فتوحاً علميّة دالة على تطور العقل الإلحادي وبالتالي أحقيّة وصوابيّة الكفر والإلحاد! وهو لا يعلم أنّ المتديِّن الحقيقي يسخر منه في أعماقه ويستسمج تفاهة منطقه وضآلة نظرته ومحدودية تفكيره لأنّ المتدين يرى الأمور من زوايا أبعد بكثير جداً من هذا التسطيح للقضايا، وبعض تلك الأبعاد قد أشرنا إليها في كلامنا المزبور.

المعارف العلميّة في النص الديني

المحـاور: هـل هنـاك بالفعـل نصـوص دينيـة يمكـن الاسـتفادة منهـا في هـذا الزمـان في حقـول المعـارف العلميـة المختلفـة؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: نعـم توجـد نصـوص دينيـة تحتـوي عـلى معـارف يمكـن الاسـتفادة منهـا في أبـواب العلـم المختلفـة في كل زمـان. ولكـن تعلمـون أيــن هــو الإشــكال؟

مربـط الفـرس هـو في كيـف تسـتفيدُ مـن النصـوص الدينيـة وتفهمهـا عـلى الوجـه الصحيـح لتسـتخلص منهـا المعرفـة السـليمة، فـإن لم تكـن فقيهـاً مُتعلِّـماً ومتذوِّقـاً لهـذه اللغـة الشرعيـة فلرُبّـما تـأتي قراءتـك بنتائـج عكسـية.

انظـروا اليـوم إلى القـرآن الحكيـم بهـذه التراجـم المتداولـة لتُدركـوا أنهـا قـاصرة عـن أداء المعنـى اللغـوي العـربي البليـغ، فهـذه التراجـم حينـما تقـع بـين يـدي أكاديمـي غـربي فيقرأهـا عـلى ظاهرهـا وليـس لديـه فقـه باللغـة الأصليـة للنـص وهـي تلـك التـي نـزل بهـا القـرآن الكريـم لربـما تجـده يسـخر! فمثـلاً؛ تجـده يفهـم بعـض النصـوص عـلى أنهـا قطعـاً تصـف الهيـكل الـكُلِّي لـلأرض ولا يضـع احتـمالاً لكـون البسـط والتسـطيح المذكـور ليـس لـه علاقـة بشـكل الأرض الـكُلِّي، وأنّ الآيـات إنـما تتحـدث عـن تشـكُّل وتوسُّـع اليابسـة فـوق سـطح المـاء، فهـي هكـذا تبـدو لنـا كالبسـاط مُمهّـدة، وهـذه هـي مشـكلتنا مـع مـن يقـرأون النـص الدينـي غـيرَ مسـتوعبين لـه كـما يجـب لأنهـم ليسـوا بفقهـاء.

والعكـس صحيـح، فبعـض المتدينـين حينـما يقـرأ نتـاج العلـماء التجريبيـين الغربيـين وغيرهـم يشـتبه في فهـم نتائجهـم ومـا يُؤصِّلـون لـه وذلـك لكونـه ليـس مـن أهـل الاختصـاص.

فإذاً نحن بحاجة إلى ماذا؟

نحن نحتاج إلى هؤلاء الذين يمكن أن يُتعِبوا أنفسهم فتجدهم كما يقطعون أشواطاً في الحوزات العلمية ليُصبحوا من الفقهاء ومن الحوزويِّين المُجيدين لصنعة الاستنباط، كذلك يقضُون عمراً في الأكاديميات الغربية لكي يُزاوِجوا بين قراءة الاتجاهين على أُسس علميّة صحيحة، وحينئذ أنا أقطع بأنّه إذا توافرت عندنا مثل هذه النماذج من العلماء فإنه يمكن للدين وخاصّة ما جاءنا عن النبي الأعظم والأئمة الطاهرين عليهم السلام تقديم حلول أو لا أقلّ مقاربات علميّة تجيب حينها على كثير من التساؤلات في المعارف المختلفة بما يدفع بالحركة العلمية الغربية ذاتها، والإنسانية عموما نحو الأمام.

النص الديني في ميدان العلم عمليّاً:

المحاور: هل هناك من علماء الدين المتخصصين من استنبط من القرآن وأحاديث الرسول وأهل بيته «صلوات الله عليهم» نتائج في حقل العلوم التجريبية قد استفاد منها المجتمع في هذا الزمان، أو في الحُقَب السابقة مثلاً؟

سماحة الشيخ الحبيب: نعم في الأحقاب السابقة كان لدينا علماء استفادوا من النص الديني في الحقل العلمي، ففي علم الكيمياء مثلاً برز وتألّق جابر بن حيان، وكان جابر هذا من تلامذة الإمام الصادق «عليه الصلاة والسلام»

وكان لدينا سابقاً في تاريخنا الإسلامي الشيعي علماء خاضوا ميدان العلوم التجريبية، وكذلك علوم الرياضيات والفلك والطب مُستفيدين بشكل كبير

من نصوص التراث الديني لكن كما تعلم فإنّ مناهج العلوم اليوم قد تغيرت.

فمثلاً؛ علم الطب اليوم ليس كعلم الطب القديم، علم الطب الحديث يختلف تماماً، وليس معنى كلامي هو أني أشيد بعلم الطب الحديث على نحو إطلاقي، فعليهِ للمعلوميّة إشكالات كثيرة وهذا جدل يدور حتى في الأروقة والنطاقات العلمية والطبيّة الغربية كالجامعات والدوريات الطبية.

يدور نقاش مضمونه أنّ الطب بحاجة إلى تجديد في مناهجه كالاتجاه نحو ما يسمونه بالطب البديل مثلاً، وهذا أطرقُه على سبيل المثال فقط.

الآن بسبب تغيُّر هذه المناهج العلمية صار لِزاماً الوقوف على المناهج الجديدة في سبيل الوصول إلى مقاربات متوازنة، ولكنّ المشكلة هي في هذه المُباينة القائمة ما بين المسارَين، بمعنى أنّك نادراً ما تجد منّا فرداً كما يقضي في الحوزات العلمية عُمراً يقضي كذلك شطراً من عمره في الجامعات الغربية.

ما يجري هو أنّه مع المقاطعة الكُليّة فإنّ هذا الحوزوي يبقى يعيش في عالم آخر أصلاً ولا يدري إلى أين وصل العالم، والجامعات الغربية إلى أين تتجه، لذلك كل شيء يُفسَّر عنده حينها بنظرية المؤامرة.

مثلاً كان عندنا أحد الطلبة يُنكر وصول الغرب إلى القمر فيقول هل شهادة الكافر مقبولة؟! أو خبر الكافر مأخوذ به؟! هل هو عادل أو ثقة لكي يُصدّق؟! هو حتى لا يناقش القضية من ناحية بُرهانيّة كما يحاول بعض من ينفُون قضيّة الصعود إلى القمر أن يفعل.

وذات الأمر ينطبق على هؤلاء الذين يعيشون في الجامعات الغربية، إنهم يعيشون عُزلةً معرفيّة ويسرحون في عالم آخر ولذلك لا يفهمون من الإسلام

سوى مجرّد قشريّات فقط، أصلاً لا يعرفون أنّ هنالك إسلاماً آخر وهو إسلام أهل البيت «عليهم السلام» وهذا الإسلام لديه تراث معرفيٌّ ضخم يُجيب على كثير من التساؤلات بما فيها تلك المتعلقة بالتحديات المعاصرة وجزءٌ منها يرتبط بالحقل العلمي والأكاديمي.

لربما الخطوة الإيجابية الوحيدة باتجاه ما نتحدث عنه كانت في السبعينات من قِبل «السوربورن»[١] حيث تمخّض عن ذلك التوجُّه كتاب **«الإمام الصادق عليه السلام في عيون علماء الغرب للدكتور نور الدين آل علي»**[٢]

وجدوا من خلال هذه التجربة الانفتاحية التي تكاد تكون يتيمة كنوزاً معرفيّة جمّة في تراث الإمام الصادق «عليه السلام» ممّا أثار دهشتهم وقد أدركوا أنه من هذا المعين الصافي يمكن الاستفادة والانتفاع في تطوير النظريات والتجارب والمعارف العلميّة الحديثة[٣].

1 - جامعة السوربون جامعة باريسية رفيعة المستوى، وهي من أعرق وأرقى الجامعات في العالم. وتوجد في الحي اللاتيني للعاصمة الفرنسية باريس. تأسست سنة 1253م في القرون الوسطى بجهود روبيرت دي سوربون المرشد الروحي للملك لويس التاسع ملك فرنسا. وهي أول جامعة تقدم شهادة الدكتوراه. كما أن الجامعة تمتاز في تخصصات التاريخ والشؤون الدولية والآداب والعلوم الاجتماعية.

2 - الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، أصل الكتاب بالفرنسية، نقله إلى العربية د. نور الدين آل علي، دمشق، دار الفاضل، 1995 م.

3 - أقول: حتى ما يزعمه الماديون من نِسبةِ التقدم في جُملةٍ من العلوم للجهد البشريّ الصّرف أُخالفهم بشأنه وأعتقد أنّ جميع ما لدى البشرية من نتاج معرفِيٍّ يرجع في الأصل للأنبياء والأوصياء من لدن آدم «عليه السلام» وصولاً إلى نبينا المصطفى «صلى الله عليه وآله» وأوصيائه «عليهم السلام» وعلى رأسهم المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «صلوات الله عليهما وآلهما»

بصائر الدرجات: أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن البزنطي، عن زرارة قال كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني عما شيءتم، ولا تسألونني عن شيء إلا أنبأتكم به. قال: فسألتُه فقال: إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرجَ من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءوا فوالله ليأتينّ الأمر ههُنا. وأشار بيده إلى صدره. (بحار الأنوار: - ج ٢ - ص: ٩٤) لقد كان الكفرة الذين تمرّدوا على النبي موسى عليه السلام يُخفون كثيراً من الحقائق التي جاء بها النبي موسى عليه السلام وفيها علوم إلهية من أخبارٍ تتعلق بنبينا صلى الله عليه وآله وغيرها من معارِف شتّى لمْ يطّلِع عليها أولئك الكفرة قبل ذلك ولا آباءهم. ولقد قال نبينا صلى الله عليه وآله عن هذه الأمة أنها تركب سُنن مَن كان قبلها..

في تفسير العياشي: عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن قول الله : {قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها} قال : كانوا يكتمون ما شاءوا ويُبدون ما شاءوا..

تفسير العياشي: عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: كانوا يكتبونه في القراطيس ثم يُبدون ما شاءوا ويُخفون ما شاءوا وقال: كل كتاب أُنزل فهو عند أهل العلم.

لقد بثّ المولى أمير المؤمنين عليه السلام علوماً عميقة وغزيرة حتى قبْل حكومته ولا بدّ جهدت حكومة السقيفة الانقلابية في حجبها عن الناس كما فعلت مع تراث نبينا صلى الله عليه وآله، وحتى بعض ما أفلتَ ووصل إلينا لم

ألا يُستغنى عن الدين في هذه الحالة؟

المحـاور: هنـاك مـن يقـول بـأنّ الرؤيـة العلميّـة اليـوم تـكاد تكـون

يسلم نتيجةً لأجواء الترهيب مِن خطأ النّقلة أو التحريف المُتعمّد أو النقص. وعندما تولىّ الحكم عليه السلام في تلك الفترة القصيرة كانت الحروب التي أثارها أهل البغي والنفاق لا تهدأ فتُتاح الفرصة لاستيعاب العلم الذي كان يلقيه عليه السلام والاستفادة منه ومع رحيله عليه السلام عادت النوبة لمعاوية الذي تتبّع شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وقتلهم ولا شكّ صنع بتراث أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من أسلافه لعنهم الله جميعاً. إنّه فضلاً عن كون من حكموا المسلمين منذ السقيفة إلى يومنا هم المنافقون الكفار في باطنهم وأمثال هؤلاء لا يسرهم أن يحصل المسلمون من التقدم المعرفِيِّ سوى على ما يُعتبر قُشوراً بالنسبة للتقدم الواقعي وذلك هو المقدار المطلوب بالنسبة لهم لملء خزائنهم والتفاخر الحضاري الزائف، وإحكام هيمنتهم على العباد والبلاد. أقول فضلاً عن ذلك فإنّ جريمة عظيمةً وقعت على التراث الديني بما فيه من علوم الدين والدنيا منذ السقيفة حيث الثابت تاريخياً ودينياً هو أنّ دولة السقيفة التي تزعّمها ابن أبي قحافة لعنه الله قد عمدت إلى طمس الأحاديث النبوية فأحرقت منها ما أحرقت، وما يظهر لنا من خلال ما ورد في أحاديث آل محمد عليهم السلام الشريفة كالأخبار المزبورة هو أنّ تلك الزمرة أخفت من الروايات ما أخفت ممّا يُمكن الانتفاع به دنيوياً من معارف علميّة في سبيل استخدامها لبسط هيمنة دُوَل الباطل، وكان لشخصيات تلك الحكومة صلات تواصلٍ معلوماتي حتى قبل الإسلام بالنصارى ومن ذلك أنهم كانوا يستقصون منهم عن المستقبليات في كتبهم وقد أخبروهم عن نبأ ظهور نبينا صلى الله عليه وآله في جزيرة العرب، وكذلك كان لهم ذات التواصل مع أبرز جهات الكفر المستكبرة وهم (اليهود) على طول الخط قبل الإسلام وبعده حيث كان عمر بن الخطاب لعنه الله يراودهم كثيراً ويأخذ عنهم، كما أثبته الشيخ الحبيب في سلسلته البحثية: «كيف زُيِّف الإسلام». فليُرجع إليها للفائدة. ولهذا لديّ اعتقاد راسخ بكُون ما وصلنا إليه اليوم من مُخرجات الحداثة المدنية والتقنية وغيرها من حقول المعرفة كانت أدواته وسُبُل التوصل إليه معروفة منذ تلك الأزمنة عند جمعيات خاصة ترعاها طُغمة الكفر التي استولت عليه واحتكرتهُ وأقصتْه عن المسلمين وغيرهم، وصار إرثا تتناقله جيلاً بعد جيل عصابات المتمردين على نبي الإسلام صلى الله عليه وآله الكافرين به بتواطُءٍ وتسهيل من المنافقين المتلبسين بالإسلام الكافرين به باطناً.

في تفسير القمي: قوله تعالى:(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني هُم يُوالي بعضهم بعضا. لم يسعهم الاستفادة كما اليوم من ذلك التراث في وقت مُبكر في تلك الأزمنة بسبب عكوفهم على دراسة تلك الآثار بما يُمكِّنهم من الاستفادة منها على النحو الذي وصلوا إليه مع تقدم الزمن.

وما تعرّض له تراث نبينا من قِبل حكومة السقيفة وقع مثله على تراث أوصيائه عليهم السلام ولقد لقيَ رواة حديث آل محمد عليهم السلام الويلات من الاضطهاد والمطاردات والتنكيل وكثير من الآثار والكتب النفيسة قد غُيِّبت والأخرى أُتلفت.

ورغم كل تلك المحاولات التضليليّة والإقصائيّة فإنّ بعض العلوم التي لم يكن تبليغها في حينِه يُثير حفيظة السلاطين على الإمام عليه السلام وعلى التلامذة كان يُلقيها الإمام عليه السلام ويتم تناقلها بشكل طبيعي كتلك التي تلقّاها جابر بن حيان عن الإمام الصادق عليه السلام على سبيل المثال، وتلك وأمثالها يُصنفها الشرق والغرب اليوم على أنها من السوابق في تاريخ النتاج العلمي الإنساني حتى لقّبوا جابر بن حيان بأبي الكيمياء!

إنّ المَرَدة والفسقة منذ ذلك اليوم إلى يومنا إذْ استأثروا بالعلوم النبوية المحمديّة واستولوا عليها وحجبوها عن الناس فإنهم حينما استعملوها بمعزل عن الرجوع لأصحابها الشرعيين من أئمة الهُدى عليهم السلام والاستضاءة بإرشادهم قد وقعوا في ثغرات وسلبيات لم يستطيعوا تلافيها. ولا عجب فإنّ العلم التام الكامل النافع الشامل سيكون على يد المهدي الموعود الذي نؤمن به نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام. وإلى ذلك الحين فإنّ البشرية منذ قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وتمّت تنحية أوصيائه الشرعيين من بعده فإنّها كانت ولا زالت في دولة تحكمها وتسيطر عليها الأهداف والقوانين الإبليسية. عن أمير المؤمنين عليه السلام: (ما زلتم منذ قُبض نبيُّكم في دولة إبليس بتركِكُم إيّاي واتِّباعكم غيري) (كتاب -سليم بن قيس - ص: ٤١٦) وهنا أنوّه على أنّ شيخنا الأستاذ قد يختلف معنا بشأن بعض ما نذهب إليه في هذه النقطة ولكنّ ما يُشجعنا على إبداء ما لدينا هو أنّا تعلّمنا من سماحته أنّ عرض كافة الاستنتاجات في ميدان الجدل العقائدي والفكري عموماً إذا كانت تبتني على شيء من الحقائق التاريخية، أو الدينية، أو العلمية فإنها إنْ لم يُنحَ فيها التّعسُّفُ والمغالطة الواضحة في سبيل إثبات نتيجةٍ ما، قابلةٌ للعرض ليُتركَ للباحث التمييز والغربلة والمقارنة.

متكاملة، فلا يوجد داعٍ لإقحام الدين في كل الأمور. فما قولكم؟

سماحة الشيخ الحبيب: العلم لا يغطي كثيراً من جوانب الحياة، بينما الدين يؤدي ذلك الدور فالدين هو المتكامل.

الدين يبعث على العلم وليس مخاصماً للعلم، بما في ذلك العلم التجريبي. ولكنّ هذا العلم هل يمكنه أن يقدم لنا منظومة معرفيّة ما ورائية؟

ذلك العلم لا يمكنه أن يرشدنا مثلاً إلى معرفةٍ دقيقة بالنفس البشرية كالتي يُقدِّمها الدين.

حتى علم النفس التجريبي ما زال قاصراً عن أن يقف على حقائق النفس البشرية كما وقف عليها الدين. أو كما أُثِر عن سفراء الله عزّ وجلّ في الأرض.

كذلك الأمر من حيث المنظومة الأخلاقية فتلك أيضاً لا يتكفّل بها العلم الحديث كما ينبغي، فهو يمكن أن يُرشدك إلى ما تسالم عليه البشر من أخلاق وليس معلوماً أنّ جميعها في صالح البشر، وقد ضربتُ لكم مثالاً في الحلقات الماضية عن كون ما قد يعتبره المتحضِّرون اليوم حريّة يُعتبر عند مجتمعات أخرى من البدائيات ويُعدُّ انحداراً إلى مستوى البهائم كممارسات الشذوذ مثلاً، والعكس الصحيح؛ فما قد يُعتبر أمراً اعتياديّاً طبيعياً في بعض المجتمعات الدينية ذات الأديان الزائفة كالمجوسية مثل نكاح المحارم والعياذ بالله، هو عند المجتمعات المتحضرة اليوم كما في الغرب ووفقاً للدراسات العلمية الحديثة يُعتبر من أكبر المحرّمات ويُعاقب عليه القانون، فتبقى هذه جميعها قضايا نسبية لا ضابطة لها، ولذلك يكون إلغاء الدين كُليّةً من مسرح الحياة والاكتفاء بالعلوم التجريبية جريمةً في حق الإنسانية بلا مبالغة.

إنّ ذلك الفعل جريمة لأنّ معناه أن تعزل المجتمع عن بنائه الروحي، فلو

لم يكـن مـن وراء ذلـك سـوى إيهـام الفـرد بأنـه مجـرّد خُـردة فضائيّـة، أو أنّـه لا هـدف ديمومـيّ لِوجـوده ولا غايـة مـن وجـوده ولا حيـاة بعـد حياتـه هـذه وأنّـه مجـرد كائـن يعيـش للاسـتهلاك الكـوني، أقـول لـو لم يكـن لهـذه النظريـة إلا هـذا الجُـرم لكفـى في ردِّهـا.

إنّ معنـى أنْ تحوِّلنـي أنـا الإنسـان إلى مُجـرد خُـردة فضائيـة موجـودة للاسـتهلاك هـو أنّـك تجعلنـي أنـزع أكثـر إلى الانعتـاق مـن كل رابـط أخلاقي.

مـا الـذي يجعلنـي أهتـمُّ مثـلاً بتكويـن أُسرة ؟! ومـا الـذي يجعلنـي أحنـو عـلى أطفـالي ؟!

وتلـك بالفعـل أحـد الأسـباب التـي تجعلـك تجـد هـذا الخـواء الروحـي والأخلاقـي والمعرِفي والنّفـسي لـدى كثـير مـن أبنـاء الغـرب اليـوم. فـما عـادوا يستشـعرون معنـى لكثـير مـن القيـم الروحيـة إذ أنهـم صـاروا أقـرب إلى آلاتٍ اسـتهلاكيّة بـلا مشـاعر أو رُوحيّـات، وبـلا روابـط أسريـة أو إسـهام حقيقـي في التكامـل البـشري مـن حيـث روحيّـة البـشر ونفسـية وقيمـة البـشر، ولذلـك تجـد هـذه المعـدّلات الهائلـة للانتحـار في المجتمعـات الغربيـة عـلى سـبيل المثـال.

تجـد أيضـاً التفـكك الرهيـب بـين أوصـال المجتمـع بـما في ذلـك الأسرة الواحـدة بحيث دقّ هـذا ناقـوس الخطـر حتـى عنـد الحكومـات الغربيـة إذ بـدأت تبـثُّ حمـلات التوعيـة مـن أجـل المحافظـة عـلى كيـان الأسرة.

ذات مرة ذهبتُ مع طفلتي إلى العيادة الطبيّة لتلقِّي التطعيم.

وهنـاك بمجـرد أن رأتنـي المرضـة بهـذا الـزّي الدينـي الخـاص أحسـستُ منها أنهـا متعطشـة لمجـرد أن يكـون في محيطهـا شـخص مـن هـؤلاء الذيـن يُلتمَـسُ فيهـم الجانـب المعنـوي الروحـي، والسـبب هـو أنّ لديهـا هـذا الخـواء الروحـي فالحيـاة الماديّـة طغـت عـلى أجوائهـم.

أتذكّر أنها نظرت إليّ بتأمُّلٍ ثم قالت: I see a peace around you

مضمون كلامها هو أنِّي أرى السلام يحفُّ بك.

ثـمّ أخـذت تسترسـل في الحديـث مُحاولـةً أن تتعـرف عـلى شـخصيتي وديني ومـن أُمثِّـل؟

إنّ لديهـم شـغفاً حقيقيـاً لمـا يُوحـي لهـم بالمعنويـات والجوانـب الروحيـة الصادقـة، فهـذه المجتمعـات التـي تُعـدُّ اليـوم مجتمعـات متحـضرة لديهـا تعطُّش للديـن وهـذا يكشـف عـن أنـه لا يمكـن إلغـاء الديـن مـن رأس.

فـما الـذي يجعـل الإسـلام أقـوى الأديـان في معـدلات النمـو والانتشـار حتـى في البـلاد الغربيـة بحسـب الإحصائـات؟! هنالـك إذاً مُشـكلة وفـراغ لا يمكـن ملـؤه إلا بالديـن وإلغـاء الديـن كُليّـةً جريمـة في حـق البشريـة.

«راسـل»(١) الفيلسـوف المعـروف مـع كونـه ملحـداً ويؤصِّـل للإلحـاد لكنـك تجدُ ابنتـه في مذكراتهـا التـي كتبتهـا عـن والدهـا تذكُـر أنّـه كان كثـيراً مـا يُـردِّد أنّي رغـم كـوني بلغـتُ هـذا العمـر وأنـا مـاضٍ في هـذا الاعتقـاد وهـو التأسـيس للفلسـفة الحديثـة التـي لا تُؤمـن بـالله أو لا تـرى ضرورة لوجـود الله، ولكـن في قـرارة نفسي أنـا مـا زلـت أجـد هُنـاك فراغـاً في نفسي وفي عقـلي، -ولا يمـلأ هـذا الفـراغ إلا الديـن والاعتقـاد بالخالـق-

وتقول ابنتهُ أنّ هذه الفكرة ظلّت تراوده إلى أواخر أيام حياته.

ولذلـك نقـول أنّ الديـن مهـمٌّ وأسـاسي، وإنّ تأكيدنـا عـلى أهميـة الديـن ليس إقحامـاً! وليـس أمـراً عفـا عليـه الزمـن كـما يُصـوِّره الملحـدون، بـل الديـن كان أساسـاً في مراحـل تطـور الفكـر البـشري والوعـي الإنسـاني. ولذلـك تـرون أنّـه مـع كل هـذا التطـور المـادي والحضـاري والتجريبـي والعلمـي لم يفقـد الديـن

---

1 - تقدمت ترجمته.

بريقـه حتـى بالنسـبة للأديـان المنحرفـة إجمـالاً.

والسؤال هنا لماذا حتى في الأديان المنحرفة لم يخفت بريق الدين؟

لأنـه ليـس هنالـك بديـل، فـما الـذي يدفـع البروفسـور الهنـدي في التخصـص الكذائـي في جامعـة هارفـرد مثـلاً إلى الشعور بأنـه بحاجـة إلى التديـن بالهندوسـية في أواخـر عمـره فيصبـح مُقدِّسـاً للبقـرة؟! رغـم كـون هـذا انحـداراً حقيقيـاً في التفكـير وخصوصـاً مـن بروفسـور جامعـي مرمـوق في تخصُّصـه!

ولكنّـه الفـراغ الروحـي، فذلـك الشـخص مـا وجـد الإسـلام الحـق، ولـو وجـد الإسـلام الحقيقـي لمـلأ ذلـك الفـراغ في روحـه، ولكنـه إذْ لم يجد البديـل الصحيـح فإنـه ينطلـق نحـو أي شيء يستشـعر فيـه لـذّة روحيّـة لنفسـه، بـل حتـى كـما بيّنـا سـابقا فإنـه في جانـب العلـوم التجريبـة الديـن يُنضِجُ العقـل والنفـس ولكـن شريطـة فهـم النـص الدينـي فهـماً صحيحـاً عـلى أُسـس علميّـة قويمـة.

الإيمان بالماورائيات والعلم التجريبي:

المحـاور: هنـاك مـن يقـول: مـن أنتـم أيهـا المتدينـون لكـي تقحمـوا أنفسـكم في الوسـط العلمـي؟! أنتـم عبـارة عـن أشـخاص تعتقـدون بالماورائيـات وفيهـا تبحُّرُكُـم، فـما شـأنكم والعلـوم التجريبـة التـي لم تفهموهـا ؟! فهلمُّـوا وادرسـوا العلـوم التجريبـة فلربـما تصـيرون إلى الإلحـاد حينها. فـما ردكـم عـلى هـذه المقالـة؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: نحـن نتكلـم في مسـائل تتصـل بالعلـوم التجريبيـة لأنّـا إن اكتفينـا بعلومنـا الشرعيـة «التقليديـة» كـما يُعـبِّرون عنهـا فحينئـذٍ يرمُوننـا بالتخلُّـف والجاهليـة ويقولـون أنتـم غـير مطلعـين عـلى العلـوم الحديثـة ولسـتم بواقفـين عـلى نتائـج الأبحـاث العلميـة الحديثـة وإذا ذهبنـا واطّلعنـا وإن لم نكـن

من أهل الدراسة التخصصية والتضلُّع ولكننا ننظر في النتائج لأنه من حقنا على الأقل كمفكُرين أن نقرأ الدوريات العلمية الغربية ونُلاحظ ما انتهت إليه آخر النظريات والآراء والنتائج حسب الاكتشافات والدراسات والنتائج العلمية ومن ثم نوازنها مع الفكر الديني فنرى ما الذي منها يتضارب وما الذي منها يتقاطع، ما الذي منها يتوافق وما الذي يتعارض.

نقول إذا فعلنا ذلك قالوا أنتم أقحمتم أنفسكم فيما ليس من اختصاصكم، ولماذا تتكلمون، ولماذا تُقرِنون بين الدين والعلم ؟!

فحالنا معهم صار كحال الرجل وابنه وحماره في القصة التي اشتُهر في الثقافة الشعبية أنها لشخصيةِ جُحا[1].

إنّ رضا الناس غاية لا تُدرك، ومِن تلك الحالة النفسية لبعض البشر ينبع ما يُرى واضحاً في منطق هؤلاء من تعنُّتٍ وسفسطة استعلائيّة، علماً أنّا لسنا نُقحم أنفسنا في تخصصاتهم لكنّ من حقِّنا أنْ نطّلع على نتائجهم ونقارنها مع نتائجنا. هذه حال المُعترك الفكري البشري والمسيرة الإنسانية ونحنُ أحد مكوِّناتها ومن حقِّنا أن نطالع ونُقيِّم وننتقد أيضاً.

1 -القصة للقمان الحكيم عليه السلام، ينقلها صاحب البحار نقلاً عن كتاب فتح الأبواب: قال لقمان الحكيم عليه السلام لولده في وصيّته : يا بُني لا تُعلّق قلبك برضا الناس ومدحهم وذمهم ، فإنّ ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بِغاية قُدرته. فطلب الولد من أبيه مثالا لذلك وفِعْلا يراهُ بنفسِه، فقال الأب لولدِه : أخرجُ أنا وأنت. فخرجا ومعهما بهيمة دابة فركبها لقمان وترك ولده يمشي وراءه، فاجتازوا على قوم فقالوا: هذا شيخ قاسي القلب، قليل الرحمة، يركب هو الدابة، وهو أقوى من هذا الصبي، ويترك هذا الصبي يمشي وراءه، وإنّ هذا بئس التدبير. فقال لولده: سمعتَ قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك؟ فقال: نعم ، فقال: اِركب أنت يا ولدي حتى أمشي أنا. فركب ولدُه ومشى لقمان ، فاجتازوا على جماعة أُخرى فقالوا: هذا بئس الوالد وهذا بئس الولد ، أما أبوه فإنه ما أدّب هذا الصبي حتى يركب الدابة ويترك والده يمشي وراءه، والوالد أحق بالاحترام والركوب، وأمّا الولد فإنه عقّ والده بهذه الحال، فكلاهما أساءا في الفعال. فقال لقمان لولده: سمعت؟ فقال نعم، فقال: نركب معاً الدّابة. فركبا معاً فاجتازا على جماعة فقالوا: ما في قلب هذين الراكبين رحمة، ولا عندهم من الله خير، يركبان معاً الدابة يقطعان ظهرها ويُحمّلانها ما لا تطيق، لوكان قد ركب واحد ومشى واحد كان أصلح وأجود. فقال: سمعت؟ فقال: نعم، فقال: هاتِ حتى نترك الدابة تمشي خالية من ركوبنا ، فسَاقَا الدّابة بين أيديهما وهُما يمشيان ، فاجتازا على جماعة فقالوا: هذا عجيب! مَن هذين الشخصين، يترُكان دابة فارغة تمشي بغير راكب ويمشيان؟! وذمُّوهما على ذلك كما ذمُّوهما على كلِّ ما كان. فقال لولدهِ : ترى في تحصيل رضاهم حيلةً لمحتال؟ فلا تلتفت إليهم، واشتغِل برضا الله جلّ جلاله ، ففيهِ شغلٌ شاغِل، وسعادة وإقبال في الدنيا ويوم الحساب والسؤال. (بحار الأنوار - ج ٦٨ - ص: ٣٦١).

نحـن إنـما ننتقـد النتائج فـلا داعٍ لأن يُقـال أنكـم غـير متخصصـين! بمعنـى أنّ الآخـر صاحـب الاختصـاص إذا توصّـل إلى نتيجـةٍ فيهـا تدمـير وإفسـاد للبشريّـة، فلـماذا لا يحـقُّ لنـا أن ننتقدهـا؟! ، لمـاذا يُحـرَمُ البـشر بالكليّـة النّقـد مـن الأبـواب التـي تمسُّـهم بحُجّـة عـدم التخصُّـص!

أنْ يُقال: « أنت غير مُتخصِّص فلا تنتقد من أي جهة» هو كلام باطل.

إذا كان الأمر هكذا فلماذا ينتقدون الأديان؟!

فلنقلـب القضيـة ونعكـس الـكلام عليهـم فنقـول لهـم: لا تُقحمـوا أنفسـكم في الأديـان، هـذه كتبكـم التـي تدسـون مـن خلالهـا أنوفكـم في كل التفاصيـل الدينيـة فهـذا يُعَنِـونُ مقالاتـه بـ(أكذوبـة الإلـه) والآخـر يسـميهما (وهـم الديـن) إلى غيرها مـن مقـالات وكتـب تُسـفِّهون فيهـا الأديـان جملـة وتفصيـلاً.

هـل أنتـم مُتخصصـون في العلـوم الدينيـة؟! هـل تخصصتـم في هـذه الأديـان ؟! هـل أنتـم أهـل اختصـاص في اللاهـوت النـصراني مثـلاً ؟!

لا أحـد منهـم درس هـذه الأمـور دراسـة تخصُّصيّـة عـلى يـد الأسـاتذة الكبـار في ذلـك المجـال.

فلماذا يُقحمون أنفسهم في تلك القضايا؟!

سـيقولون: نحـن إنـما نتحـدث في الشـأن الدينـي مـن بـاب نقـدِ النتائـج، فمثـلاً نـرى الديـن الفـلاني يُغـذي في الإنسـان الخمـول الفكـري والتخلـف، ويرجعـه إلى الـوراء، ويجعلـه غارقـاً في الميتافيزيقيـا، أو مثـلاً هـذا ديـن ينمـي في الفـرد العدوانيـة والإرهـاب ويعلـم النـاس الوحشـيّة، أو هـذا ديـن لديـه ممارسـات خاطئـة لهـا مضـارّ عـلى الصعيـد الاجتماعـي والصحـي، فنحـن ننتقـد النتائـج كحالـة اعتياديـة في المعـترك الفكـري البـشري والمسـيرة الإنسـانية.

نقـول: حسـناً؛ فلـماذا أنتـم منزعجـون منّـا نحـن المتدينـون وتُبيحون لأنفسـكم

مـا تُحَرِّمونـه عـلى غيركـم؟! منهجيتكـم هـذه لا تصـح وكيلكـم بمكيالـين غـير مقبـول، والميـزان لا بُـدّ أن يكـون واحـداً للفـردِ وعليـه.

هل تقود الفرضيّة المؤمن للإلحاد؟

المحـاور: السـؤالُ التـالي لربـما هـو جـريء جـداً، ولكـن يلزمُنـا توجيهـه لكونـه واردَ الطـرحِ مـن قِبـل الطـرف المُخالـف.

سـؤالنا: هـل أنتـم مسـتعدون أن تتحوّلـوا إلى الإلحـاد إنْ ثبـت لكـم مـن خـلال العلـم والتجربـة أنّ نشْـأةَ الحيـاة كيميائيـة ناتجـة عـن الصُّدفـة البحتـة؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: هـذا سـؤال (افـتراضيٌّ) لا يُجـاب عنـهُ إلّا بتسـفيهِ العقـلِ وعـدمِ احـترام التفكـير، ولأني أحـترم عقـلي لا أُجيـب عـلى سـؤال افـتراضيٍّ كهـذا، إذا كانـت عندكـم أسـئلة علميّـة تبتنـي عـلى حقائـق علميّـة لا افتراضـات وخيـالات فحينهـا نُجيـب عنهـا. أمّـا الإجابـة عـلى هكـذا افتراضـات فدعنـا نُشـبِّهُها بهـذا المثـال: هنـاك شـخصان يعيشـان في قريـةٍ، وذات يـوم قـرّرا السـفر لأمـرٍ طـارئ، ومعلـومٌ لديهـما أنّ أقـرب مطـارٍ لهـما هـو مطـار هيثـرو مثـلاً، وفجـأة خاطـبَ أحدهمـا صاحبـه فقـال: مـاذا لـو اكتشـفنا أنّ هنالـك مطـاراً أقـرب؟!

فيجيبـه صاحبـه قائـلاً: هـذا سـؤال افـتراضي، أنـت هـل عنـدك دليـل عـلى مـا تقـول؟ إن لم يكـن لديـك دليـل فـلا تُضيِّـع وقتنـا وتُعطِّلنـا عـن السـفر. هـل عندك دليـل عـلى أنّ هنالـك مطـاراً أقـرب لرحلتنـا؟ إن كان لديـك دليـل فتحـدّث. أمّـا أن تفـترض هكـذا مجـرّد افـتراض فـلا يُجـاب عـلى سـؤالك ولا يُتابَـع. فيقـول الآخـر: كلّا دعنـا نبحـث.

وفي النهاية وافقَ صاحبه على الاقتراح فذهب يبحث معه، واستمرّا في البحث، وفي كل مرّة يقول صاحبُ الفرضيّة لصديقهِ: لم نجد مطاراً في هذه المنطقة فدعنا نفتِّش في التالية والتالية وهكذا.

وبعد البحث الطويل لم يجدا مطاراً، فقال صاحبُ الفرضية: ربّما لم ينكشف لنا المطار بعد. ربّما لاحقا ينكشف؟ فلنواصل البحث والسؤال!

فهل ترون استناداً للمثال السابق أنّ بشراً سويّ التفكير يحترم عقله يطرح جواباً مرتبطاً بأمرٍ مصيريٍّ بناء على فرضيّات؟!

معنى تجاهُل المتديِّن لفرضيةِ الملحد:

المحاور: ماذا تعني إجابتكم على ذلك السؤال بهذا الأسلوب، وبماذا تفسرون إحجامكم عن الرد؟!

هل ذلك التجاهل منكم للفرضيةِ المطروحة عليكم مُكابرة أم هروب ؟! .

سماحة الشيخ الحبيب: لا هذا ولا ذاك. أي ليس إعراضنا عن الإجابة على تلك الفرضية من قبيل المكابرة أو الهروب وإنما هو كما أسلفنا احتراماً لعقلنا وذاتنا.

في مثالنا الذي ضربناه في جوابنا السابق بيّنّا أنّ الذي يحترم المنطق لا يترك الشيء الذي بيده ويمضي باحثاً وراء افتراضات ويتشبث بالوهم! أهذا عُقلائي أو منطقي؟

كان لدى الشخصين في مثالنا الذي عرضناه مطاراً يعرفانه وهو مطار قريب وفي متناولهما. فتركا ما هو في متناولهما وذهبا للتفتيش عن مطار أقرب قد لا يكون له وجود لمجردِ افتراضِ أنّه لربما يكون هنالك مطار

أقـرب! فيضيـع الوقـت والجهـد وتضيـع الرحلـة!

إنّ احـترام العقـل يفـرض عـلى الإنسـان أن لا يـترك مـا بيـده إلا أن يكـون في يـده الأُخـرى شيء في قبالـه قـد أحكـم القبضـة عليـه.

أمّـا أن تكـون اليـد الأخـرى فارغـة فيـترك الشـخص مـا هـو قابـضٌ عليـهِ لمجـرد افتراضـات لا يمكـن البنـاء عليهـا فـلا يكـون هـذا إلا محـضَ سـفهٍ وجنون.

تقول لي: ماذا لو ثبت لك أنّه لا يوجد إله؟!

وماذا تعني (لو)؟ هل ترتكز عليها حقيقة علميّة؟ كلا.

هل ينبني عليها دليل؟ كلا.

فـما قيمـة هـذا السـؤال الافـتراضي؟! إلا أنْ أتخلّى عـن عقـلي فحينئـذ تكـون لذلـك الافـتراض قيمـة؟!

كلا، أنـا أحـترم عقـلي، وعقـلي أرشـدني إلى أنّ هنالـك مُوجِـداً لهـذا الكـون وأنّـا لم نُخلَـق مـن العـدم أو مـن قانـون أعمـى ونظريـات واحتـمالات. علـما أني مُطّلـع جيـداً عـلى النظريـات التـي يُرجِـع الملاحـدة الخلـق إليهـا، ويحاولـون تفسـير الوجـود بهـا، ومـا وجـدتُ منهـا شـيئاً يقبلـه عقـلي.

فهـل أتـرك مـا دلّنـي عليـه عقـلي بداهـةً بالبراهـين المنطقيـة العقليـة مـن كـون الأثـر لا بُـدّ لـه مـن مُؤثـر، والموجـود لا بُـدّ لـه مِـن مُوجِـد، وأتشـبث بوهـمٍ أو أفـترض افتراضـاً ومـن ثـمّ بعدئـذٍ أبنـي عليـه نتيجـةً أو أُجيـب عنـه؟! هـذا ناهيـك عـن كـون هـذا السـؤال كـما أسـلفنا ليـس علميّـاً أصـلاً!

فـإن أصررتـم عـلى كـون الإعـراض عـن الإجابـة عـلى هكـذا فرضيـات مكابـرة أو هروبـا فـلا يُهمنـا إن كُنّـا غنِمنـا العقْـلَ والعافيـة.

معايير السؤال العلمي:

المحـاور: لمـاذا لا يكـون السـؤال علميّـاً عندكـم لمجـرد كـون الإنسـان يطرحـه عـلى سـبيل الفـرض؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: لأنّ ذلـك السـؤال غـير مبنـي عـلى حقائـق علميـة، وليـس سـؤالاً واضحـاً يرتكـز عـلى حقائـق معلومـة.

عـلى سـبيل المثـال؛ انطلاقـا ممّـا يـصرُّ الملحـد المتعنِّـت عـلى حـصرِ إثبـات الخالـق مـن خلالـه وهـو التجربـة والمشـاهدة ومـا أشـبه، لـو أتيـتُ فقلـتُ لـه: مـاذا لـو ثبـت أنّ هنالـكَ إلهـاً خالقـاً؟

سيجيبُ هـذا سـؤال افـتراضي مـا قيمتـه الآن، عنـدك دليـل عـلى وجـود الإلـه مـن خـلال المشـاهدة والتجربـة؟ قدِّمـه لي. أمـا أن تخـال أنّـك بهكـذا افـتراض تُحرجنـي فهـذا ليـس لـه سـوق عنـدي.

أسـئلة مـن ضرب الافتراضـات العائمـة يمكـن أن تُطـرح في شيء مـن برامـج التسـلية والألغـاز والمسـابقات التلفزيونيـة والمنتديـات الشـعبية، أمـا هنـا نحـن في مقـام مناقشـة علميّـة ولسـنا بصـدد فرضيـات خياليـة !

في المناقشـات العلميـة لا يُبنـى سـؤال إلا عـلى حقيقـة علميّـة بـما في ذلـك الأسـئلة الافتراضيـة إذ لا بُـدّ أن يكـون وراءهـا نتيجـة، وعـدم وجـود نتيجـة لا يجعـل السـؤال ذا معنـى أو ذا قيمـة علميّـة.

أنـا لسـتُ أفـترضُ قَـطُّ أنّـه لا يوجـد إلـه إلا أنْ أبخـسَ حـقّ عقـلي وإنسـانيتي وأدوس عـلى عقـلي ووجـداني.

فـكلا، أنـا أحـترمُ عقـلي ولذلـك أنـا مؤمـن ولا أتخـلى أو أتنـازلُ عـن إيـماني وأنطـقُ بالكفـر أو حتـى أحـدِّث نفسي بـه بسـبب سـؤال افـتراضي تافـه. لا يمكـن أن أكـترث لمثـل ذلـك السـؤال الافـتراضي.

ماذا لو سألك أحدهم قائلاً:

ما قولك لو ثبت لك أنّ الماء ليس H_2O

أي ليس هو ذلك المركّب المكوّن من ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين؟!

ألـن تُجيبـه قائـلاً: أهـذا سـؤال علمـي؟ أو هـل هـذا سـؤال يسـتحق عنـاء الإجابـة عليـه؟

إن كان عنـدك دليـل جديـد يُثبـت أنّ المـاء عـلى خـلاف صفتـه الكيميائيـة المعروفـة والثابتـة علميّـا فقدِّمـه لنـا.

أمـا أن تطـرح مجـرد سـؤال افـتراضي وتريـدُ منـي أن أتخـلى عـن حقيقـة ثابتـة حـول تركيـب المـاء أو أُشـكِّك فيهـا مـن أجـل سـؤال افـتراضي فـكلا لـن أضيـع وقتـي في هكـذا انتحـار عقـلي ولـن أكـترث لسـؤالك فليـس هـو مـن العلميـة في شيء.

فكذلـك أنـا المتديِّـن، إنِّي مؤمـن بـالله تبـارك وتعـالى لأنّ ذلـك قائـم عنـدي عـلى البراهـين، فأنـا إذا لم أؤمـن بـالله تعـالى فـإني مـا آمنـتُ بوجـودي مـن أصـل، فاعلَـم أنّ الإنسـان إذا لم يؤمـن بـالله تعـالى واسـتطاع التجـرُّأ والتجـاسر عـلى إنـكار الخالـق جـلّ وعـلا مـع كونـه مـن أسـطع البدهيـات فلـن يجـد حرجـاً بعـد هـذا في أن ينكـر حتـى هـذا الوجـود، فيصبـح عـلى غـرار السفسـطائيِّين الذيـن يقولـون بـأنّ الوجـود خيـالٌ في خيـال، ونحـن وسـائر الموجـودات مـا لنـا وجـود حقيقـي مـن أصـل، ولذلـك نقـول إنّ هـذه المقـولات وأشـباهها هـي مجـرد أقـوال اعتباطيـة كـما ذكَـرَ «**بـول ديفيـس**»[1] في ردِّه عـلى «**سـتيڤن هوكينـغ**»[2] في مقالـه في

1 - بول تشارلز وليام دافيس عالم فيزياء بريطاني مشهور ولد في 22 إبريل 1946 مؤلف ومقدم برامج، وحالياً أستاذ جامعي في جامعة ولاية أريزونا ومدير مركز بيوند BEYOND مركز المفاهيم الأساسية في العلم، يشارك في معهد الدراسات الحكومية في جامعة شابمان في كاليفورنيا، كما تولى مناصب جامعية أخرى في جامعة كمبردج وجامعة لندن وجامعة نيوكاسل وجامعة أدليد وجامعة ما كوري، ومجال اهتماماته البحثية هو الفيزياء الكونية و النظرية الكمومية و علم الفلك البيولوجي.

2 - تقدمت ترجمته.

«الغارديان»[1]. فالحاصل أنّ هذه مجرد تمحُّلات اعتباطية.

فأيُّ شيء أن تفسِّر الكون بأنه القوة السالبة والجاذبة، وأنّ هنالك قانوناً فيزيائياً قديماً، فأنشأ الكون نفسه بنفسه بناءً على هذا القانون وعليهِ لا حاجة لوجود إله كما يقول «**ستيڤن هوكينغ**»!

هذا كلام اعتباطي لا يدلنا عليه دليل حقيقي. ومع هذا يُبنى عليه وتسطّر فيه المؤلفات وينبري «**ستيفن هوكينغ**» وزميله لتسطير كتاب طويل عريض أشبه بقصة من قصص الخيال العلمي لا أكثر، ولا يصدُق عليه أنّه كتاب علمي.

هاجس النظرية الدّارونيّة:

المحاور: بعض المتدينين يعتقدون بنظرية دارون في التطور، فهل جنابكم تعتقدون بهذه النظرية جملةً أو تفصيلاً؟

سماحة الشيخ الحبيب: كلا، أنا لا أعتقد بهذه النظرية وأراها خاطئة، ونستطيع أن نقول أنّا نرفضها تفصيلاً، لأنّ «بعض» الكائنات الحية ذات جذور وأصول مشتركة، نعم يمكن القول بهذا، بيْدَ أنّ المشكلة في هذه النظرية أنها تُرجع كلّ الكائنات الحية إلى أصل واحد، وهذه مجازفة لا نقبل بها.

هنالك أصول متعددة ومختلفة للموجودات، ومن الجهة الأخرى نعم «بعض» الحيوانات ترجع لأصل مُشترك لا جميعها، لذلك نقول أنّا تفصيلاً لا نؤمن بهذه النظرية، أمّا جُملةً من الممكن قبولها، ولا تُسمّى حينئذ تطوُّراً، لأنّ الكائنات لم تتطور من تلقاء نفسها وإنما هذا هو أساس خلقتها.

---

1 - الغارديان هي صحيفة يومية بريطانية تأسست عام 1821 باسم «ذا مانشستر غارديان»، وغُير اسمها عام 1959.

على سبيل المثال؛ انظُر كيف أنّا نحن البشر إذا رجعنا إلى الإنسان في الأزمنة القديمة قد نجد في بيئات معينة بشراً طوالاً وضخاماً، واليوم نذهب إلى بيئات مختلفة فنجد بين أهلها فروقاً في مستويات الطول. فمثلاً؛ سُكان آسيا الوسطى من القبائل التي تقطُن في منطقة مرتفعة جداً عن سطح البحر وتلك أعلى نقطة ارتفاع عن سطح البحر يسكنها البشر كما هو مرصود من قبل الهيئات المعنية، تجدهم يتميزون بقصر القامة وأحد التفسيرات التي يُرجَع ذلك إليها هو الضغط الجوي. كما تكون الخصوبة لديهم أقلّ فيعانون من حالات العقم[١].

في حين أنّ من يقطنون عند مستوى سطح البحر، وأحياناً تحت مستوى سطح البحر كما في المنخفضات والسهول وما أشبه، تجدهم أكثر طولاً على سبيل المثال.

ومن هنا لا يمكن تفسير تلك الفروق على أنها نوع من التطور فهذه الاختلافات في واقعها هي شكلٌ من أشكال التكيُّف مع الطبيعة.

هنالك بعض الكائنات الحية التي تكون قدراتها في التكيُّف أوسع نطاقاً من كائنات أُخرى، فقد يبدو الأمر للوهلة الأولى أنه نوعُ تطوُّر، لكنّه ليس كذلك، هو تكيُّف مع البيئة تنشأ على أثره أجناس جديدة مثلاً، وهذا ليس تطوُّراً على التحقيق.

أيّاً يكن فنحن نقول أنّ هذه نظرية خاطئة، ومن جهة أخرى هنالك اشتباه كبير متفشٍّ بين كثير من الناس، ومضمونه هو تَوهُّمُ التضارب بين النظرية الداروينية التي جاء بها «تشارلز داروين»[٢] وبين الدين.

1 - أقول: يبدو أنّ شيخنا الأستاذ يعني بكلامه سكان (هضبة التبت) التي يُطلقُ عليها «سقف العالم». في الجبال المرتفعة تقل خصوبة الأفراد. كما أنّ نقص الأوكسجين في المناطق المرتفعة يؤدي إلى نقص مقدار الطاقة التي يحتاجها الجسم للنمو وفقاً لتفسير بعض المتخصصين في «الأنثروبولوجيا البيولوجية».

2 - تشارلز روبرت داروين، ولد في إنجلترا بتاريخ 12 فبراير -1809 وتوفي بها في تاريخ 19 ابريل 1882، وهو عالم طبيعة إنجليزي مشهور بأنه صاحب نظرية التطور Evolution Theory والتي تقول أن كل أنواع المخلوقات الحية جاءت من

وهُنـا أعجـب لمـاذا يرفـع الملاحـدة هـذه النظريـة كعلـم وبـيرق يحاربـون بـه الأديـان؟! ومـا هـذا الـذي تخـال أنـك مـن خلالـه تحطـم الديـن؟!

علـماً أنـه حتـى داروين لم يكـن ملحـداً صرفـاً. فـإذا قرأتـم مذكراتـه تجدونـه يُعـبِّر عـن أنّ هنالـك إلـه. وهـذه اللهجـة في مذكـرات الرجـل قـد اسـتمرت معـه إلى آخـر أيـام حياتـه.

نعـم، لعلـه لا يعتقـد بالإلـه حسـب المفهـوم النـصراني، أو مفهـوم الأديـان الموجـودة. لكنّـه لا يرفـض أصْـل فكـرة الإلـه المُوجِـد.

المفهـوم مـن كلام **داروين** في مذكراتـه هـو أنّ هنـاك مسـاحة مـن عقلـه لا يقنعهـا ويملأهـا كلّـما تأمـل في هـذا الكـون سـوى الرجـوع إلى السـبب الأول المُوجـد لهـذا الكـون وذلـك هـو مـا نسـميه نحـن المؤمنـون الإلـه.[١]

أي أنّ هنالـك فراغـاً في عقليتـه المرتبطـة بعِلمـه وهنالـك حلقـة مفقـودة وهـذه إلى الآن ليـس يملؤهـا إلا الإلـه. فإنـه إن لم يمـلأ تلـك المسـاحة مـن عقلـه بالإلـه لـن يجـد مـا يمـلأ بـه ذلـك الفـراغ الـذي بقـي بـلا إجابـات عـن كثـير مـن التسـاؤولات.

فكأنـه يقـول أني إذا وجـدتُ شـيئاً آخـر يمكـن أن يحـل محلّ الإلـه سـأملأ بـه ذلـك الفـراغ. فلربـما لـو عـاش داروين إلى زماننـا هـذا كان يأخـذ بنظريـة «**ستيفن هوكينـغ**» مثـلاً، ليمـلأ ذاك الفـراغ.

فشـاهِدُنا مـن هـذا النـص هـو أنّ داروين نفسـه لا يرفـض فكـرة الإلـه أو الإعتقـاد بالإلـه جملـة وتفصيـلاً.

أصل واحد.

1- يقول داروين: (قانون العِلّيّة يخبرني أنّ من الصعب جدًّا، بل من المستحيل، أن نتصوّر أنّ كوناً ككوننا، وبه مخلوق يتمتّع بقدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء، أو الحاجة والضرورة، وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود، أجدني مدفوعاً إلى القول بوجود عقل ذكي مشابه الى حدٍّ ما لعقل الإنسان ، وإنيّ أستحق أن أُسمّى مؤمنا) . مذكرات داروين – نورا بارلو - كولينز.

ممّـا يكشـف عـن أنّ «**دارون**» لم يكـن ملحـداً صرْفـاً كـما يزعمـه في هـذا الزمـن جمـع مـن الملاحـدة الجهلـة حتـى بأحـوال مـن يحتجُّـون بنظرياتهـم.

الأمـر الآخـر هـو أنّ هـذه النظريـة بذاتهـا عـلى فـرض أنها ثابتـة فإنهـا أيضـاً لا تنقـضُ فكـرة الإلـه مـن حيـث الأصـل، إذْ يكـون القـول حينئـذٍ هـو أنّ اللهّ تعـالى سـنّ القانـون وهـو خلـق أصـل الأنـواع وجعـل فيهـا القابليـة لأن تتكثّـر وتتفـرّع وتتطـوّر، فـما المشـكلة يـا قـوم؟!

لقـد شـاهدتُ في إحـدى المـرات متدينـاً غربيّـاً أسـلم وتشـيّع وبقـي مؤمنـاً بنظريـة دارون، وكان يقـول: نعـم هنالـك إلـه هـو الله تعـالى، والنبـي صـلى الله عليـه وآلـه، والأئمـة الأطهـار صلـوات الله عليهـم.

وفي ذات الوقـت يقـول: أنـا إلى جانـب إيـماني بتلـك الـذوات القدسـية فـإني أؤمـن بنظريـة دارون ولا أجدهـا تتقاطـع مـع دينـي وإيـماني -حسـب دعـواه-

فنحـن إذن لسـنا نرفـض هـذه النظريـة لأنهـا تشـكِّلُ شـيئاً يُذكـر في مواجهـة الديـن أو عقيدتنـا بالإلـه، لأنّ هـذه النظريـة حتـى مـع فـرض ثبوتهـا فإنهـا لا تنفـي وجـود الله عـزّ وجـل، وإنـما هـي نظريـة حـول الأنـواع وأصـول الأنـواع والكائنـات الحيـة، ولا علاقـة لهـا بإثبـات المُوجِـد أو عـدمِ المُوجِـد، نعـم إننـا نرفضهـا لأنهـا خاطئـة في نفسـها مـن جهـة، ولأنهـا تُعتـبر انحرافـاً عـن التفسـير الدينـي لنشـأة الخلـق.

إنّ الديـن أرشـدنا إلى أنّ الكائنـات الحيـة ليسـت متطـوِّرةً عـن أصـلٍ واحـد، فـلا يوجـد لدينـا دليـل دينـي عـلى هـذا، لذلـك نحـن نرفـض هـذه النظريـة.

نحـن المؤمنـون الشـيعة نقـول أنـه بحسـب التفسـير الدينـي فـإنّ الكائنـات متنوعـة مـن حيـث الخِلقـة بالأصالـة. وهـذا التنـوع هـو مـن اللهّ تبـارك وتعـالى، وإنّ البشريـة في الإنسـان أصـلٌ أصيـل، وهـو مخلـوقٌ مُكـرّم مُنتخـب، وليـس

مُتطوِّرا من شيء، ولا يشترك مع شيء من الحيوانات في الأصل.

دواعي وصف الدارونيين بالجهل:

المحاور: لقد وصفتم الملاحدة الذين يقولون بإبطال نظرية دارون للاعتقاد بالإله بأنهم جهلة.

أليس هذا تحاملاً منكم عليهم؟! هناك ملاحدة على درجات وتخصصات علمية متميزة في حقول شتى كالبايولوجيا، الفيزياء، الكيمياء، الطب وغيرها. هؤلاء علماء كبار ويتم تصنيف بعضهم على أنهم من العباقرة، فلِمَ هذا الوصف القاسي بعض الشيء؟!

سماحة الشيخ الحبيب: إنِّي أصفُ ما يجهلونهُ وإن كانوا بارعين في جوانب أُخرى.

وبالفعل الملحد مهما بلغ شأنه العلمي في تخصصه فإنه جاهل فيما يعتقده من أن نظرية دارون يمكن لها أن تنسف الدين، وذلك من الممكن إن أحسنّا الظنّ ببعضهم أن نُرجعه إلى الجهل بحقيقة الدين.

فليُعلم أنّه يمكن المواءمة بين نظرية التطور التي ينافحون عنها وبين الدين إذا افترضنا رفع اليد عن بعض النصوص والتخلي عن بعض الأدلة، وبعبارة أدق كما قلتُ سابقا؛ هذه النظرية من حيث النتيجة لا تنسف الاعتقاد بالله تعالى.

نعم هي تتضارب مع التفسير الديني لنشأة الخلق وفقاً لنصوصه الموجودة بين أيدينا، لكنها لا تنقض أصل وجود الله، فأن يأتينا ملحدٌ متبجِّحاً فيقول أنّ هذه النظرية الدارونية قد حطّمت فكرة الاعتقاد بالله تعالى، فلا يسعنا حينها إلا أن نصف مقالته بأنها جهل مُطبق، وأنها جهل

مُكعّـب، بـل أشـبه بالجنـون والسّـفه.

إنّ الأديـان الموجـودة اليـوم ترفـض هـذه الدارونيـة لأنـه لا يوجـد عليهـا دليـل في الـتراث الدينـي، والـتراث الدينـي مُخالـف لهـا، لا لكـون هـذه النظريـة تنقـضُ أصـل وجـود الله تبـارك وتعـالى، فهـذا إشـكالنا عـلى مـن يُواجِـه بالنظريـة الدارونيـة الاعتقـاد الدينـي بالإلـه.

ومـن جهـة أُخـرى مـن ذا يزعـم أنّ جميـع هـذه الأديـان التـي تعتقـد بالخالـق عـزّ وجـلّ مقبولـة؟!

مـن المعلـوم أنّ كثـيراً مـن الأديـان عبـارة عـن اخـتراع بـشريٍّ صرف، والتمييز في هـذا المضـمار يحتـاج إلى تحقيـق وبحـث جـاد، ولهـذا فليكـن واضحـاً أنّـا عندمـا نصمهـم بالجهـل فإنّـا لا نصفهـم بذلـك في الميادين التـي قـد يكونـون علـماء فيهـا بالفعـل، وإنـما نحـن نصمهـم بالجهـل فيـما يتصـورون أنّـه نقـاط نـصر قـد سـجّلوها عـلى الفكـر الدينـي وليسـت كذلـك في واقـع الأمـر.

الملحـدون اليـوم قـد غـدى كثـير منهـم مثـاراً للسـخرية حتـى عنـد بعـض بنـي جلدتهـم مـن الملاحـدة كـما بينّـاه سـابقا فيـما نقلنـاه مـن انتقـادات بعضهـم لأمثـال «**سـتيڤن هوكينـغ**» أو المتخصـص في علـم الأحياء«**ريتشـارد دوكينـز**».[١]

نقلنـا مثـلاً مـا قالـه «**مايـكل روس**» مـن أنّ كتـاب «**ريتشـارد دوكينـز**» جعلـه يخجـل مـن كونـه ملحـداً[٢].

إنـه يعتـبر ذلـك الكتـاب الـذي يـرد فيـه «**دوكينـز**» عـلى المتدينـين ويُسـفِّه الأديـان والاعتقـاد بالخالـق تعـالى فضيحـة في الوسـط الإلحـادي، فلسـان حـال نظـيره في الإلحـاد يقـول أنـت يـا «**ريتشـارد دوكيـز**» إذا لم تكـن تعـرف الأديـان

1 - تقدمت ترجمتهما.

2- Michael Ruse (Desember 2007). «Richard Dawkins: The God Delusion». Chicago Journals. Retrieved 31 May 2008.

وفلسـفتها وقواعدهـا جيـداً فلـماذا تكلمـت؟! أنـت فضحتنـا وجعلتنـا نخجـل مـن كوننـا ملحديـن! ألا يكـون مثـل ذلـك الشـخص جاهـلاً في هـذه الحالـة؟! بـلى هـو كذلـك.

فليس من التحامل عليه أن يُوصم بالجهل.

هنالـك أيضـاً فيزيائـي شـهير آخـر قـال لريتشـارد ممتعضـاً: فلتعـذرني، أنـت متخصـص في علـم الأحيـاء، فلـمَ تقحـم نفسـك في الفيزيـاء؟!

لأنّ «دوكينـز» كثـيراً مـا اسـتدل بالفيزيـاء لنقـض فكـرة الاعتقـاد بالإلـه عـزّ وجـل، فصاحبـه هـذا يقـول لـه أنـت تتكلـم فيـما لا تفقـه، وبهـذا جعلـت مـن نفسـك موضـع سـخرية، فاسـألنا نحـن أهـل الفيزيـاء المتخصِّصـون.

فكـما تـرون هـؤلاء ملاحـدة وليسـوا دينيـين، ومـع ذلـك بيّنـوا أنّ «دوكينـز» لديـه عقـدة ولذلـك جعـل مـن الداروينيـة أصـل الأصـول، وأخـذ يُفلسـف بهـا الفيزيـاء وغيرهـا مـن علـوم. وهـذا غايـةُ السّـفه، بـل هـو الجهـل بعينـه.

لـذا حينـما أعـبِّر بقـولي «الملحـدون الجهلـة» فـإني مـن ذلـك الجانـب أتكلـم، وأعنـي مـا يتصـل بالمغالطـات التـي يطرحونهـا في سـاحة المعـترك الفكـري بيننـا وبينهـم بشـأن قضيـة إثبـات الإلـه مـن عدمهـا، ومُجـدداً أؤكـد عـلى أنهـم في ذلـك الجانـب جهلـة واقعـاً وحقيقـةً لا تحامُـلاً.

الحلقة التاسعة

- هواجسُ ما وراء الكوارث الطبيعية
- ما ذنب الأطفال؟
- هاجس اللا أخلاقيّة في التفسير الديني لأزمات الحياة
- هاجس البحث عن الإله في قرارة النفس
- لماذا لا يُبدِّل الله تعالى سُننه وقوانينه؟

هواجسُ ما وراء الكوارث الطبيعية:

المحاور: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لقد خصّصنا هذه الحلقات الحواريّة لتبديدِ أوهامِ الإلحاد، ومن خلالها أجاب الشيخ الحبيب بحمد الله تعالى على الكثير من الأسئلة والإشكالات والمغالطات والشبهات التي يطرحها الملحدون. ومازال سماحته معنا ليواصِل الإجابة على عدد من الأسئلة التي استقيتُ بعضها من مجموع ما يتمّ تناوله على صفحات الشبكة العنكبوتية وما يتعاطاه الملاحدة حول موضوع الدين والخالق والخليقة إجمالا.

ومع بداية هذه الجولة من الحوار أطرح على سماحة الشيخ هذا التساؤل حول الخالق العظيم (الله).

(الله) الاسم الذي يُردِّده كثير من الناس هو اسمٌ لربٍّ جبّار قادر متمكِّن يستطيع فعل كل شيء يشاءه ولا يُعجِزُه شيء. وفي ظلِّ قُدرته المُطلقة هنالك كوارث تقع في الكون وبسبب تلك الكوارث الطبيعية يموت كثير من الناس، فهل الخالق بحاجة لهذه الكوارث الطبيعية التي يُوقعها على عباده لكي يُثبتَ ذاته؟ هنالك بعض من يقول أنّ

هـذه الكـوارث الطبيعيـة التـي تقـع عـلى البـشر كالـزلازل والفيضانـات من أمثـال تسـونامي الـذي وقـع في السـنوات الأخـيرة أكثـر مـن مـرة وعـلى أثر هـذا وغـيره مـن الكـوارث الطبيعيـة مـات مئـات الآلاف مـن البـشر، فهـل هـي مـن أجـل إثبـات وجـود الله أو إظهـار علامـة مـن علامـات وجـود الله تعـالى؟ أي هـل الله بحاجـة لهـذه العلامـات في سـبيل إثبـات ذاتـه أو إظهـار غضبـه؟

سـماحة الشـيخ الحبيـب: بسـم الله الرحمـن الرحيـم. نقـول في الإجابـة عـلى سـؤالكم: كلا، فـإنّ الله تبـارك وتعـالى هـو الغنـي الـذي لا يحتـاج إلى شيء عـلى الإطـلاق، وليسـت هـذه الكـوارث بمجردهـا دالـة عـلى الله عـزّ وجـل مـن خـلال وقوعهـا، وإنـما حتـى عدمُهـا دالٌ عـلى وجـود الله عـزّ وجـل.

إنّ لله تعـالى في كلِّ شيء آيـة، بمعنـى أنّ كل شيء يـدلُّ عليـه تعـالى حتـى في حـال اسـتقرار أحـوال الوجـود، وفي حـال سـكينة الطبيعـة، فالكـون بـأسره ينطـق بوجـود الله عـزّ وجـل.

نعـم؛ إنّ الكـوارث في كثـير مـن الأحيـان نتيجـةَ مـا تسـتدعيه مـن مُضاعفـات قـد تُوقـظ وتُنبِّـه الإنسـان الـذي يكـون في غمـرة الغفلـة عـن الله عـزّ وجـل. وقـد تجعلـه أكثـر قربـاً مـن الله تعـالى، ولكـن ليسـت هـذه وحدهـا هـي فلسـفة وقوعهـا أو الغايـة مـن حدوثهـا!

أولاً: علينا هُنا أنْ نُحدِّد ونُشخِّصَ مجموعة من النقاط.

١ - إنّ الكارثـة الطبيعيـة ليسـت شرورا مُطلقـة وهـي عـلى خـلاف مـا يُتوهّـم مـن ذلـك الجانـب، فهـي ليسـت كارثـة عـلى نحـوٍ مُطلَـق.

إنّ لـكل كارثـة شرورهـا ومضارهـا ولكـنّ ذلـك أمـرٌ نِسـبي، لأنّ كثـيراً مـن الكـوارث التـي تقـع لهـا عـدّة منافـع قـد نجـد أنهـا في مقـام المُقايسـة تفـوق

المضـار.

عـلى سـبيل المثـال؛ يقـع فيضـان في نهـر مـن الأنهـار، وتلـك كارثـة طبيعيـة بالنسـبة للقـرى المحيطـة بالنهـر أو تلـك التـي تقـع عـلى ضفـاف النهـر حيـثُ تغـرق تلـك القـرى وتُخلِّـف تلـك الكارثـة أعـداداً مـن الوفيّـات والخسـائر في الممتلـكات والمسـاكن.

ولكـن لـو نظـرت مـن الجانـب الآخـر سـتجد أنّ هـذه الكارثـه بذاتهـا هـي عبـارة عـن نفـع عميـم للقُـرى البعيـدة إذْ يصِلهـا المـاء فتـزداد في تلـك السـنة المحاصيـل، وتُغـاث أنفـس كانـت تمـوتُ جوعـاً في تلـك القُـرى البعيـدة في أفريقيـا مثـلاً، فتجدهـم في هـذه السـنة يشـبعون ويرتاحـون ويُثْـرَونَ ويتكاثـرون، وتحيـا بذلـك نفـوس كثـيرة.

أي أنّ هـذه الميـاه الفائضـة كانـت كارثـة -في جانـبٍ مـا- لجيرانهـا لكنهـا هـي نفسـها أصبحَـت نفعـاً وغوثـاً للبُعـداء، عـلى طريقـةِ «مصائـبُ قـومٍ عنـد قـومٍ فوائـدُ»

فـإذاً لا يجـدر بنـا أن ننظـر لمثـل هـذه الحـوادث الطبيعيـة مـن زاويـة محـدودة ضيقـة وعـلى نحـوٍ أنـاني.

إنّ مشـكلتنا نحـن البـشر هـي أنّـا دائـماً ننظـر للأمـور بعـينٍ أنانيّـة وكثـيراً مـا تسـتولي علينـا هـذه الأنانيـة المُفرطـة في تشـخيص القضايـا.

مـن الأنانيـة أن أنظـر بعـينٍ قاتمـة سـوداوية لكارثـةٍ وقعـت عـلى ألـفٍ مـن البـشر لكنهـا في المقابـل اسـتنقذت خمسـين ألـف إنسـان فبعثـت فيهـم الحيـاة وسـاقت لهـم المنفعـة!

فحـين نُجـري مُقايسـةً تكـون هـذه كارثـة مُطبقـة أم تكـون نفعـاً وبركـة أعـم مـن جهـةٍ أُخـرى؟

إذا تأملنا جيداً في كلّ ما يقع في الطبيعة من حوادث كالبراكين والزلازل والفيضانات كتسونامي وغير ذلك مما يُصطلح عليه بـ(كوارث طبيعية) سنجد أنّ لهذه الحوادث الكونية منافع عظيمة من جوانب أُخرى.

بل إنّ هذه البيئة الكونيّة المهيّأة لحياتنا نحن البشر ما كانت لتتشكّل وتنتظم على هذا النّسق البديع لولا أمثال هذه التي تُسمّى كوارث، لأنّ تلك التي تُسمّى كوارث جزءٌ طبيعيٌّ من سلسلة السُّنن الطبيعية التي تجري على هذا الوجود وتقع في هذا الكون.

تخيّل أنّا رجعنا إلى الوراء وألغينا سلسلة الكوارث الطبيعية من نظام السُّنن الكونية منذ بداية تكوُّن هذه الأرض من باب أنّ الله تعالى ليس بحاجة إلى هذه الكوارث وكان يمكنه أن يُوجِد نظاماً كونيّاً آخر لا تقع فيه هذه الكوارث، ولنفرض أنّا نريد أن نشطب من التاريخ الكونيِّ هذه التي تُسمّى كوارث.

سوف نجد أنّا حينها ما كُنّا لنعيش إلى اليوم في ظروف بيئية ملائمة للحياة كهذه التي نعيشها، ولن تكون لدينا فرصة للتمدُّن والتحضر.

فعلى سبيل المثال؛ في نظرية الديناصورات يُفسَّر انقراض الديناصورات بكارثة طبيعية وقعت وهي أنّ نيزكاً ضخماً قد ضرب الأرض فسبّب احتراقاً هائلاً انقرضت على أثره الكائنات الضخمة كالديناصورات، في حين تمكنت الكائنات الصغيرة من الاحتماء بأنحاء الأرض والنجاة بحياتها، ونحن البشر على حد زعمهم من تطورات بعض أجناس تلك الكائنات الناجية.

فوفقاً لتلك النظرية تخيّل لو أنّ هذا النيزك لم يضرب الأرض؟ كيف كان حالنا الآن؟ فلتفترِض أنّ ديناصورات ضخمة تعيش على هذه الأرض حتى هذه الحقبة من الزمان، هل كنت ستجد على الأقل طرازا لحياة مدنية

مُتحضرة؟ كانت تلك المخلوقات ستُغِيرُ على المباني ويمكنها أن تنسف عمل سنوات من العمران والمدنية بوطأة واحدة من رجل أحدها، ولن يغدو بالإمكان استمرار أو بقاء أيٍّ من أنماط الحياة المدنية أو غيرها إلا أن يذهب الإنسان للعيش في الكهوف أو المناطق النائية عن تلك المخلوقات، وحينها يقتات الإنسان لربما على الديدان والصراصير وما أشبه والعياذ بالله لأنه يعيش في عالم لا تُبقي فيه الديناصورات حيواناً يصلح لمأكل البشر كالأنعام والطيور إلا التهمتهُ، هذا ناهيك عن الخوف من أن يكون البشر هو نفسه غذاء لذلك الكائن النَّهِم متى ما وجده في طريقه.

بل حتى الديناصورات النباتية لن تترك للبشر شيئاً لأنها كائنات ضخمة وغالبا ستكون سعتها الاستيعابية والاحتياجية للغذاء تفوقنا بعشرات المرات فنحن بالنسبة لها كائنات صغيرة، وعلى فرض أنّ هذه الكائنات لا ترغب في أكل البشر فإنّ الموت سحقاً تحت أرجل تلك الكائنات الضخمة سيبقى خطراً يهدد البشر.

ومن هُنا نقول أنّه وفقاً لتلك النظرية فإنّ هذه الصدمة النيزكيّة التي كانت كارثة على الكائنات الحيّة التي هي الديناصورات قد صارت نفعاً لكائنات كثيرة أخرى ومنها نحن البشر.

فأقول أنّ علينا أن لا نُقيِّمَ الأمور بمنظارٍ أنانيٍّ حتى فيما يتعلّقُ بالكوارث التي تقع علينا نحن البشر كما سبق وأوضحنا في مثالٍ سابق.

أنا هُنا يحضرني البروفسور «أنتوني فلو»[1] الذي سبق وتحدثنا عنه، فذكرنا أنه كان من أعتى الملاحدة في تاريخنا المعاصر، وبعد أن تقدّم به العمر آمن بالإله لكنه لم يؤمن بالأديان ولا بالنبوة، وينفي وجود دليل لديه على أنّ هذا الإله أرسل أنبياء وحدّد شرائع من خلالهم فيها أوامره ونواهيه،

1 - تقدمت ترجمته.

ولا يؤمـن أنّ هنـاك حيـاة بعـد المـوت، ولهـذا كان يدافـع عنـه نفسـه لأنـه حينـما ارتـدّ عـن ديانـة الإلحـاد فإنـه قـد تعـرّض إلى هجمـة شرسـة مـن قبـل المجتمـع الإلحـادي ورمـوزه بعـد أن كان الملاحـدة يرفعـون اسـمه في كل المحافـل لأنهـم يعتبرونـه حامـي حِمـى الإلحـاد.

لهـذا الرجـل قُرابـة ثلاثـين أو أربعـين كتابـاً عـن الإلحـاد، مَـا يعنـي أنـه ألـف كتبـاً كثـيرة في تأصيـل الإلحـاد وفي مهاجمـة الديـن والاعتقـاد بوجـود الخالـق. حتـى أنّ لـه كتابـاً في السـبعينات ألّفـه ليُثبـت أنّ الإلحـاد هـو الفطـرة في الإنسـان، لا العكـس كـما نقـول نحـن الدينيـون. فإنّـا نقـول أنّ الفطـرة في الإنسـان هـي الاعتقـاد بالخالـق عـزّ وجـل.

فالشـاهد أنّ ذلـك الانجليـزي الـذي كان عنـد الملاحـدة علـماً وفارسـاً حيـث كان يخـوض مناظـرات أيضـاً، إذا بـه في سـنة ٢٠٠٤ وفقـاً لمـا يُصطلـح عليـه بالتقويـم الميـلادي، بعـد أن بلـغ مـن العمـر ثمانـين عامـاً، ألّـف كتابـاً بعنـوان: (There is No God) كان يقصـد أنّ العبـارة التـي هـو بصـدد إثباتهـا تخلـو مـن أداة النفـي (No)

ليكـون المعنـى هـو: ”There is God“ ممـا أثـار حنـق وضجـة الملحديـن مـن أقرانـه ومنهـم «ريتشـارد دوكينـز»[1] حيـث هاجمـه وقـال هـذا ارتـداد عـن الإلحـاد، وحـاول تفسـير انقـلاب «أنتـوني فلـو» بقولـه **أنـه مـن المؤسـف أن يصـل الشـخص إلى مرحلـة متقدمـة مـن العمـر فيخـاف مـن الحيـاة الأُخـرى فيلتجـئ إلى الديـن**[2][3].

أي بعـض الملاحـدة يحاولـون تفسـير ذلـك مـن جهـة نفسـية فيقولـون لمـاذا

---

1 - تقدمت ترجمته.

2- رحلة عقل، عمرو شريفة ص٤٥.

3- جاء ذلك في حديث له بعد اعلان أنتوني فلو الاعتقاد بوجود الإله، تجده عبر هذا الرابط:
https://youtu.be/IU8NmXTMlH8

بقي الرجل في شبابه على الإلحاد التام؟ فكان تفسيرهم هو أنه حين تقدم به العمر تملّكه الخوف فاستولى عليه الوهم وجنح إلى التخريف فصار يُحدِّث نفسه أنه هل من الممكن أن يكون هناك حياة أخروية وجنة ونار؟!

فإذاً فَلأُرِحْ ضميري وأعلن أنّ هنالك إلهاً خالقاً.

ولكن بماذا ردّ عليهم الرجل؟

قال أنكم أولاً قد بخستموني حقي المعرِفي ومنزلتي العلمية المرموقة.

لأنهم حقّروه ونسفوا قيمته العلمية.

أقول: مشكلة البشر هي هذه.

إذا كان يتفق معك فإنه يرفعك إلى حيث الثريا، وإن اختلف معك فإنه يُنزلك إلى أسفل سافلين مهما بلغت قيمتك الواقعية علُوّاً. فلا توجد حالة من الوسطية في النظرة والتقييم والمواقف بعيداً عن الهوى والميول.

نعود إلى جواب «أنتوني فلو» على مناوئيه.

قال أنتوني فلو في جوابه:

أولاً: إنكم قد بخستموني حقي المعرِفي ومنزلتي العلمية المرموقة.

ثانياً: كلامكم في تفسير ارتدادي عن الإلحاد هو كلام باطل، لماذا؟ لأني أنا ما صرتُ إلى اعتناق المعتقدات الدينية، فلستُ أخاف جنة وناراً لأنِّي أصلاً حتى هذه الساعة مع كوني آمنت بالإله لستُ أؤمن بجنة أو نار، أو حياة بعد الموت، ولا أؤمن بدين أصلاً.

غاية ما هنالك أنِّي بعد تأمُّل توصّلت إلى نتيجة وهي أنه لا يمكن لهذا الكون أن يكون موجُوداً من العدم أو من تلقاء نفسه، ولا بُدّ أنّ هُنالك إلهاً. وقد شحنَ كتابه بالأدلة على النتيجة التي وصل إليها واعتنقها.

أنـا قـرأتُ كتابـه مُترجمـاً إلى العربيـة فوجدتُـه مشـحوناً بالدلائـل والبراهـين ومنهـا أنـه أخـذ آراء جمـع كبـير مـن العلـماء الغربيـين في الفيزيـاء والكيميـاء والأحيـاء والرياضيـات والطـب، وكل حقـل وعلـم يخطـر عـلى بالـك.

فشـاهدُنا مـن كلامـه هـو أنـه جوابـاً عـلى سـؤالك الـذي تقدّمـت بـه فـإنّ «أنتـوني فلـو» ينقـل في هـذا الكتـاب قصـة حياتـه فيقـول أنـا ألحـدتُ مـذ كنـتُ أبلـغُ مـن العمـر أربعـة عـشر عامـاً، والسـبب في إلحـادي هـو أنّي تأمّلـت وأنـا في ذلـك العمـر بشـأن وقـوع الكـوارث فقلـتُ أنّ وقوعهـا إمّـا يعنـي أنّ هـذا الإلـه ظالم-والعيـاذ بـالله- أو أنـه لا يوجـد إلـه مـن الأصـل. فقلـتُ بالاحتـمال الثـاني لأنـه لا ينقـدح في ذهنـي أن يكـون هنالـك إلـه ظـالم. فـكان هـذا مُبتـدأ مسـيرة الإلحـاد في حيـاتي، فتعمّقـتُ في ذلـك أكثـر فأكثـر، فقلـتُ لِمَ هـذا الإلـه يعـذب النـاس بالكـوارث؟ فـإن قلـتُ أنهـم عصـاة فـما ذنـب الأطفـال الذيـن يذهبـون ضحيتهـا وهـم أبريـاء، لمـاذا يقـع زلـزال يمـوت فيـه طفـل رضيـع، فـأي ذنـبٍ لهـذا الطفـل؟!

يقـول «أنتـوني فلـو»: إنّ هـذه الأمـور حيرتنـي فيـما مـضى مـن عمـري، لكـن الآن بعـد أن قطعـتُ هـذا العمـر وبعـد هـذا التعمـق والرُّشـد والنُّضـج توصّلـتُ إلى هـذه الحقائـق.. ومـن بـين الأمـور التـي ذكرهـا قولـه **أنّـا في الأصـل إذا ألغينـا الكـوارث مـن النظـام الكـوني فـإنّ بنـاء الحيـاة في عالمنـا ينهـدم ويتهـاوى، فهـذه هـي سـنة الكـون، وسُـنّة الحيـاة**[1].

ولا يُقـال حينئـذ كـما يقـول بعـض الملاحـدة أليـس الله بقـادر عـلى أن يخلـق حيـاةً بقوانـين أُخـرى لا يتطلـب بقاءهـا واسـتمرارها مثـل هـذه الكـوارث؟

بـلى هـو قـادر سـبحانه لكنـه لم يفعـل لأنّ الحكمـة والمصلحـة في هـذا النظـام الـذي أراده سـبحانه. فكـما قلنـا علينـا أن لا ننظـر إلى القضايـا بعـين الأنانيـة أو

1- هنالك إله، أنتوني فلو، ص١٨.

بعين عوراء، فهذه الكوارث الكونية لها نفع من جهات أُخرى، فاقرأ في التاريخ البشري كله ستجد أنه لولاها لما تقدّم البشر. هذه الكوارث هي التي دفعت البشر للتمدُّن والعمران والتحضر، وعلّمت البشر أن يتراصُّوا ويُنظِّموا صفوفهم، وهي التي وثّقت العلاقات الإنسانية فيما بينهم، وشكّلت فلسفة إنسانية لديهم في الحياة، ينظرون من خلالها إلى آفاق أبعد من الأنا المجردة، ولولا ذلك لكانوا أشبه بالبهائم.

على سبيل المثال هناك دُول متحاربة ومتعادية ولكن عندما يقع زلزال في إحدى الدولتين تهرع الدولة المعادية إلى مساعدة الأُخرى.

فأقلُّ ما يخرج به البشر من تلك التجارب والمِحن هو أنها تُنضِج المسيرة البشرية، وعلى الصعيد البيئي تنفع من جهات أُخرى.

فمثلاً هنالك الكثير من الجزر التي يعيش عليها البشر إنما نشأت نتيجة الكوارث الطبيعية من براكين وزلازل وتغيُّرات جيولوجية قد صاحبتْها كوارث بالنسبةِ لبعض البشر، ولكنها من جهة أُخرى شكّلت مجموعة من الجُزر يعيش عليها البشر في راحة ورفاهية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

فهذه الكوارث هي كما قلنا جزء من عمليّة نفعيّة تهذيبيّة وتحضيرية للإنسان فهي تدفعه إلى التحضر من جهة، وتُنمي فيه كثيراً من قيم الحس البشري الإنساني ذات القيمة الأخلاقية العالية من جهة أُخرى.

لقد نشأت في زمن الكوارث كثير من القيم البشرية كالصدق والوفاء والأمانة والإخاء ومساعدة الإنسان لأخيه، والبذل والعطاء، وتعمّقت المعارف في علوم مهمة كعلم الطب.

فعلم الطب كثيراً ما تطوّر على أثر الكوارث التي وقعت فخلقت عند البشر عزماً على مواجهة ومكافحة الأضرار التي تُخلِّفها تلك الكوارث في

الجسد، وتضاعف إدراك البشر لحاجتهم من الناحية المعرفية إلى مزيد من التطوير والتعلم لتجاوزِ تلك المشاكل.

فإذا ألغيتَ كُلّ هذا من المسيرة البشرية كنت تجد البشرية اليوم منحدرة في مستويات تفكيرها وتحضُّرها، فالله عزّ وجل إنما قدّر هذه السُّننَ الكونية كالكوارث الطبيعية لأنّ لها نفعا من جهات أُخرى كالتي ذكرناها.

• قد تقول لي ما ذنب الأطفال؟

لا ذنب للأطفال فإنه بالنتيجة كلُّ نفس ستموت وكلُّ نفس لها أجلها.

فهذا الطفل الذي مات في هذا العمر المُبكِّر بسبب هذه الكارثة تجده في العالم الآخر يشكر الله تعالى ملايين المرات على أنه قبضه في هذا العمر، لأنه ذهب فوراً إلى الجنة مرتاحاً ولم يكن عليه حساب أو كتاب. وهذه نعمة عظيمة عند البشر.

من يقضي بميتة كتلك يقول إلهي حمداً لك على أن قبضتني إليك وأنا الآن مرتاح مُرفّه في الجنة قبل أن أتعرّض لِفتن الدنيا وربما لا أنجح فأتعرض للعذاب والعقاب جرّاء ذلك.

هذا في العقل البشري المجرّد أفضل أم لا؟ تحصل على الجنة ونعيمها بالمجّان بلا تكاليف، وفرائض ومسؤوليات، وبلا عناء، بينما غيره يبذل جهداً في الدنيا، فلا بُدّ أن يؤدي أعمالا، ولا بُدّ أن يجتنب المحرمات ويتحمّل خلال مراحل حياته صعوبات الحياة لينال أجر الصابرين وما إلى ذلك.

وحتى إن قلت بمقالة «أنتوني فلو» من أنه ليس هنالك حياة بعد الموت، فإنّ قبض هذا الطفل الصغير أو الرضيع في هذا العمر هو أيضاً ليس أمراً سيئاً على إطلاقه فإنّ هذا الكائن على أقل تقدير لم يتعرض إلى آلام الدنيا، لأنّي أقول لك هاتِ لي إنساناً واحدا لم يتعذب أو يذُق شيئاً من

المرارة والمتاعب في الدنيا؟

الحياة الدنيا فيها نسبة من التعب والأذى، حيث يُواجه فيها بنو البشر المرض والشقاء والمتاعب والأزمات النفسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذه كلها بمجموعها تجد فيها صنوفاً من الآلام والمصاعب الكثيرة.

لذا نقول أنّ هذا الطفل الصغير حينما يقبضه الله عزّ وجلّ في عمر مبكر فإنّ أدنى منفعة يحصل عليها من ذلك هي أنّه يتجنب تلك الآلام الدنيوية التي يتمنى قسم من البشر غير المتدينين اليوم لو كان بيدهم الانتحار للخلاص منها، ويقولون أنه لو عاد بهم الزمن إلى الوراء لكانوا انتحروا وهم صغار لكي يوفِّروا على أنفسهم كل هذا العذاب الذي رأوه في الدنيا بسبب وجودهم في عالم الحياة البشرية الاعتيادية التي لا تخلو من نسبةٍ مِن المِحن والمصائب المُعرّض إليها كُلُّ إنسان إما في نفسه أو في صحته، أو في ماله ومعيشته، أو أُسرته، أو مجتمعه وجيرانه ومحيطه وغير ذلك.

فعلينا أن لا ننظر إلى الأمور من زاوية ضيقة.

- وهذه الأجوبة التجديدية تُضاف إليها الإجابات التقليدية.

وتلك الإجابات غالباً ما ينقم عليها الملاحدة بلا تأمُّل في الصورة مُكتملة من جميع الزوايا، فيأخذون بجانب فقط من الأجوبة الأُخرى أيضاً.

فمعلوم أنّ مما يُجيب به المتدينون أنّ الفرد إذا كان ظالماً أو مُجرماً وعاصياً فإنّ موته في تلك الكوارث هو عقاب له، وإن كان مؤمناً فهذا رفعة درجات له في الآخرة.

والأمر أيضاً على السواء في بلاءات الدنيا، فعلى سبيل المثال قد يكون أحدهم مُصاباً بعاهةٍ ما، لكن يكون في هذه العاهة نفع عظيم له من

جوانب أُخرى بعضها نستطيع تلمُّسه وإدراكه وبعضها يكون (معنويا) من ناحية دفعِنا إلى مزيد من التقدير لما لدينا من نِعم كالصحة والعقل واستثمارها على النحو الأمثل، ومن جهة أُخرى فإنّ وجود تلك الحالات يُغذي في قلوب البشر العطف فإنّ البشر قلوبهم تقسو مع مرور الزمن لو لم يُصادفوا تلك الحالات في محيطهم البشري فيستيقظ فيهم جانب العطف والإنسانية الذي بدونه تستحيل الحياة الإنسانية إلى صحراء قاحلة.

لعلّ من أبرز الأمثلة المعاصرة الدالة على جانب مما أشرنا إليه هو المُلحد «**ستيڤن هوكينغ**»

فهذا الفيزيائي المُقْعَد قد أُصيب بِعاهة مُنذ الصغر وكان مُقدّراً له من قبل الأطباء والمختصين أن لا يعيش طويلا.

لكن انظر إلى كم امتدّ به العمر؟

لقد امتدّ به العمر إلى أنْ توفي في عام ٢٠١٨ من سنين ما يُصطَلح عليه بالسنة الميلادية.

ظلّ على قيد الحياة وهو مُقْعد ومشلول شللا كُلِّيًّا، والشيء الذي بقي قادراً على تحريكه هو جفن عينه ولذا قاموا بتركيب نظارة خاصة له ليُشكِّل من خلالها الكلمات.

هذا التحدي للإعاقة خلق منه فيزيائياً بارعاً ركّز كلّ طاقته العقلية في ذلك الحقل.

هاجس اللا أخلاقيّة في التفسير الديني لأزمات الحياة

المحاور: هنالك اعتراض على أنّ هذا الذي ذكرتموه في تفسير ما يتعرض له البشر من أزمات الحياة لا أخلاقيٌّ البتّة، فمثلاً «كريستوفر

هيتشــنز»[١] يــضرب مثــالا بقولــه: تخيّــل حــال تلــك المــرأة النســاوية -وكانــت قصتهــا معروفــة-، ومُجملهــا أنهــا كانــت تتعــرض للاغتصــاب مــن قِبــل أبيهــا لمــدة أربــع وعشريــن ســنة في قَبْــوِ البيــت[٢].

هــذه كانــت طــوال تلــك الســنوات تدعــو الله وتطلــب منــه النجــاة ولم تتهيّــأ لهــا النجــاة ســوى بعــد أربعــة وعشريــن عامــاً. فيقــول «هيتشــنز» مــا مفــادهُ أنــك أنــت أيهــا الدينــي تقــول لي لا بــأس هــي مــرّت بــكُلِّ هــذا لأنهــا ســتحصل عــلى صفقــة أفضــل في حيــاة أُخــرى، فهُنــا لابــدّ أن تُجيــب مــا إذا كنــت جــاداً في كــون هــذا أمــراً مقبــولاً معنويّــاً وأنــه يجــب أن يحــدث مثــل ذلــك، والســماء كانــت تشــاهد بلا مبــالاة لأنهــا تعــرف أنّ الجــزاء ســوف تتــمُّ تســويته في وقــت لاحــق، ولهــذا لا بــأس أن تمــرَّ بــما قاســتهُ لأنهــا ســوف تلقــى مــا هــو أفضــل في مــرةٍ مُســتقبليّة قادمــة.

فيقــول «هيتشــنز» مــا مــؤدّاه: أنــا لا أعــرف كيــف تنظــرُ لأحــد يقــول شــيئاً قبيحــاً ولا أخلاقيّــاً كهــذا؟!

فالســؤال هنــا: هــذا الظلــم وهــذا الاضطهــاد الــذي يقــع عــلى النــاس، بعضهــم لا يحتملــه ويرفــض فكــرة التعــرض لــه، بينــما أنتــم المتدينــون تفسّرونــه بهــذا التفســير البســيط فتقولــون أنّ مــن كان ظالمــاً يذهــب إلى النــار وانتهينــا منــه، ومــن كان مؤمنــاً فهــذا يذهــب إلى الجنــة وانتهــى الأمــر، فيقــول أمثــال «هيتشــنز» أنّ حــلّ وتســوية القضيــة بهــذه الطريقــة لا أخلاقــيٌّ البتــة، فــما قولكــم؟!

ســماحة الشــيخ الحبيــب: إنّ هــذا المنطــق «الهيتشــنزي» -إنْ جــاز التعبــير- ينطلــق ممّــا أُســمِّيه النظــرة الضيقــة الأنانيّــة، ففــي المثــال الــذي طرحــه «هيتشــنز» لا

1 - كريستوفر إيريك هيتشنز، ولد بتاريخ 13 أبريل 1949 وتوفي بتاريخ 15 ديسمبر 2011، هو مؤلف وكاتب عمود ومقالات وخطيب وناقد أدبي وديني وناقد اجتماعي وصحفي بريطاني-أمريكي. كان هيتشنز المؤلف والمؤلف المساعد والمحرر أو المحرر المساعد لأكثر من 30 كتاب، من ضمنها خمسة مجاميع من المقالات السياسية والثقافية والأدبية. لقد جعل منه الخطاب المناهض في الجدال موضوعًا رئيسيًا في الخطاب العام، مما أدى إلى جعله شخصية فكرية مثقفة ومثيرة للجدل.

2- جاء ذلك في حوار عبر هذا الرابط
https://www.reasonablefaith.org/forums/index.php?topic=6020303.0

أجده يرى الأمور إلا في إطار نظرة سطحية أنانية ضيقة. فهؤلاء لا يستوعبون القضايا جيداً لأنهم لا يرونها سوى من زاويتهم المحدودة الضئيلة.

وفي الإجابة عليهم أقول فلنعُد إلى أصل كلامنا السابق لنُشير أيضاً إلى أنه من الناحية المُسجّلة طبياً والمحسوسة عمليّا فإنه من المعلوم أنّ كثيراً من ذوي العاهات لأنهم يفقدون شيئاً من الحواس الطبيعية أو من القدرات البشرية الاعتيادية، فإنّ قدرات في جوانب أخرى تنمو لديهم. فهذا الكفيف تجده يبرع في جانب آخر إنْ قوّى نفسه وتابع التعلم.

هنالك حديث شريف عن إمامنا الصادق «عليه السلام» يقول فيه: «**ما ضعُف بدن عمّا قوِيت عليه النِّية**»[1]

أي مهما يكن من ضعف أو عجز في بدنك فإنّك إذا قوّيت النية والعزيمة على أمرٍ ما فإنك تستطيع فعله، فما ضعُف بدن عمّا قويت عليه النِّية.

وكمثال واقعي فإنّا قد وجدنا «**ستيفن هوكينغ**» عاش زمناً طويلاً وقد أخبروه مذ كان طفلاً أنه سيعيش مدة قصيرة، ولكنه صمّم على أن يواصل أبحاثه في الفيزياء أملاً في أن يقدِّم أقصى ما يمكنه تقديمه بما يحفظ له مجداً علميّاً في المجتمع البشري.

أي أنه قال لنفسه لقد تبقّت لي أشهر معدودة في الحياة، إذاً فلأستغلها في تحقيق طموحاتي العلمية بقدر استطاعتي، وتلك الأشهر طالت إلى سنوات وسنوات، واصل فيها أبحاثه العلمية وكان يكافح في سبيل ذلك إلى أن برع في الفيزياء وصار من عباقرة الفيزياء في هذا القرن، والحال أنه مريض مُقعد عاجز حتى عن مساعدة نفسه، لكن ذهنيّته الفيزيائية متميزة، مع قطع النظر عن اختلافنا معه في مسألة الإلحاد. والشيء بالشيء يُذكر

1- الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٤٠٨.

فإنك إن دقّقت ستجد «هوكينغ» ليس ملحداً صرفاً بمعنى أنه يجعل جهده في التنظير لمحاربة الاعتقاد بوجود الخالق تعالى، وإنما هو مِمّن يقول أنه لا دليل على وجود الله تعالى بحسب التفسير الفيزيائي، ولا حاجة إلى وجود خالق بحسب ما توصّل إليه من سَير الوجود وفق سلسلة من قوانين الفيزياء. والقسم الأول من متبنياته من الطبيعي أن يصل إليه لأنّ الله تعالى هو (خالق) القوانين فلا يمكن لتلك القوانين تفسيره تعالى فهي حادثة مصنوعة وهو تعالى موجِدها.. وأمّا القسم الثاني فهو ما يقودهُ إلى التسلسل اللا متناهي والبقاء في دوامة الحيرة ولهذا ينتهي العقلاء إلى التسليم بوجود الخالق الحكيم، بينما تجد مثلاً «ريتشارد دوكينز» قد مُحِض الإلحاد فهو (يحارب) الاعتقاد بالله تعالى.

فإذاً يُمكن أن تُفسَّر الكوارث والعاهات والأزمات التي تُصيب البشر بأنها عاملُ دفعٍ نحو الأمام في جوانب أُخرى.

وعليهِ نقول بشأن تلك المرأة النمساويّة أنّ كثيرات ممّن تعرضن للاغتصاب واحتُجِزن لأيّام أو سنوات قد غدون اليوم مِمّن أسهمَ في تغيير زوايا سلبية عدة من وجه حياة المرأة على مستوى العالم بسبب تعرضهنّ لتلك المِحن، حيث جعلن رسالتهن في الحياة أن يُكرِّسن جهودهن في إنقاذ المرأة من براثن هذه المشكلة ومثيلاتها من الممارسات الوحشية تجاه المرأة، فأُسِّست الجمعيات الحقوقية والتوعوية، ومن وراء جهودها وضغطها سُنّت قوانين للردع والحماية وتكثّفت حملات التوعية وبهذا قُضِي على كثير من الجرائم التي كان يمكن أن تستمر ويقع أضعافها قبل سنِّ تلك القوانين الرادعة الصارمة والحملات التوعوية المنبِّهة.

فالمُصيبة والبليّة التي تعرضت لها هذه المرأة فتحت باباً لنُضجٍ بشريٍّ حقوقيٍّ وأخلاقيٍّ وقانوني واجتماعي على ذلك الصعيد، وأتاحت مجالاً لمزيد

مـن التقـدم في ميـدان الحمايـة والأمـن والتطـور البـشري عـلى الصعيـد الإنسـاني مـن جانـب آخـر.

الأمـر الآخـر: هـذه المـرأة النمسـاوية المعروفـة التـي تعرضّـت للحجـز والاغتصـاب مـن قبـل أبيهـا لسـنوات.

أوّل الـكلام هـو هـل هـذه المـرأة التـي كانـت تدعـو للخـلاص والنجـاة مـدة عشريـن سـنة قـد وصلـت إلى الديـن الحـق أم أنّهـا كانـت تدعـو إلهـاً مُزيّفـاً؟! أي فلنفـرض أنهـا كانـت تدعـو صنـماً، فهـل تكـون بهـذا قـد دعـت الله الأحـد الصمـد الـذي لم يلـد ولم يُولـد، ولم يكُـن لـه كُفـواً أحـد؟!

هاجس البحث عن الإله في قرارة النفس

مداخلة من المُحاوِر والشيخ الحبيب مُجِيباً:

المحـاور: ولكـن هـي في قـرارة نفسـها كانـت تبحـث عـن هـذا الإلـه الـذي ينقذهـا.

سـماحة الشـيخ الحبيـب: لابُـدّ أنّ هنـاك نسـبةً مِـن التقصـير فـإنّ لله الحُجّـة البالغـة، والإنسـان يتمكـن بفطرتـه أنْ يصـل إلى الإلـه الحـق حتـى وإن انقطعـتْ عنـه سُـبُل المعرفـة، فعـلى الأقـل عندهـا نسـبة مـن العقـل، فكيـف تؤمـن بإلـه مُزيّـف؟!

إنّ الإنسـان لـو تُـرك وعقلُـه -وهـذا أمـر يُفـترض أن لا يُنـازِع فيـه اثنـان- فهـل يقبـل أن يعبـد حجـراً؟ أو يعبـد بقـرة، أو شمسـاً أو حتـى يعبـد إنسـاناً مثلـه فيقـول أنـه تجسّـد فيـه الإلـه كالمسـيح عليـه السـلام والعيـاذ بالله؟!الإنسـان لـو تُـرِك وعقلـه لمـا قبـل بهـذا ولدلّتـه فطرتـه عـلى رفـض تلـك الاعتقـادات الزائفـة الباطلـة.

فكان ينبغي عليها إنْ أرادت النجاة أن تعبد الإله الحقيقي بأن تتوصّل إليه ولو بمُفردها وكان يمكن أن تصل، فعدم توصُّلها إلى المعبود الحق ناشيء عن التقصير.

ثمّ فلنفرض أنها ممّن وصل لمعرفة الإله الحق فنقول سواء طالت مُدّة حبس تلك المرأة أو قصرت فبالنتيجة هل فرّج الله تعالى عنها أم لا في النهاية؟!

على سبيل المثال؛ من شخصياتنا الدينية الشيخ بهلول رحمه الله[1]، وهو شيخ إيراني قام بثورة في أيام الشاه الأول في مشهد في مسجد گوهرشاد الذي صار اليوم ساحة جنوبية ضمن الحرم الرضوي الشريف.

بعد إخماد الثورة وخشية الاعتقال هرب الشيخ بهلول من مشهد المقدسة واتّجه صوب أفغانستان وهناك حينما دخل القرى البكريّة -أي قُرى أهل سنّةِ أبي بكر وعمر وجماعة معاوية- في أفغانستان تظاهر بأنه بكريٌّ مثلهم وعلى ملتهم، لأنهم كانوا يقتلون أي فرد من الشيعة الرافضة اعتقاداً وإيمانا منهم أنّهم بذلك يدخلون الجنة.

وآنذاك كان من عاداتهم وتقاليدهم أنهم إذا دخل أو وفد عليهم أحد فإنهم لا يقبلون على أنفسهم إذا قال إنّي جائع إلا أنْ يُطعموه قبل أن يسألوه من أنت، ما اسمك وأصلك، ومذهبك، وبلدتك.

فكان الشيخ بهلول يعلم تلك المسألة في عاداتهم. لهذا يقول: حينما أتيتُ أحدهم سألني أنت سني أم من الشيعة؟ أجبتُه فوراً: أنا جائع.

ومِن حينهم أدخلوا الشيخ بهلول بيتهم ودعوه إلى ضيافتهم ليأكل ويأخذ قسطاً من الراحة.

1- مذكرات الشيخ بهلول ص 147.

يقـول الشـيخ بهلـول أنـه بينـما كان يـأكل في القسـم العلـوي مـن البيـت، رأى صديقـاً لصاحـب ذلـك البيـت قـد حـضر فـكان يسـأله مـن عنـدك؟ هـل هـو إيـراني رافـضي؟

وإيـران بالطبـع ليسـت كلهـا مـن الشـيعة، فحتـى مـن سـكنوا مشـهد في الأطـراف هُـم مـن البكريّـة المُخالفـين.

يكمـل الشـيخ بهلـول قصتـه[1] فيقـول أنّ صديـق صاحـب البيـت قـال لـه: لَم لا نذهـب إلى ضيفـك هـذا ونقتلـه فـوراً؟! فأجابـه صاحـب الـدار: حتـى لـو كان هـذا الضيـف رافضيّـاً لـن أقتلـه فأنـا ولله الحمـد قـد ضمنـتُ الجنـة لأني قتلـتُ حتـى الآن سـتة عـشر رافضيـاً. -فهـو يـرى أنـه بذلـك قـد حجـز تذكرتـه للجنّـة وضمِـن مقعـده فيهـا-

شـاهدُنا في قصـة الشـيخ البهلـول هـو أنـه بالنتيجـة قـد اعتُقِـل في أفغانسـتان وقـضى في السـجن ثلاثـين سـنة، وهـذه مـدة كافيـه للجنـون. وقـد كان الشـيخ البهلـول مـن المعمِّريـن حيـث ناهـز عمـره رحمـه الله (١٠٥) مـن الأعـوام، ولم نجـده قـد كفـر في فـترة مكوثـه في السـجن، ومـا قـال أنّ الله عـزّ وجـلّ قـد تخلّى عنـي أو شـيئاً مـن هـذا القبيـل.

لقـد أمـضى ثلاثـين سـنة في السـجن ولا أحـد يعلـم عـن أخبـاره شـيئاً في أفغانسـتان، وبعـد ثلاثـين سـنة مـن السـجن قـد التفـتَ القيِّمـون عـلى السـجن أنْ لا أحـد يسـأل عـن هـذا الرجـل طـوال هـذه الفـترة، فأطلقـوا سراحـه.

فـإذاً علينـا عوضـاً عـن أن نُركِّـز نظرنـا وتفكيرنا في استبشـاع طـول مُـدّة المِحَن والمصائـب، أن ننظـر ونتأمّـل مـا منافـع ذلـك وإيجابياتـه مـن جهـات أُخرى سـواء في هـذه الحيـاة أو بعدهـا حـين نصـير إلى دار الخلـود.

---

1 - مذكرات الشيخ البهلول 147-148.

هـذه الحيـاة الدنيـا دار ابتـلاءات وامتحانـات ومتاعـب وعذابـات، ولا يمكـن للإنسـان أن يفـترض أنـه بمنـأى عـن التعـرض للمتاعـب والبـلاء فيهـا، وإنّ رفـض ذلـك هـو عينـاً أشبه بحـال الطفـل الصغـير الـذي لا يفهـم فلسـفة المـربِّي، فوالـده يربيـه فيزجـره وينهـرُه في الصغـر، أو يضربـه بـلا تبريـح بهـدف التأنيـب والتنبيـه فيُشـعره كلُّ ذلـك بـشيء مـن الألم فتسـوَدُّ الدنيـا في عينـه وينقـم عـلى أبيـه، ويقـول إنّ والـدي قـاس وظـالم، لمـاذا يقسـو علـيّ، ولمـاذا يكرهنـي هكـذا، لمـاذا يضربنـي ويُؤنِّبنـي؟

لكنـه حينـما يكـبر وينضـج وتتوسّـع مداركـه العقليـة فإنـه حينئـذ يكتشـف أنّ مـا فعلـه والـده كان نِعْـمَ الصنيـع، فلـولا هـذه النسـبة مـن الألم التـي تعرّضـتُ لهـا عـلى يـد والـدي لمـا صِرت الآن رجُـلاً مُـدْركاً.

إنّ الله عـزّ وجـلّ هـو مربِّينـا الأوّل، وهـذه الحيـاة بالنسـبة إلى الآخـرة ليسـت بـشيء عـلى الإطـلاق، فكأنّـما هـي عبـارة عـن نقطـة في بحـر، بـل لا قيمـة لهـا في مقابـل الحيـاة الأُخرويّـة.

فلنقُـل أنّ هـذه المـرأة لـو قُـدِّر لهـا أن تذهـب إلى الجنـة بعـد أن تكـون إن شـاء الله قـد آمنـت وحسُـن إيمانهـا فإنهـا حينئـذ ثِـق أنهـا ستشـكر الله تعـالى عـلى مـا تعرّضـت لـه مـن بـلاء طـوال عشريـن سـنة، وأصـلاً لـن تُحِـسّ بـشيء ممـا مـرّت بـه إذْ تُصبـح تلـك المـرارة مُندكّـة ومُضمحِلّـة في هـذه اللـذة والسـعادة التـي لا توصـف، والنعيـم الـلا متناهـي، وسـائر العطايـا التـي لا وصـف لعظمتهـا وقـد حـازت عليهـا جميعهـا بسـبب تحمُّـل عنـاء تلـك السـنوات التـي تُشـبه وفـق مقاييسـنا الدنيويـة تحمُّـل أحدهـم عشريـن دقيقـة مـن الشـقاء مقابـل ثمانـين سـنة مـن الراحـة والسـعادة..

اليـوم إذا قالـوا لشـخص سـوف نُعرِّضـك مـدّة عشريـن دقيقـة للعـذاب والألم وفي المقابـل سـنمنحك طـوال عمـرك الرغـد والراحـة بـأن تُصبـح بليونـيراً.

لـو افترضنـا أنّنـا نعلـن عـن تحـدٍّ مقابـل جائـزة كهـذه فإنـك سـترى الطوابـير البشريـة تمتـد مـن هُنـا إلى الصـين.

بـل يقبلـون هـذا العـرض والدخـول في التحـدي مقابل مبالـغ أقل فيتحمسـون في سـبيل عـشرة آلاف كدخـلٍ شـهري ثابـث، بـل أقل من ذلـك[1].

1 - أقول: ما تفضّل به شيخنا الأستاذ تامٌّ وفيه الكفاية إن شاء الله، غير أنّ تشجيع شيخنا لنا على التوسُّع المعرفي يحثنا على طرح هذه الإضافات لمزيدٍ من توثيق الحجّة بعونه تعالى. ولكن أولاً وبصرف النظر عن أيِّ جواب أو تفسير يُطرح في الموضوع محلِّ النقاش، نقول ما قيمة الأخلاق أصلاً ومركزيتها والدليل على معنويتها ضمن الفكر الإلحادي الصرف؟!
فوفقاً لما يؤمن به الملحد يُفترضُ أن لايكون تركُ أحدهم يواجه مصيراً مؤلماً أمراً بشعاً بما هو وبمجرده. إنّ الفكر الإلحادي يؤمن بالحتمية الصارمة لسير الأشياء ضمن الفلك المادي، فأنّى للملحد أن يحكم بقبح وعدم صوابية الاغتصاب أو القتل والتعذيب وغيرها من فساد أخلاقي؟!
سيرجع راغماً إلى ما يعتبره ميتافيزيقيا الدين والإيمان حيث أنّ مبادئ القداسة والخير والشر تنبعث منهما لأنه لا يسعه ذلك عبر الأُطر المادية الحتمية فيزيائياً وبيولوجياً. فبحسب العقلية الإلحادية لا مانع ولا مشكلة في إبادة جماعية لملايين البشر في سبيل السلطة لأنّ العقل الإلحادي المادي المجرد تحكمه قوانين الطبيعة. يقول أحد أهم عرّابي الإلحاد «ريتشارد دوكينز» في كتابه بعنوان: River out of eden, p.13))
الكون في حقيقته بلا تصميم، بلا غاية، بلا شر ولا خير، لا شيء سوى قسوة عمياء لا مُبالية) إنّ فكرة تكريم البشر وتميُّزه هي مقالة دينية. ولهذا يُذعن «ريتشارد دوكينز» وبكل صراحة على خلاف المهرطقين من ملاحدة العرب لهذه الحقيقة بقوله: «من الصعب جدّا الدفاع عن القيمة الأخلاقية المُطلقة على أرضية أُخرى غير الدين»
.It is pretty hard to defend absolute morals on grounds other than religious ones
The god Delusion, p.232
والحقيقة التي لا يسع الملاحدة التعمية عليها هي أنه في العالم الإلحادي المادي الحتمي لا يمكن حتى تخطئة هتلر!
فلاحظوا هذه العبارة التي قالها ريتشارد دوكينز في مقابلة له يمكن العثور عليها على موقع مجلة تحمل اسم:
byFaith
.What's to prevent us from" saying Hitler wasn't right? I mean that is a genuinely "difficult question
فكما ترون فإنه عند ذلك يكون حتى حرق الأطفال على شناعته غير ممكن الاستيعاب في الإطار المادي الإلحادي!
يقول «آرثر ألين ليف» أستاذ القانون بجامعة يال بالولايات المتحدة الأمريكية: « لا توجد طريقة لإثبات أنّ حرق الأطفال بقنابل النابالم هو شيء سيء.»
there is today no way of 'proving' that napalming babies is bad
.Economic Analysis of Law: Some Realism about Nominalism (1974), p.454
• وأمّا بالعودةِ إلى ما نحن بصدد مناقشته فأقول كما سبق وذكر شيخنا الأستاذ فإنّ العقلية الإلحادية تنطلق في التأسيس لبنيانها المتهالك من الاتكاء على المغالطات المبدئية.
فإنّ الواقع هو أنّ سبب معاناة تلك المرأة المُغتصبة وغيرها هو السعي الدؤوب من قِبل الملاحدة وأشباههم من أرباب الديانات المنحرفة الباطلة في تصدير مناهجهم وأفكارهم وبثِّها في المجتمعات البشرية وإزاحة المناهج الإلهية الحقّة التي جاءت من خلال البشر الكاملين وهم الأنبياء وأوصياءهم (الشرعيون) المُعيَّنون بالنص من قبل الله تعالى.
عبر العصور وجدنا أنّ هؤلاء المتمردين على الدين الإلهي (الحق) هم سبب المشاكل والبلايا. فهذا الأب الذي اغتصب ابنته ما كان ليفعل ذلك لو كانت البيئة العالميّة أو الشخصية التي نشأ فيها هي بيئة إيمانية إلهية حقّة، وفي عالم يحكمه خليفة الله تعالى المنصّب بأمره، والناس مُطيعون له، لا يتمرّدون عليه. فهؤلاء الملاحدة وأشباههم من أهل النحل الباطلة يحاربون ذلك المشروع الإلهي ويفسدونه وينشرون مناهجهم الناقصة المُنحلّة المختلّة، وقد خرّبوا حتى المجتمعات التي تعتنق الدين (الحق) وأفسدوا أخلاقها بتغلغلهم فيها عبر وسائل الإعلام والمخالطة الاجتماعية وغيرها، ثمّ يقولون لماذا ترك الله هذه تتعرض للاغتصاب وذاك للقتل وغير ذلك من المشاكل والمفاسد الاجتماعية!
يقول تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» في الحديث الشريف عن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) قال: ذلك

والله يوم قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير.
الفساد في كل شيء يبدأ من التمرد على الخليفة الحق الذي اختاره الله تعالى وإقصائه ومعاداته ومحاربة منهاجه. لو أنّ صاحب مصنع حدّد لموظفيه نظام تشغيل معيّن وأخبرهم أنّه في حال حدوث أي مشكلة في سير العمل وفقاً لهذا النظام المُحدّد فإنّ هنالك رقم استغاثة يرتبط بهذا النظام ويسعهم الاستعانة به لِيَرِدَهُم الدّعم في الوقت المناسب. فافترضنا أنّ الموظفين عبثوا بنظام التشغيل الأساسي وغيروه ثمّ وقعوا في مشكلة وراحوا يحاولون الاستعانة برقم الاستغاثة المرتبط بالنظام الأصلي فوجدوا أنّه لا يعمل ولا يستجيب فحينها من هو المُلام ومن المخطئ؟
الله تعالى بالمثل قد وضع ورسم نظاما ومنهجا لإدارة هذه الحياة وجعل سبيل الاستغاثة به تعالى أمراً مُرتبطا بالنظام الذي وضعه وعيّنه فكيف يعترض من يُغيرون هذا النظام ويعبثون به حينما تتعطّل وسائل طلب الإغاثة ولا تُجدي نفعا بسبب عبثهم؟!
كيف يرتدع البشر عن العبث إذا كان الدعم والمدد يأتي بكلّ سهولة كلّما طلبه من يقعون ضحية الشرور والفساد الذي أرسى البشر المتردون دعائمه، وهُم ماضون ومستمرون في التخريب والإفساد؟! حتى في قانون وسياسات البشر الذين هم أنفسهم من صنعوا المشاكل والفساد وتسبّبوا في كثير من المصائب فإنهم في بعض الحالات يرون الصواب في تركِ بعض من يخالفون الأنظمة بلا مساعدة يواجهون مصيرهم، وذلك لتنبيه وتوعيةِ فئةٍ ما إلى خطورة مخالفة القوانين الدولية وردعهم، لأنّ فتح ذلك الباب على مصراعيه يؤدي إلى مفاسد من جهات أُخرى على الدول.
كمثال؛ من يخالفون قوانين الهجرة.
جاء على الموقع الأخباري الموسوم باسم: euronews
نقلا عن الموقع الرسمي لأطباء بلا حدود ما نصُّه: ذكر الموقع الرسمي لمنظمة أطباء بلا حدود أن نحو 600 شخص لقوا حتفهم في الأسابيع الأربعة الأخيرة فيما كانوا يبحرون في البحر الأبيض المتوسط باتجاه الشواطئ الأوروبية.
وأضاف الموقع أن هناك بين الغرقى رضع وأطفال صغار، وأنّ الرقم يعادل نصف عدد الأشخاص الذين ماتوا في البحر الأبيض المتوسط منذ بداية العام، محيلاً سبب وقوع هذه المآسي إلى غياب المراكب المخصصة لعمليات الإنقاذ، والتابعة للمنظمات غير الحكومية.
وفي بيان نشرته على موقعها على الإنترنت أشارت المنظمة إلى أنها ساهمت في عملية إنقاذ المركب أكواريوس الذي كان يحمل على متنه نحو 630 شخصاً، بعد أن ((رفضت)) السلطات الإيطالية استقباله، مضيفاً إلى أن «دولاً أوروبية ((منعت)) عمليات إنقاذ أخرى أرادت منظمات غير حكومية القيام بها في البحر المتوسط».
ووصفت المنظمة القرارات الأوروبية المتعلقة بأزمة الهجرة والتي تمّ اتخاذها في الأسابيع الأخيرة «بالقرارات الفاضحة وغير المقبولة» مضيفة أن «الخيار في ترك الرجال والنساء والأطفال يغرقون في البحر المتوسط ((قرار متعمّد))».
أقول: هذا والحال أنّ تلك الدول هي ((المتسببة)) في تلك المآسي للشعوب ولكنها تُدرك أنّ تسهيل مدّ يد العون للمهاجرين في كلِّ مرة سيُضاعف المشاكل من جهات أُخرى وسيتولد عن مشاكل تدفق اللاجئين اختلالات يصعب على الدول مواجهتها.
ونحن بالطبع ضدّ تلك السلوكيات الظالمة لأنّ هؤلاء المهاجرين ضحايا الفقر والاضطهاد الذي تسبّبت به تلك الدول والأنظمة الرأسمالية الجشعة ومطامعها. ومع ذلك فإنّ تعمُّد تلك الدول الفاسدة عدم مساعدة أولئك المهاجرين قد أدّى إلى انتباه وعدم تساهل من لا يكون محتاجا بحقٍّ للهجرة غير القانونية والتفكير جيداً قبل المخاطرة بحياته وتعريضها لتلك المجازفة.
فكيف بعَالم أفسد البشر فيه وعطّلوا وخالفوا المنهاج الإلهي الذي تتحقق به سعادتهم ورفضوه؟!
كيف ينتبه البشر من سكرتهم ويُدركوا فظاعة عبثهم إذا كان لا بُدّ مِن نجاة الضحايا على الفور؟!
أنىّ لهم أن يُدركوا فداحة وقُبح ما ارتكبوه من عبث وتمرُّد على القوانين الإلهية الحقّة؟
• ثمّ ما يُدري ذلك الملحد أنّ الله تعالى لم يمنح تلك المرأة فُرصة للنجاة منذ البداية وقبل أن تتعرض لأي اغتصاب، ولكنها لم تستغل تلك الفرصة وتهاونت لكونها أَلِفت أجواء الفساد والرذيلة منذ الصِّغر ثمّ بعدَ حينٍ أدركت فداحة الأمر؟!
بل حتى لو افترضنا أنّ المجني عليه طفل رضيع فطالما أنّ ما تعرض له هو من إملاء وأمرِ ما نشره البشر من الفساد فإنّهم المدانون، إذْ لو كانت القدرة الإلهية تتدخل في كلّ مرة لإنقاذ طفلٍ ما فإنّ هذا سيحمل ذلك الوحش البشري على التمادي فيما لا يقل سوء من جهات أخرى في سبيل إرضاء نهمه البهيمي كالتوجه للمحارم والعياذ بالله، وقد لا يفيق المجتمع سريعا لخطر وشناعة فعل هذا الشخص بسبب ضحالة نظرتهم لمدى سوء تلك الممارسة البشعة، ولكنّ تعرضه للطفل يكون أقوى وقعاً في تنبيه المجتمع لخطر وضرر ذلك الشخص فيُكفى المجتمع من شرور أُخرى (لا تقل) بشاعة عن تلك التي كانت سبب تنبيههم لخطر ذلك الشخص، وفي جميع الأحوال هذا البشر الممسوخ هو صنيعة النظام

العالمي أو الاجتماعي الذي يطغى عليه الفساد.
فنعود ونقول أنّ أصل البلاء هو في مناهج الإلحاد والفساد التي تمدّدت فجعلت الفساد حالة عادية في نفوس بعض البشر فنشأ أبناءهم في تلك الأجواء وصاروا يستفيقون على واقع مرير ويدركونه بعد حين. لكن حينما ينشأ الأفراد منذ الصغر في بيئة الإيمان الحق والفضيلة يكون حِسُّ التمييز وإدراك القِيم لديهم عاليا منذ وقت مبكّر وهذا يجعلهم يفرون وينجون بأنفسهم من براثن الرذيلة أينما استشعروا وجودها.
• ومن جهةٍ أُخرى فإنّنا قد نتعاطف مع بعض الحالات لكنّنا لا نعلم أنّ أحدهم لو تمّت مساعدته بتجنيبهِ الوقوع في تلك المآسي أو حتى مساعدته للتخلص منها لكانت الأمور والنتائج أسوأ بكثير!
لتقريب الصورة فلنضرب مثالا: لو أنّ شخصا ولنقُل أنّه مختصٌّ نفسيٌّ حاذق، وهذا المتخصص النفسي علِمَ أنّ شخصا من جيرانه يحمل قنبلة وينوي تفجيرها في ساعةٍ ما. وفي نفس الوقت يعلمُ ذلك المتخصص النفسي أنّ القوات الأمنية التابعة لحكومة البلاد سوف تعتقل صاحب القنبلة، وتلك حكومة أنظمتها صارمة جداً وسوف تعاقبه بالسجن لعشرين عاما مع التأديب بالضرب طوال تلك السنوات.
سيختار المتخصص النفسي حماية أرواح عشرات من البشر بالتأكيد. وأيضاً من جهة أُخرى إذا وجد بحسب خبرته كمتخصّص نفسي أنّ هذا الشخص يُصلِحه ويحدُّ من شروره تركُه يواجه مصيرا شديد القسوة والصعوبة كالذي سيواجهه، فإنه لن يُحاول تنبيه أو تحذير ذلك الشخص الذي يحمل القنبلة أو تجنيبه مصير السجن والتعذيب، فالمتخصص النفسي حتى وإن لم يُحرِّض الجهات الأمنية ضدّ ذلك الذي يحمل القنبلة ولم يقُم بالتبليغ عليه عندهم، ولم يأمرهم بسجنه تلك السنوات وتعذيبه، فإنه سيتركه يواجه مصيره مع تلك الجهات الحكومية ولن يحاول حمايته من ذلك المصير، لأنه يعلم أنّ ذلك الذي يحمل القنبلة هو شخصية تحمل طاقات شرٍّ تخريبية هائلة، ولا يُلصحه إلا مروره بهكذا تجربة عصيبة لردعه وتأديبة.
فتخرج تلك الشخصية بعد ما قاسته من تجربة مريرة في السجن وهي تستشعر مرارة القسوة على الآخرين وتعريضهم للأذى فترتدع وتكفّ شرها. لو افترضنا أنّ الجهات الأمنيّة بعد القبض على حامل القنبلة تكتّمت على الأمر لعدم إثارة الهلع في المنطقة، ثمّ أجرت تحقيقات سريّة مع جاره المباشر وهو ذلك المتخصص النفسي فأخبرهم بأنه كان على علم بشأن ما كان جاره المقبوض عليه ينوي فعله، فطلبت منه الجهات المختصة إبقاء الأمر قيد الكتمان وعدم البوح به لأحد مُطلقا.
وبعد أيام ذاع في المنطقة التي يسكنها الشخص المقبوض عليه أمر الحكم عليه بالسجن لعشرين عاما. بلا سبب واضح يعرفونه. حينها سيتذمّر أهل المنطقة ويعتبرون ذلك الشخص مظلوما ويتعاطفون معه ويُندِّدون بما تعرّض له، والحال أنهم لا يعلمون أنّ هذا الشخص لو بقي طليقا لأفنى حياتهم!
نحن المؤمنون نعتقد أيضاً أن الله تعالى يعلم حقائق البشر ومآلاتهم وما سيكون منهم، وقد لا يحمي أحدهم من التعرض لأزمات قاسية لأنه تعالى يعلم أنّ هذا الشخص هو قنبلة فساد اجتماعي موقوتة ستنفجر في المستقبل أو هو بالفعل شخصية فاسدة في حاضره.. ويكون السبيل للحدِّ من شروره المستقبلية أو الآنيّة بحسب طبيعة شخصيته وما ينفع في ردعها هو تركه يواجه مصيرا صعبا مع بعض الأشرار ويمر بحوادث أليمة قاسية هي في الأصل نتيجة نشر البشر لمناهج الفساد وليست بأمر من الله تعالى.
فمن يفترضُ أنّ شخصية ما لمجرد تعرضها لأذى ما كالتعذيب أو الاغتصاب أو السرقة والعياذ بالله هي (بالضرورة) شخصية بريئة تماماً فلأنه لا يرى ولا يعرف حقائق الأمور ومآلاتها.
قد تكون تلك الشخصية في علم الله تعالى قنبلة إفساد موقوتة هائلة الشرور وسيأتي وقت ما وتنفجر في المجتمع مُخلِّفة ركاما من المفاسد والرذائل الأخلاقية والأمراض الجنسية والاجتماعية التي يصعب محاصرتها، فلا يُجنِّب الله تعالى تلك الشخصية خطر الوقوع في براثن الأشرار لأنها ستخرج من تلك الآلام كارهة للنمط الذي تأذت بسببه من الفساد وماقتة لأهله، ويُجنَّبُ المجتمع بذلك شرور تلك الشخصية سواء كانت مفاسد مستقبليّة لم تقع بعد، أو آنيّة قد وقع بعضها.
نحن البشر مهما تصوّرنا أنّ عقولنا بلغت منتهاها بما أدركته وأحاطت به من أمور فإنها تبقى نقطة في بحر ما نجهله وما يغيب عنّا ويخفى علينا. فحتى ما ذكرناه من جوانب يبقى جهلا في مقابل الحقائق والحكم الإلهية العُظمى. قال تبارك وتعالى :{والله يعلم وأنتم لا تعلمون}.
• إنّ الإنسان بإدراكه المحدود لا يمكنه أن ينتقي ما يعجبه من كل نِحلة ليصنع منها فكرا أو مُعتقدا أو دينا هجينا خاصا به لأنّ الأخلاق وسُبُل صلاح الدنيا وأهلها جميعها تخصُّص الخالق تعالى وليست تخصُّص كل من هبّ ودب، وهذا الخالق الحكيم وضع لتنظيم جميع تلك الأهداف (دينا) هو تخصُّص الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.
هل للملحد أن يتجاوز على مهنة الطب؟ هل له بدعوى أنه لا يحب الأدوية المُرّة المذاق أن ينتقي من الأدوية ما يكون

حلو المذاق فيأخذ من كل دواء قطرة ليصنع منها مركبا دوائيا؟ لربما خلط بين مواد يؤدي تفاعلها إلى تحول الدواء لمادة سمية قاتلة.
هل له لمجرد أنّ العقل يستبشع فكرة شق البطن أن يطالب بإلغاء العمليات الجراحية من مهنة الطب؟
لا تجده يصنع ذلك بل يقول أنّ تلك العملية الجراحية وإن بدت كفكرة (مُجرّدة) بالنسبة للعقل غير مقبولة إلا أنها حلٌّ علاجي يعلم الطبيب بحُكم تخصصه أنه الأنجع في بعض الحالات.
ذلك الإنسان مطالب من قبل الإله العظيم أن يعرِفهُ تعالى بالأدلة والبراهين التي يعرضها سفراؤه (الانبياء) وهؤلاء هم من يرشدونه إلى أوصيائهم الذين يكملون مسيرة تبليغ الدين.
عليه أن يأخذ الدين من منبع واحد فقط لأنّ الله تعالى هكذا أراد فالله تعالى له سبيل وصراط واحد فقط يوصل للنجاح في الدنيا ويوصل له تعالى ولجنّته إذ يقول جلّ شأنه: {ولا تتبعوا السُّبُل فتفرّق بكم عن سبيله} ، {إهدنا الصراط المستقيم} ، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}
وقد جاءت الأحاديث الشريفة موافقة لكتاب الله تعالى حيث ورد الحديث المتواتر الذي ينص على أنّ هناك فقط فرقة واحدة ناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة.
هذا عدا عن كون الدين الحق لا يخالف العقل والفطرة بل يخالف الهوى. فقد تبدو بعض تشريعاته لمن (لا يتدبر) غير متّسقة مع العقل ولكن إذا تأمل جيداً واستفسر ممن هو أكثر تفقها في الدين تبيّن له العكس.
أمّا القسم الآخر فهو لا يتعارض مع العقل تعارضا قطعيّاً ولكنّ العقل لا يعرف الحكمة منه فليس عقلنا يصل إلى الحكمة من كل أحكام الشريعة ولكننا نعمل وفقاً لها لكوننا نعلم أنها من إله حكيم وإن خفيت عنا الحكمة من ورائها. كما أنّ المريض يثق بطبيبه لعلمه أنه يختار الأصلح له فيتناول دواء لا يعرف طبيعة مركباته وخصائصه.
الأمر ذاته بخصوص هذه القضايا الفرعية التي يطرحها الملاحدة للتشكيك في أصل وجود إله خالق له أنبياء وأوصياءُ حقٍّ بيّنوا الدين الصحيح. فعدم القدرة على فهم أو تفسير بعض الجزئيات الفرعية لا يعطي أحدهم الحق في ضرب الأساسات والتشكيك فيها رغم وضوحها وقطعيتها!
من لا يفهم كيفية وقوع كسوف للشمس هل له أن ينكر وجود الشمس من رأس؟! فيقول بما أنّ ضياء الشمس غاب فالشمس زالت ولم تعد موجودة في نظام هذا الكون مطلقا؟!
ما يفعله الملاحدة وأشباههم أقرب للمثال التالي..
شخص زار مصر سائحا ثمّ تاهَ في مدينة القاهرة وأضاع الطريق إلى أحد المحلات، فيستغل أحدهم ذلك ويُشكّكه في حقيقة كونه في مصر!
فعندما يسأله السائح عن أحد المحلات في القاهرة يُجيبه: لكنّ المحلّ الذي تسأل عنه في القاهرة وأنت الآن لستَ في مصر.
فيتعجب السائل ويقول له كيف ذلك؟
يقول له ألا تنظر اسم الشارع الذي نقف عنده؟! اسم الشارع هو شارع مكة المكرمة!
ألا ترى هذا المحل الذي في مقابلنا الآن؟ اسمه هدايا الحرمين الشريفين!
فكيف تكون في مصر؟!
فهل يُمكنُ أن يقول الآخر لعقله وداعا فيشكّ بناءً على مثل تلك الهامشيات في كونه متواجداً على أرض مصر؟!
الدلائل والبراهين على الخالق والدين الحق مقطوع بها فلا يمكن التشكيك فيها وضربها من خلال جزئيات وإن لم نعرف لها تفسيرا تامّا وحكمة واضحة نعقلها.
الملحد نفسه هل يشك في وجوده في هذا العالم أو في العلوم التي يتناولها لمجرد أنه يجهل تفسير بعض القضايا الغريبة بالنسبة له في الوجود، بل لا يعرف على وجه القطع مبدأ هذا الوجود؟!
• لقد رأينا أنه من الجيد بهذا الصدد كنموذج لما أشرنا إليه في الكلام المزبور تقريرُ جواب للشيخ الحبيب يتعلق بسؤال وجهه أحدهم حول أصل لفظة (آمين) وقد أشار السائل إلى أنّ بعض الجهلة يجعلون من هذه القضية الصغيرة التي هي من جزئيات جزئيات الجزئيات والهامشيات منطلقا للتشكيك في قضية عُظمى مقطوع بها وهي الإسلام!
يقول الشيخ الحبيب في جوابه: هناك نظرية جاء بها عالم الآثار الألماني (جان اسمن) وهو عالم آثار مهتم بالحضارة الفرعونية وتأثيرها على شعب بني إسرائيل، ومفادها أنّ «آمين» التي ينطق بها المسلمون مُصحفة عن آمون إله فراعنة مصر.
لكنّ غيره من الأكاديميين خالفوه فقالوا أنّ لفظ «آمين» يرجع إلى اللغة الآرامية آمن، وأنه مشتق من كلمة (امنوث) ومعناها الوثوق والتأكيد، وقائلها في الصلاة إنما يقولها طالباً على نحو التأكيد استجابة الدعاء من الله تعالى.

وهذا التفسير بعيد عن لفظة (آمون راع)
كما أنّ هناك اختلافاً في تهجية اسم إله الفراعنة فهناك مثلاً من ضبطه بـ آمايين.
وسبب الاختلاف في ضبط اسم آمون أو آمايين -أيّا يكن- الضبط هو أنه لا يوجد تواصل شفهيٌّ بين الأجيال حتى تصل هذه اللفظة أو الاسم مضبوطاً إلى الأجيال المتأخرة.
يمكن لمن يراجع المواقع المعرفية على شبكات التواصل الإلكتروني أن يجد بسهولة أنها تذكر بأن لفظة آمين مشتقة من لفظ عبري آخر أو مشابه له في المعنى وهو لفظ (آمن)
وتلك جميعها نظريات، ولذا فإنّ بعض العلماء يعتقد أنّ هذا التشابه مجرد اتفاق وصدفة.
فتبقى هذه جميعها مجرد (نظريات ظنيّة) والمؤمن الموقِن لا يهدم دينه بناء على (ظنيات) فالظن لا يغني من الحق شيئاً.
• ومع ذلك نحن لا ندفع إمكانية اشتقاق آمين من جذر آخر.
ولنا وجهة نظر خاصة طبقاً لما تعلمناه من أئمتنا الأطهار عليهم السلام وهذا بحث جديد.
أولاً: إنّ أئمتنا الأطهار عليهم السلام منعوا بضرس قاطع من قول آمين في الصلاة.
العلامة المجلسي رحمه الله نقلا عن إرشاد القلوب للديلمي يقول: ((قد أجمع أهل النقل عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا من قال كلمة آمين في الصلاة فقد أفسد صلاته وعليه الإعادة لأنها عندهم كلمة سريانية معناها بالعربية: اِفعَل. كسبيلِ من يدعو بدعاء فيقول في آخره اللهم افعل)) فيتضح لنا أنّ آمين مأخوذة من السريانية.
وإدخال آمين في الصلاة كما أوضح العلامة المجلسي رحمه الله هي من بدع وإدخالات الطاغية الثاني عمر بن الخطاب وقد نسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله زوراً ولهذا كذّبه أهل البيت عليهم السلام. وهم أعرف بدين جدهم وهم الذين إن اتبعناهم لن نضل أبدا كما في الحديث الشريف المتفق عليه عند الشيعة ومخالفيهم.
ودليل كذب القوم بشأن قول آمين في الصلاة هو اختلافهم بشأن مواضع قولها في الصلاة والإخفات والجهر بها. ثمّ أتبع تلك البدعة بما يُسمى التكفير أي وضع اليدين على الصدر أثناء الصلاة لأنه استحسن ذلك من أفعال اليهود بزعم أنّ هذا من التذلل والتواضع. رغم كونهم يروون أنّ عمر بن الخطاب «لعنه الله» قال للرّسولِ «صلّى الله عليه وآله» يومًا: (إنّا نسمعُ مِنَ اليهودِ أشياء نستحسنها منهم فنكتبُ ذلك منهم ؛ فغضبَ النبيّ «صلّى الله عليه وآله» وقال: أمتهوكون أنتم يا ابن الخطّاب؟ لو كان موسى حيًّا لم يسعه إلّا اتّباعي)
فعمر بن الخطاب «لعنه الله» كان مفتوناً باليهود وطقوسهم وعقائدهم في حياةِ رسولِ الله «صلّى الله عليه وآله» وكان يتقرّب إليهم ويذهب إلى مجالس درسهم فيكون تصديق استحسانه لأفعالهم بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله من باب أولى.
وقد أنكر أهلُ البيت «عليهم السلام» التكفير في الصلاة ونهوا عنه نهياً مؤكّداً.
نهوا عليهم السلام عن عقد اليدين على الصّدر وسمّوهُ التكفير وهوَ «التكتُّف» أو «القبض» في الصّلاة. وحال أهل البيت ما شرحناه من شهادةِ الرّسولِ «صلّى الله عليه وآله» لهم بنفي الضلالةِ عنهم وعمّن تمسّك بِهِم. بينما في الطرف المقابل ليسَ من بدعةٍ ابتدعها هذا الرّجلُ إلّا وأولياءهُ محتفظون بها مواظبون عليها وعلى العمل بها، طاعنون على تاركها، وكلُّ تأديبٍ نبويٍّ قد خالفه الرّجلُ ببدعةٍ فهو عنْدهم مطروحٌ متروكٌ مهجورٌ ويُطعن على من استعمله!
وإذا رجع الباحث ودقق سيرى وجود تطابق كبير بين صلاة اليهود وصلاة الطائفة البكرية في الأفعال والحركات، فاليهود يقولون «آمين» في الصّلاة، كما أنهم يعقدون أيديهُم أو يقبضونها ويُكفِّرون في الصّلاة، فالهيئة هي ذاتها
قال العلّامةُ الحلّي في «نهج الحقّ»: ذهبت الإماميّةُ إلى أنّ قول «آمين» يُبطل الصّلاة وخالف في ذلك الفُقهاء الأربعة.
إذًا ؛ هذه هي المحطّة الأولى وهي أنّ قول الأئمّة «عليهم السّلام» وإجماعهم وإجماع فقهائهم هو أنّ قول «آمين» في الصّلاة مُبطلٌ لها وأنّهُ مأخوذٌ في الأصلِ من «السُّريانيّة»، ومن جانبٍ آخر في بحارِ الأنوار أيضًا عن أبي عبد الله الصّادقِ «عليه السّلام» قال: إنّ تفسيرَ قولك «آمين» (ربِّ اِفعَل)
معنى قول «آمين» هو أنك تقول «ربِّ اِفعَل»
ثانيا: في حديثٍ آخر أنّ «آمين اسمٌ من أسماءِ الله عزّ وجل ،فكيف ذلك ؟!
الجواب: لا مُنافاة ; لأنّه كما تقرّر في «علم الأصول» كثيراً ما يكون للكلمة معنى بحسبِ (الوضع التعييني) ثُمَّ يكون لها معنى آخر بحسبِ (الوضع التَّعَيُّني).
وهنالك فرق بينهما. فالتعيين هو أنّ الكلمة تمّ توظيفها لمعنى معين ثُمَّ لظروفٍ ما مع تعاقبِ الأزمان والأقوال وانتقال اللفظة من بلدٍ إلى آخر ومن لغةٍ إلى أخرى تتلاقح اللغات فيُصبح للكلمة وضعٌ تعيُّني. أي هي تعيّنت تلقائيًّا لمعنى آخر وأخذت واكتسبت معنى آخر.

أصلُ كلمة آمين اسمٌ من أسماء الله بحسبِ هذا الحديث، ولكنه اسمٌ من أسماء الله في اللّغة القديمة، وقد أخذت اللفظة معنى آخر تعيُّنِيًّا مع مرور الزّمان فصارت بمعنى «اللهُمَّ استجِب» أو «ربِّ اِفعَل»
لاحظوا اليوم مثلًا ما معنى قولنا: (بسْمِ الله الرّحمن الرّحيم)
نحنُ نبدأُ (بسْمِ الله الرّحمن الرّحيم) طالبين البركة والتأييد على جميع الأصعدة، لكنّكَ تجد في بعض الأدعية الشّريفة المأثورة هذا النّص (يا بِسْم الله الرّحمن الرّحيم)
هكذا تجد في الأدعية ،فكأنّ عبارة أو آية (بسْمِ الله الرّحمن الرّحيم) صارت اسما لله تبارك وتعالى ،لأنّ حقيقة الاسم هو اللفظ الدّال على المعنى.
(بسْم الله الرّحمن الرّحيم)
هذهِ العبارة مجتمعةً يمكن أنْ تُشكِّلَ أوثق لفظٍ وآكدَ لفظٍ دالٍ على المعنى وهوَ الله تبارك وتعالى الذّات المقدّسة.
في بعض الأدعية كذلك نقول: (يا قل هوَ الله أحد)
المُخالف للشيعة لا يمكنه بطبيعة الحال أن يستهزئ بهذا لأنّ المخالف إذا انتبه والتفت فهو في عقيدته يُسوّي ما بين الذّات الإلهية والقُرآن الحكيم فتُصبح آيات القُرآن الحكيم هي ذاتُها الله عزّ وجل-والعياذ بالله- فهم يقولون بما يسمّونه «الكلام النّفسي» ولذا يكون كلام الله عندهم غير مخلوق، ولهذا إذا قال أحدهم (يا قل هو الله أحد) كأنّه قال يا الله ،(يا بسْم الله الرّحمن الرّحيم) كأنّه قال يا الله.
فلا يُمكن أنْ يشنّع علينا المخالفون في ذلك طبقًا لمعتقدهم الفاسد.
•أمّا نحن فنقول شيئاً آخر!
حاشا أنْ نقول أنّ كتاب الله غير مخلوق بمعنى أنْ نسوّي بين الذّات الإلهية وكلام الذّات الإلهية، فهذا كفرٌ عندنا.
إنّما غايةُ ما نقوله هو أنّ هذه الآيات الكريمات أحيانًا تكونُ آكَدَ الألفاظِ والعبائر في الدلالةِ على المراد والمقصود فتحلُّ محل الأسماء.
وبالمناسبةِ أيضًا هنالك على غرار هذا الحديث الّذي مرّ معنا وهو أنّ «آمين» اسمٌ من أسماءِ الله عزّ وجل حديثٌ آخر هذا نصُّه:
عن أبي إسحاق الخُزاعي عن أبيه قال: دخلتُ مع أبي عبد الله أي الصادقِ «عليه السّلام» على بعض مواليه يعوده في مرضه فرأيتُ الرّجل يكثرُ من قول «آه» فقلتُ لهُ يا أخي اذكُر ربّك واستغِث به، فقال أبو عبدالله «عليه السّلام»:
إنّ آه اسمٌ من أسماء الله عزّ وجل فمن قال آه فقد استغاث باللهِ تبارك وتعالى.

• حتّى كلمة (آه) يبدو أنّها في اللُّغةِ القديمة عند البشر كانت عبارةً عن نداءٍ لله عزّ وجل واسماً من أسماء الله تعالى، ولكنّها أخذت بحسب الوضع التعيُّني معنى»التوجُّع»،وهذا التغير بحسب المسيرة البشرية حاصل فإنّ التطوّر والتغيُّر في معاني الألفاظ بما يُهجر معه المعنى القديم ويُلتفت فقط إلى المعنى الجديد أمر ملموس.
كمثال؛ إذا رأينا منظرًا جميلًا فإنّا نقول: (الله) وهذا يدرج على الألسنة عفوياً فقد تجد أنّ من يوظّف هذا اللفظ في معنى التعجب والاستحسان شخصا (ملحدا)!
لأنّ هذا اللفظ وهو لفظ الجلالة قد صرنا الآن نعني به «التعجب» إذا ما رأينا منظرًا جميلًاً أو عجيبًا.
أيضاً تجدنا في الدارجة نقول في الحثِّ على الحركة: (يلّا); (يلّا)
فماذا تعني في الأصل؟
إنها تعني (يا الله)
الآن تجدها دارجة على الألسن في مواطن شتى (يلّا يا شباب، يلّا بدأنا، يلّا مشينا، إلخ ..)، وأحيانًا من يلهج بها يكون غير مؤمن أو مسلم ولكنه يستعملها بمعنى الحث والتحفيز.
هذا كلّه من قبيل التطوّر والتغير اللغوي الذي أشرنا إليه، ولذا ليس بغريبٍ أنْ تكون لفظةُ «آه» من حيث الأصل في اللّغة البشريّة القديمة باللّسان البشري القديم هي اسمٌ من أسماء الله عزّ وجل لكن لأنّ الأجيال البشريّة المتعاقبة أدركت آباءها وأجدادها وهم ينطقون بهذا اللفظ (آه) في حال المرض والوجع فإنهم هجروا المعنى القديم مع مرور الأزمان وأخذوا بالمعنى الجديد.
• إنّ من يكشف هذه الأسرار هم حُجج الله تعالى صلوات الله عليهم !
فنورد أيضاً من قبيل ما ذكرناه لفظة «رمضان»
لاحظوا هذه الرواية في بحار الأنوار، عن سعد عن أبي جعفرٍ أي الإمام الباقر «عليه السّلام» قال: كنّا عنده ثمانية رجال فذكرنا رمضان فقال : لا تقولوا هذا رمضان ولا ذهب رمضان ولا جاء رمضان ،فإنّ رمضان اسمٌ من أسماء الله عزّ وجل لا

يجئ ولا يذهب، وإنّما يجئ ويذهب الزائل والله عزّ وجل لا يزول، ولكن قولوا شهرُ رمضان، فالشّهرُ المضاف إلى الاسم، والاسمُ اسم الله، وهو الشّهرُ الّذي أُنزل فيه القُرآن جعله الله تعالى مثلًا وعيدا.
إذاً نستفيدُ من هذا أنّه بالفعل من الممكن أن تكون للألفاظ معانٍ منها أسماء الله عزّ وجل فإنّ لله عزّ وجل أسماء عديدة منها ما هو معروف ومنها ما هو غير معروف. والشّائع عند النّاس أنّ الأسماء الحسنى تسعة وتسعون اسمًا، مع أنّه على التحقيق عندنا نحن الشّيعة الإمامية لسنا نحصر عدد أسماء الله الحُسنى بهذه التّسعة والتّسعين ،لكن على أيّ حال إن أخذنا بهذا الشّائع فهذه الأسماء الحُسنى لا تعني انحصار الأسماء الإلهية بهذه!
فهذهِ أحسنُ الأسماء، ولكن لله عزّ وجل أسماء عديدة كثيرة أُخرى.
• نحن قد سبقتنا إلى هذا الوجود أقوامٌ وأقوام من لَدُنْ آدم «عليه السّلام»، بل وقبل ذلك أيضًا أقوام من الجن وغيرهم من أقوام يشبهوننا لكنهم ليسوا من الإنس، وإنما من النّسناس.
هنالك ناس، وهنالك نسناس. النّسناس كما في الرّوايات الشّريفة عن أئمّة أهل البيت «عليهم السّلام» قومٌ خُلقوا قبل الناس.
والظاهر أنهم يشبهوننا لكنهم يختلفون عنّا شيئًا ما وكان لهم آدمهم، حيث في الرّوايات أنّ قبل آدمكم هذا سبعون آدم ، بمعنى رأس كلّ جنسٍ وقومٍ خلقهم الله عزّ وجل.
ونحن الشيعة الإماميّة الوحيدون من بين الفِرق الّتي تنتسب إلى الإسلام يمكننا أن نفسِّر الاكتشافات الحديثة الأحفوريّة وما شاكل مما يدل على وجود الكائن الشّبيه بالإنسان منذ ملايين السنين لأنّ ما بيننا وبين آدم بحسب أقصى الحسابات التأريخية والزّمنيّة لا يمكن أن يصل حتّى إلى نصف مليون سنة.
فما تفسير وجود كائنات تشبهنا ولكنها مختلفة عنا بعض الشيء. حيث تكون أصابعها أكثر طولاً، والأرجل تبدو مسطحة الى غير ذلك من بعض الاختلافات، وهو ما يسمونه الكائن الأول بحسب اصطلاحاتهم.
بقية الأديان والمذاهب لا تمتلك تفسيراً لذلك، بينما عندنا نحن الشيعة فإنّ أئمتنا عليهم السلام يقولون أنّ قبل آدمكم هذا سبعون آدم. فواحدة من تلك الأجناس تسمّى نسناس ولهم قصص مذكورة في الرّوايات وكيف أنهم فسدوا وسفكوا الدّماء وتجبّروا فأهلكهم الله عزّ وجل. وهذه واحدة من المعارف التي هي ذرة في محيط كثير ممّا نجهله.
فلعل هذه الأسماء القديمة هي عبارة عن الألفاظ المتوارثة عن تلك الأجناس، فهذا أيضًا محتمل، فإننا مقابل تاريخ بشري ممتد،(وربُّك يخلق مايشاء ويختار)
فمن الخطأ أن لا نتواضع للعلم ونتصوّر أنّ حدود معرفتنا فقط هي كُلُّ العلم ومُنتهاه.
الإنسان كلما تقدّم علميًّا أكثر يكتشف أنّ الّذي كان عليه من قبل هو أخطاء وقضايا هو غافل عنها ولا يعرف شيئاً عنها وجاهل بها، لكنّ مشكلة الناس هي «العجلة» فإنّ البشر يتعجّل ولا يتواضع للعلم.
فيتصور أحدهم أنه بمجرد أن يقرأ كتاباً أو يتعلم حرفين من العلم فقد صار مؤهلا لأن يتكلم عن الدين ويحكم بأنه خرافة وباطل.
وعودا على بدء نقول أنّ شاهدنا في الكلام هو ما ذكرناه من أنّ اسم (آه) اسمٌ من أسماء الله تعالى وقد أخذ تاليا هذا الوضع وهو أنّ الناس تذكره حين «التوجّع»
كذلك اسم رمضان هو في الأصل اسمٌ من أسماء الله تعالى سُمِّي به هذا الشّهر فصار منصرفًا إليه.
هنالك نظريات يطرحها آخرون لا علاقة لنا نحن بها. فهذا يقول الاسم من الرمضاء لأنّ العرب وضعوا للأشهر أسماء بحسب ما عهدوه منها فيجيب عليهم المعترضون أنْ كيف يأتي شهر رمضان في الشتاء؟!
فيقول الآخرون كلا هذا يعني وجود خطأ ما في الحسابات -رغم أنّ أمرا كهذا غير وارد فهذه أشهر قمرية دوّارة-
قسمٌ آخر يقول: كلا، ذاك من باب أوّل تسميتهم للشهر إذْ صادف حينها الحر.
وتلك جميعها تبقى نظريات ظنيّة لا يقينيّة لأنها ليست نابعةً من مشكاة الوحي، بخلاف ما نحن بإزاءه فكلام أهل البيت «عليهم السّلام» إنْ صحّ وثبَتَ الصُدور يكون من مشكاة الوحي لا يعتريه الشّك شأنه في ذلك شأن القُرآن العزيز، فالنبيّ «صلّى الله عليه وآله» أمرنا بالتّمسُّك بهؤلاء وضمِن لنا أن نُعصم من الضلالةِ إن تمسّكنا بأئمّة العترة الطاهرة «عليهم السّلام»، فقال صلى الله عليه وآله: (ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) فإذًا؛ كما أنّ لفظةَ (آه) يمكن أن تكون منقولةً ولفظة (رمضان) يمكن أن تكون منقولةً، فكذلك لفظةُ «آمين» يمكن أن تكون منقولةً ولها معنى أوّلي هو الأصل، ثمّ بعد ذلك تبدّل هذا المعنى، وإنّ في معاجم اللُّغة شواهد كثيرة على كلمات هي من حيث الأصل قادمة من لغات أخرى لكنّها لمّا دخلت في محيطنا العربي قد صارت لها معان أُخرى، وأحيانا تتسِع هذه المعاني وأحيانا تضيق.
أذكر لكم مثالاً واحدا وهو كلمة «زنديق»

هي في الأصل كلمة غير عربيّة. (زنديق) أعجميّة فارسيّة ، يُقصدُ بها الدّهري، أي الّذي يقول بِقدمِ الدّهر ويقول بالثنويّة.
في الديانة المجوسيّة الثنوية يقولون بإلهين اثنين إله النُّور وإله الظُّلمة.
إله النور إله الخير فكل الخيرات في الدّنيا ترجع إليه، وإله الظُّلمة إله الشّر فكل الشُّرور في الدّنيا ترجع إليه، وما من جنّةٍ أو نارٍ أو قيامة ومعاد، وإنّما هنالك كُرور في الدّنيا، والدّهر باق ومستمر.
غاية ما هنالك أنّ من يعمل خيراً في الدّنيا يأتي في الدورة الثانية إلى الدنيا في خِلقة أفضل. ومن يعمل شرا يأتي إلى الدنيا في الدورة الثانية في صورة أدنى فقد يُمسخ حشرة مثلاً، وهكذا.
هذا ما يعتقد به المجوس ويعتقد به الدّهريون وتعتقد به بعض الطوائف المنحرفة في المحيط الإسلامي ومنها الدروز، والنصيريّة كذلك يعتقدون بالتّناسُخ وعندهم خرافات كثيرة في ذلك.
جاء في لسان العرب: الزّنديق القائلُ ببقاء الدهر (فارسيٌّ معرَّب اللفظ)
فارسيٌّ معرّب وهو بالفارسيّة أصله (زندگ راي) يقولُ بدوام بقاءِ الدّهر، قال الجوهري: (الزّنديقُ من الثنوية وهو معرّب والجمعُ «الزنادقة»، هذا أصل كلمة زنديق).
الآن كلمة زنديق تُطلق في محيطنا الإسلامي على كُلّ إنسان منحرف حتّى وإن لم يكن قائلًا بالثنوية والدهرية!
فكيف نستحل إطلاق لفظ زنديق عليه؟!
هذه الكلمة انتقلت حيث عُرِّبت فصار لها معنى أوسع وهو الدلالة على كُلِّ منحرف ومُبتدع.
تجد في الرّوايات الشّريفة قول الإمام الصّادق «عليه السّلام» لحمران بن أعين رحمه الله: ((مُدّ المطمر بينك وبين أصحابك فمن اجتازه فهو (زنديق) وإن كان مُحَمّديًّا علويًّا فاطميا))
إلى هذه الدّرجة يصل الأمر؛ فكل فرد يخرج عن الاعتقادات الحقّة فهو (زنديقٌ).
ثالثا: نستظهر من هذا كُلّهِ أنّ قول (آمين) في نفسهِ لا بأس به فهو في الأصلِ اسمٌ قديمٌ من أسماءِ الله تبارك وتعالى وليسَ يبعد أنّ الفراعنة أطلقوه على آلهتهم كما أُطلق اسم رمضان على الشّهر المخصوص.
فلمَ لا نقول هكذا؟
نقول إن صحّ أنّ ضبط اللفظ هو آمون أو آمايين فهو أصلًا آمين؟
فلمَ لا يكون المقصود بآمين الإله؟ وهذا من اللّغات البشرية القديمة، وإذا بالفراعنة والمصريين القدماء يطلقونه على أحدِ آلهتهم.
فما المانع من ذلك؟ لا يبعد هذا.
لم تمنع الشّريعةُ استعمال هذا اللفظ في مطلق الدّعاء العام وإنّما منعت منه في العبادة المخصوصة وهي الصّلاة لكيلا نضاهي عبادات الأديان الأرضيّة كالفرعونيّة أو اليهوديّة.
أي أنّ اللفظ بما هو لا إشكال فيه إذا استعمله الإنسان في مطلق الدُّعاء. لكن إذا استعمله بهيئةٍ وكيفيّةٍ تُضاهي الصّلاة المخصوصة والعبادة الخاصّة الّتي عليها أديان منحرفة كُفريّة أخرى كالفرعونيّة، اليهوديّة، والنّصرانيّة فحينئذٍ يَحْرُم ويكون مفسدًا للصّلاة.
هذا تفسير استظهارِي لإباحة الشّريعة استعمال هذا اللفظ في مطلق الدّعاء وحظرها إيّاه في خصوص الصّلاة، وهو أن لا تقع المضاهاة ويكون التّشابه هذا مدعاةً لتسرُّب الشّركِ والكفرِ إلى المحيط الإسلامي حيث لا تكون هنالك فوارق واضحة بين صلاتنا وصلاتهم.
بينما هذا المنع يحول دون المضاهاة الواضحة في خصوصِ عبادةٍ كالصّلاة وهي رأس العبادات وعمود الدين. وإن كان اللّفظ في أصله صحيحا لكن لأنّه أخذ هيئةً ورمزية معنوية أُخرى في هذا المورد.
ومسألةُ المنع عمّا كان أصله صحيحا لفظا منعا للمضاهاةِ لهُ شاهدٌ من كتاب الله عزّ وجل كما في سورة البقرة في قوله تعالى (يا أيّها الّذين آمنوا لاتقولوا راعِنا وقولوا انظُرْنا واسْمعوا وللكافرين عذابٌ أليم)
هذه الآية عمَّ تتحدّث؟
المسلمون كانوا يأتون النبيّ «صلّى الله عليه وآله» يطلبون منه المراعاة فكانوا يستعملون هذا اللفظ فيقولون (راعنا).
هذا اللفظ في لغة يهود المدينة كان له معنى شائن وهو نوعٌ من أنواع السّب والشّتم ولذلك أعجبهم قول المسلمين (راعِنا).
فكانوا يأتون إلى النبيّ «صلى الله عليه وآله» متعمدين قولهم يا أبا القاسم (راعِنا، راعِنا) ويتضاحكون فيما بينهم، فصار استعمال تلك اللفظة مضاهاة، ولذا منع القرآن الحكيم المسلمين من أن يقولوا راعِنا وأمرهم أن يُبدِّلوا اللفظة إلى (انظُرنا) درءً لهذه المضاهاة مع أنّ الكلمة في أصلها ذات معنى صحيح. ولاحظوا أيضاً أنّ مسألة تحويل القبلة هي أيضاً لهذه العلّة.

لماذا لا يُبدِّل الله تعالى سُننه وقوانينه؟

المحاور: فلتسمح لنا أن نرجع إلى نقطة الصفر فنقول: لماذا لا يبدِّل الله تعالى القوانين التي سنّها مع ما تنطوي عليه من تعريض البشر للمتاعب والمِحن؟

سماحة الشيخ الحبيب: هكذا نكون قد رجعنا إلى نفس الكلام السابق.

نحن نتحدث عن كائن اسمه (البشر) له قابليات وخصائص نفسية معينة لا تستقيم بغير تلك القوانين والسُّنن الإلهية، فلا بُدّ من تعريض البشر إلى مثل هذه العذابات والآلام وإلّا فإنه لا يتكامل أخلاقياً ولا ينضج فكره الإنساني ولا تتسامى نفسه الإنسانية، ولا تنشأ لديه قِيم السعي نحو المدنية والتحضر والتطور على جميع الأصعدة كما سبق وفصّلناه

المُحاوِر مُتداخلا: ألا يمكن للإنسان أن تكون لديه كلُّ تلك القيم السامية التي ذكرتموها من غير هذه المتاعب والآلام؟!

الشيخ الحبيب مُجيبا: نعم لا يمكن له ذلك، لأنّ ما يُعاكسه خلاف الحكمة.

فالإنسان هو كما وصفه الله تعالى بقوله: {**إنّ الإنسان لَيطغى أنْ رآه**

إنّ النبيّ الأعظم «صلّى الله عليه وآله» قد بُعِثَ في مكة ودعا النّاس إلى الإسلام، وكانت صلاتهُ طبقا للحنيفيّة، أي كان يتوجّه إلى الكعبة الشّريفة على ملّة إبراهيم «عليه السّلام» فكان يصلّي إلى الكعبة. وقد أمره ربّه لئلا تتحقّق المضاهاة بأنْ يحوِّلَ القبلةَ إلى بيت المقدس فلا يبدو المسلمون والمشركون على وجهة واحدة.

فلمّا هاجر إلى المدينة وكان سكّان المدينة من اليهود وقبلتهم كقبلة المسلمين إلى بيت المقدس فإنّ الله تعالى أمره أن يرجع مرّة أخرى إلى الكعبة المعظّمة(فلنوليّنّك قبلةً ترضاها) لئلا تقع المضاهاة لليهود.

فالخُلاصة في هذه المسألة هي أنّ كلمة» آمين» لسنا ندفع بالمطلق أنْ يكون آمون أو آمايين أو غيرها من مشتقاتها، ولكنّ هؤلاء الفراعنة هم في الأصل أخذوها من اسمٍ قديم من أسماء اللّهِ تعالى. ولئلّا تتحقّق المضاهاة مَنع أئمّتنا «عليهم الصلاة والسّلام» من أن نذكرَ هذه اللّفظة في العبادةِ المخصوصة كالصّلاة، أمّا في مطلق الدّعاء حيث لا محذور من قبيل المضاهاة فلا بأس أن نستعمل اللفظ لكن لا على النحو الّذي يكون عليه اليهود والفراعنة وغيرهم من أهل الزيغ.

√ كان ذلك البيان من شيخنا الحبيب نموذجا لسؤال طرحه أحدهم مستفسرا عن جعل بعض الجهلة مسألة جزئية ظنيّة كهذه قضية تُتّخذ للتشكيك في الأركان اليقينية الثابتة وهي: اللّه تعالى ونبيه وآله عليهم السلام.

ومن خلالها يتبين مدى حماقة وجهل من يتخذ منهجا ركيكا كهذا أو يعتمده في تفنيد الحقائق وتوهين الثوابت))

استغنى}[١]

في تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله عليه.

{كلّا إنّ الانسان ليطغى أنْ رآهُ استغنى} قال: «**إنّ الإنسان إذا استغنى يكفر ويطغى ويُنكِر**»[٢].

فهذا هو واقع الحياة البشرية المحسوس وهو ممّا لا يمكن نكرانه. لاحظ البيئات الفقيرة، ستجدها عادة تتّسم بالترابط الاجتماعي والوفاء والتناصُح والأمانة وستجد أرقى القيم الإنسانية الجميلة موجودة في البيئات الفقيرة بقدر يفوق المجتمعات الغنيّة.

المذيع مُتداخلا: بل ربما نجد البشر في البيئات الفقيرة أسعد من غيرهم.

الشيخ الحبيب مُجيبا: نعم إنهم أكثر سعادة وسكينة من غيرهم. إنهم فقراء وسعداء.

لذلك تجد كثيراً من هؤلاء الأغنياء المُترفين يذهبون في أواخر عمرهم للعيش في بيئات فقيرة ويقولون أنهم يحسون براحة وسكينة وسعادة لم يحسوها من قبل.

المذيع متداخلاً: أو نجد أولئك المُترفين ينتحرون في نهاية المطاف!

الشيخ الحبيب مُجِيباً: بلى، أو ينتحرون بالفعل. لأنّ هذه المدنيّة وطغيانها الرأسمالي والاستغراق في الثراء الفاحش والملذات التافهة يجعل البشر منسلخاً من إنسانيّته مُستغرقاً في اللهو والبهارج الدنيوية، فيكتشف بعد حين أنّ ابنه مُدمن مخدرات وزوجته في عالم غير عالمه، ومَن حوله لا يريدونه لذاته بل

---

1 سورة العلق آية 6-7.

2- تفسير القمي، ج٢ ص٤٣٠.

لماله فتنعدم الثقة وتتحوّل الحياة إلى دوّامة تلفُّها الوجوه المزيّفة والتملُّق من الخادم والقريب والبعيد، والخداع والمصالح والغدر والخيانة والمؤامرات في صراعات المال والسلطة، ناهيك عن الخوف والقلق المستمر وعدم الشعور بالأمان على النفس والممتلكات. فحينها تتحول الحياة إلى غابة فأي طعم للسعادة سيشعر به هؤلاء المُترفون؟!

تلك الطبقة من الأثرياء تجد نسبة كبيرة منهم يراجعون الأطباء النفسيين بحثا عن علاج لمشاكلهم النفسية. فليسوا في راحةٍ حقيقيةٍ من العيش.

أتذكّر أنّ رجلاً من أغنى الأغنياء عندنا في الكويت، جاء ذات مرة إلى أحد العلماء، وأخذ يبكي مدّة نصف ساعة، والعالم يحاول تهدئته ويسأله: خيراً إن شاء الله، ما الخطب، هل من مشكلة فنعينكم على حلها بإذن الله تعالى؟

فقال ذلك الثري: لا أدري ما مشكلتي، فلستُ مرتاحاً رغم أنّ لديّ أحسن عائلة، وأنا رجل متدين أيضاً وعائلتي مُتديِّنة، بمعنى أنّ الله تعالى جمع له الدين والدنيا فهو صاحب تجارة ومركز اجتماعي مرموق ويعيش في بيئة متدينة.

أي أنّه ما من مشكلة حقيقية لديه، ومع ذلك يقول: لا أدري لماذا لستُ مرتاحا، شيء ما في داخلي مُرهق ومصاب بالسّأم من رتَابة ونمط الحياة التي أعيشها.

هناك حالة نفسية تصيب بعض الناس بحيث تجعلهم يشعرون وكأنهم يعيشون في الظلال وعلى هامش الحياة، فلا يعرف ما هي مشكلته وما الذي يضايقه؟

إنها مشكلة طغيان المادة والشعور بالاستغناء على الصعيد الدنيوي. فإنّ

الإنسـان إذا لم يُحِـسّ بالجـوع فإنـه لا يلتـذُّ بالطعـام ولا يعـرف قيمة شـعور الشـبع.

فـإذا كان أحدهـم يعيـش حالـة الشـبع طـوال عمـره كيـف يلتـذ بالطعـام؟ مهـما عُـرض عليـه مـن صنـوف الأكل وأشـهاه فإنـه يغـدو بالنسـبة لـه شـيئاً اعتياديـاً والرغبـة تجاهـه تصبـح بـاردة.

إذا لم يُحِسّ الإنسـان ولـو للحظـات بالفقـر أو الحاجـة فإنـه لا يشـعر بلـذّة مـا يمتلكـه.

إذا كان الإنسـان ثريّـا عـلى الـدوام ويشـتري كل مـا لـذّ وطـاب سـوف تـأتي عليـه فـترة لـن يلتـذّ فيهـا بـما يشـتريه.

سيشـتري أحسـن سـيارة أو طيـارة ولـن يشـعر بـأيِّ لـذة في ذلـك فقـد صـار ذلـك بالنسـبة لـه شـيئاً اعتـاد عليـه.

إنّ اعتيـاد بعـض الأنـماط كأسـلوب للحيـاة مهـما بـدت فيـه مـن لـذّة هـو آفـة تتفاقـم إلى مشـكلة نفسـية تدفـع ببعضهـم للانتحـار.

عـلى سـبيل المثـال؛ الزنـاة كالإباحيـين وأمثالهـم -أجلكـم الله- لمـاذا ليسـوا مرتاحـين؟

لأنّ تلـك الممارسـة تحوّلـت إلى ممارسـة بهيميـة ليسـت لهـا ضوابـط، وهـم مُسـتغرقون فيهـا بشـكل دائـم فيفقـدون الشـعور باللـذة فيهـا، وذلـك يجعلهـم ينطلقـون إلى ممارسـات شـاذّة طمعـاً في أنْ يجـدوا اللـذّة في التغيـير فـلا يصلـون إلى شيء مـن مُبتغاهـم، فيصـل بهـم هـوس البحـث عـن المتعـة إلى نـكاح البهائـم -أجلكـم الله- فـلا يجـد الواحـد منهـم شـيئاً مـن مُبتغـاه.

وفي النهايـة ينتهـي بـه الحـال إلى تعاطـي العقاقـير المُسْـتجلبة للرغبة الجنسـية مع مـا تنطـوي عليـه مـن سـلبيات ومخاطـر عـلى الصحـة لأنّ النشـوة الجنسـية تمـوت لديـه مـع الوقـت ويتعـرض لمـا يُسـمّى الـبرود الجنسي والسـبب هـو الاسـتغراق

في حالـة الإشـباع الجنسي، فأينـما توجّـه يجـد هـذا الـشيء في متناولـه، وأينـما صرف نظـره يجـد حولـه نسـاء متعريـات باسـتمرار وغـير ملتزمـات بحجـاب أو حشـمة.

وذلـك يرجـع إلى أنّ الإفـراط في كلّ شيء يُضعـف الرغبـة فيـه والاسـتمتاع بـه، وبالتـالي تمـوت الرغبـة فيـه حينئـذ ويحـلُّ الـبرود والـلا مبـالاة.

وبهـذا يكـون الإنسـان قـد جُـرِّد بسـبب هـذه المدنيّـة المُنفلتـة والحضـارة الكاذبـة المُترفـة مـن الاسـتمتاع الكامـل والحقيقـي بملـذات الحيـاة فصـار لا يشـعر بلـذّة حقيقيـة بـشيء الآن.

فـإذا أراد أحدهـم أن يخلقنـا الله تعـالى مُسـتغنين مـن الأصـل فكيـف سـنلتذُّ بـما حولنـا، وكيـف ننضـج ونتكامـل ونشـعر بقيمـة مـا نخطـه وننجـزه في طريقنـا نحـو التمـدُّن والتحـضُّر والتطـوُّر والتقـدُّم المعـرفي عـلى جميـع الأصعـدة؟!

إنّ ذلـك الفـرض هـو خـلاف الحكمـة فـإنّ واقعنـا لا بُـدّ فيـه مـن نسـبة مـا مـن الألم والاحتيـاج والنقـص والابتـلاء. أمّـا النظـر بهـذه الطريقـة للأمـور وبهـذا الشـكل السـطحي والنفـس الأنانيـة الضيقـه هـو نظـرة طفوليـة في الفهـم والتمييـز والتقييـم، كنظـرة الطِّفـل لِـضرب والـده إيّـاه تأديبـاً لـه وحرصـاً عليـه.

لا يسـعى ذلـك الفـرد ذو النظـرة المحـدودة إلى إنضـاج نفسـه وتوسـيع مداركه، وعندمـا يتأخّـر ويسـتهتر، وينتظـر إلى أن ينضـج تفكـيره في الآخـرة سيكتشـف أنـه قـد فـات الأوان. فهنـاك في عـالم الآخـرة سـيعرف متأخِّـراً كيـف تكـون الأمـور وموازينها.

مشـكلتنا نحـن البـشر أنّـا مـع محدوديّـة علمنـا ومعرفتنـا وضعفنـا ونقصنـا نتجنّـى عـلى الله تعـالى، فالبـشر ولنقُـل -عـلى سـبيل التسـامح في اللفـظ- كأنـما يظلمـون الله تعـالى (وحاشـاه) أن يصلـه ظلـم أحـد مـن خلقـه. فأقـول أنّ البـشر بالنسـبة لأنفسـهم يُـبرِّرون لهـا مـا يشـاءون، لكـن بالنِّسـبة لله عـزّ وجـلّ تتعطّـل

وتضيق مدارك البشر التي تتَّسِع لآلاف التبريرات لأفعالهم وقراراتهم وقوانينهم!

كمثال حيٍّ هذه الحروب التي تُشنُّ اليوم بقرار من مجلس الأمن الدولي، وقرار من الأمم المتحدة فيتمُّ تغليفها بأحسن غطاء أخلاقي يجعل من هذه الحروب الوحشيّة الدمويّة أخلاقية ذات نفع ولها مبرراتها الأخلاقية والإنسانية كإزاحة الديكتاتورية مثلاً، وهي أحد ما يتمّ من خلاله تبرير حرب العراق التي انتهت بإسقاط الطاغية صدام.

فيطالعك الساسة في الغرب بهذه العناوين الرنّانة: تحرير العراق، إزاحة الديكتاتورية، نشر الديمقراطية، حرية الإنسان، وما إلى ذلك من عناوين برّاقه يرددها الإعلام السياسي الغربي.

هذه الحروب كم تُخلِّف من الضحايا والمآسي والقتلى من الأبرياء؟

ماذا عن أفرادٍ يعيشون مسالمين لا ناقة لهم ولا جمل في تلك الصراعات السياسية وإذا بتلك القوة العسكرية تداهمهم فجأة ولو بِحُجّةٍ تبدو معقولة ومقبولة، ولكن بالنتيجة سوف تُرتَكب في حقهم جرائم حرب، وعلى أقل تقدير سيذهب أبرياء جرّاء تلك القوّة التدميرية الهائلة ويروح ضحيتها أبرياء ومساكين لا ذنب لهم، فالمرأة العجوز، والطفل الصغير والشيخ الكبير وغيرهم من فئات المجتمع المُسالمة ما علاقتهم بما يجري في تلك الحروب؟!

مع ذلك لا نجد من كهنة الإلحاد وأمثالهم صراخا عاليا كما نجده في الاعتراض على الله تعالى!

وإنْ وُجِد اعتراض فإنّه ليس بذلك المستوى من الشراسة والحدّة والتركيز من قبل هؤلاء الملاحدة أنفسهم. فإنهم لا يقولون بأنها حروب غير مُبرّرة. وإنما يعتبرونها حروبا لها دواعيها ومُبرِّراتها.

فـماذا يقولـون بشـأن عذابـات هـذه الفئـة مـن النـاس التـي ذاقـت ويـلات تلـك الحـروب؟

يجيبـون بقولهـم: بالنتيجـة تلـك ضريبـة لا بُـدّ مـن دفعهـا فـكل حـرب تقـع لا بُـدّ أنهـا ستُخلِّف ضحايـا مـن قتـلى ومُشرّديـن. ولا بُـدّ أن يتحمّـل هـؤلاء دفـع تلـك الضريبـة الباهضـة لأنّ هنالـك هدفـا أكـبر وأسـمى، ومـن حيـث المُحصِّلـة هنالـك نفـع أكـبر للبشريـة والمجتمـع ينتفـع مـن وراء تلـك الحـرب وإن خلّفـتْ بعـض العذابـات، لأنّ إيجابياتهـا أعـمُّ مـن سـلبياتها بالنتيجـة!

أقـول إنهـم يتحدثـون بذلـك المنطـق رغـم كونهـم لا يتعهـدون ولا يضمنـون لهـؤلاء المنكوبـين في تلـك الحـروب والعذابـات بـأيِّ تعويـض ولا يزعمـون أنهـم سـيبدلونهم بحيـاة أكمـل وأفضـل في عـالم آخـر أو مـكان آخـر!

بـل ويتركـون قسـماً مـن مُخلّفـات حروبهـم مـن مشرديـن ومُصابـين ومنشـآت بـلا رعايـة أو متابعـة.

ومـع ذلـك يعتـبرون مجـرّد تقديـم تلـك الضحايـا قُربانـا لأهـداف يرونهـا أهـم تبريـراً جائـزا بالنسـبة لهم!

فعـلى الرغـم مـن أنّـه لا قيـاس أصـلاً بينهـم وبـين الخالـق الرحيـم العظيـم الحكيـم، نقـول لمـاذا لا يتعاملـون مـع الله تعـالى بـذات المنطـق الـذي يسـمحون لأنفسـهم بتقديمـه في التبريـر لأنفسـهم؟!

لمـاذا يُـراد مـن الله عـزّ وجـل عـدم تعريـض عبـاده في الدنيـا لبعـض المـآسي مـع كـون المصلحـة مـن وراء ذلـك أكـبر مـن المفسـدة لـو تأمّلنـا بشـكل دقيـق، والعاقبـة في الدنيـا والآخـرة تنطـوي عـلى الحكمـة والصـلاح.

فلـماذا يسـتنكفون عـن قبـول ذلـك المنطـق في نظرتهـم لمـا يتّصـل بـالله تعـالى ولا بُـدّ أن يجعلـوا الله تعـالى (حاشـاه) ظالمـا والعيـاذ بـالله! أو عندمـا تنسـدُّ عـلى

المكابـر أبـواب الحُجـج. يقـول: الله قـادر أم غـير قـادر؟!

الله تعـالى قـادر ولكـنّ البـشر مخلـوق بقابليـات تجعلـه هـو غـير قـادر عـلى العيـش في عـالم يسـير وفـق مـا يتصـوّر هـو أنـه الصـواب مـن قوانـين! الله يقـول لنـا أنّ هـذا الـذي تحسـبونه شرّا لكـم هـو في نفعكـم، فالخالـق تعـالى هكـذا يختبرنـا، ويمتحننـا، ويُنضِجنـا ويرشـدنا، ويُوقظنـا ويُنبِّهنـا ويُقيـمُ الحُجّـة علينـا، وهكـذا يجعلنـا بـشرا مؤهّلـينَ للفـوز في الدنيـا والآخـرة إذا سـلّمنا لله تعـالى وآمنّـا بـه إلهـاً حكيـماً رحيـماً.

كـما أنّ التلميـذ قـد يُعرِّضـه المـدرِّب لبرنامـج تدريبـي قـاسٍ لكنـه يصـبر ويُسـلِّم نفسـه لأُسـتاذه ثقـةً منـه بحكمتـه وعطفـه وحِرصـه.

فـإذاً؛ لا يسـعنا بغـير هـذا السـبيل والقانـون الإلهـي إلا أن نُبطـل فلسـفة الحيـاة مـن رأس.

فهـذا أشـبه بتلميـذ في المرحلـة الابتدائيـة يقـول مُتذمّـراً: لمـاذا يُرهقنـي هـذا المُعلِّـم بالواجبـات المدرسـيّة؟

هـذا الأسـتاذ في كلِّ مـرة يختـبرني وإذا أخطـأت يُعاقبنـي، وفي السـابق قبـل إقـرار بعـض حقـوق الطفـل والتلميـذ في بعـض البلـدان كان الطالـب يشـتكي فيقـول: لمـاذا يضربنـي هـذا المعلـم؟!

نحـنُ كـم مـرّة مُنينـا بالـضرب مـن أسـاتذتنا؟! ولكننـا اليـوم نترحّـم عـلى أيامهـم لأنهـم جعلـوا مِنّـا رجـالاً وأهـلاً لتحمُّـل المسـؤولية.

هل أغلب الطلبة في هذه الأيام رجال يُعتمد عليهم؟

يقضـون أغلـب يومهـم في اللعـب ولا يدرسـون دراسـة جـادّة، إلا الأوحـديِّ منهـم.

لقد كانت فترة الامتحانات بالنسبة إلينا أشبه بجحيم، ولكن هذه الأيام تجد التلميذ يُمضي تلك الفترة وهو يلهو ويلعب ومع ذلك يتذمّر قائلاً لماذا هذه الاختبارات وهذا التعب والدراسة؟!

فتعالوا نُنشيء مدرسة نموذجيّة ليس فيها اختبار، أو عقاب، أو توبيخ، أو مُحاصّة في الدرجات. ولا تتضمّن شيئاً من شأنه تكدير خاطر التلميذ أو التنغيص عليه! وعلاوة على ذلك نريد منها أن تكون مدرسة يتخرج منها جميع الطلبة ناجحين متفوقين بامتياز!

حينها يُقال لنا حوِّلوا هذه المدرسة إلى مُلتقى ثقافي! فهذه ليست مدرسة ولا يصحُّ أن تُسمّى مدرسة!

لا يمكن في الواقع إلا أن توجد في النظام التعليمي المدرسي نسبة معقولة من التوبيخ والعقاب والامتحانات والصعوبات. فبهذا وأمثاله يمكن للطالب أن يتفوق وينضج علميّاً ومعرفيّاً وشخصيّاً.

إنّ الحياة التي نعيشها هي عبارة عن مدرسة إلهيّة كُبرى ونحنُ فيها تلامذة نتعلم لنزداد وعياً ونُضجاً، فمِنّا مَن ينجح، ومِنّا مَن يرسب ويسقُط. وإنّ التعرض للآلام، والمعناة، والعقاب، والمتاعب والكوارث والأحزان والابتلاءات المتوالية بالخير والشر جميعها جزء من نظام المدرسة الإلهيّة الكُبرى.

وهذه هي التي تجعلنا مُتفوِّقين وتزيدنا نُضجاً ورُشداً وفوزاً لا فقط في الآخرة -على فرض أنه لا آخرة كما يزعم الملحد- وإنما تلك الأمور هي في نفعنا الدنيوي أيضاً من جهات شتى.

أحدها أنّا بفضل التعرض لتلك المصاعب نزداد نُضجاً كمجتمع إنساني بشكلٍ أكبر.

فعلى سبيل المثال، منظمة الأمم المتحدة ومواثيق حقوق الإنسان ما كانت لِتتِمّ لولا ما خلّفته الحرب العالمية الأولى والثانية من دمار كان مؤشّراً صارخاً على وجود فجوة كبيرة في قوانين المجتمع الإنساني.

إنّ الله تعالى قادر على أن يمنع وقوع الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولو بمثل أن يصيب هتلر بسكتة قلبية قبل أو في بداية توليه المستشارية الألمانية، أليس كذلك؟ فلماذا لم يشأ الله تعالى ذلك؟

لأنّ وجود طاغية كهتلر وإن بدى شرّاً في عدة جوانب فإنّ منافع من جوانب أُخرى لأجيال قادمة سوف تتمخّض عن بقائه إلى تلك الفترة من حياته.

فاليوم نحن محكومون بمواثيق حقوق الإنسان التي كانت وليدة الابتلاء الذي تعرّض له الناس في تلك الحروب الكبرى.

كذلك الطاغية اللعين صدام كان نقمة وشرّاً على من حوله ولكن لو تأمّلنا بنظرة أكثر عُمقاً سنرى أنّ وجوده في تلك الفترة كان سبباً في نفع دينيٍّ كبير من جوانب أُخرى، فعلى سبيل المثال؛ بسبب اضطهاد صدام اللعين قد انتشرَ العراقيون في أنحاء العالم وحملوا معهم رايات أهل البيت عليهم السلام إلى كل مكان، وأقاموا مجالس الحسين عليه السلام في كل مكان، وكم دخل في الإسلام الأصيل والتشيُّع لآل محمد عليهم السلام من الناس في تلك البلدان النائية؟ وذلك ما كان ليتهيّأ لولا تعرُّض الشيعة في العراق لِمحنة الغربة والإقصاء عن الوطن والأهل فراراً من سطوة وظُلم ذلك الطاغية.

فلو لم يكن هناك طاغية اسمه صدام يحكم العراق آنذاك لما كان العراقيون بأعداد كبيرة قد هاجروا إلى خارج العراق حاملين معهم نور التشيُّع لآل

محمد عليهم السلام.

فالعراقيون أعزهم الله قد وصلوا إلى الصين، وإلى اليابان، والأرجنتين وهاجروا طالبين اللجوء في شتّى بقاع الأرض.

فما إنْ يستقرّ بهم الركب في مكان ثلاثة أو أربعة أيام إلا وينظِّمون أنفسهم ويرفعون علم (يا حسين) مُعلنين بذلك افتتاح مجلس حُسينيٍّ في هذه البقعة.

هكذا نشرنا التشيع لآل محمد عليهم السلام في الآفاق، وهذا ببركات الصبر على أذى الطاغية صدام لعنه الله.

فلا يصحُّ أن يُنظر للقضايا من زاوية أنانيّة ضيقة، أو بنظرة طفوليّة ساذجة، ومعرفة قِشريّة غير ناضجة.

الحلقة العاشرة

- هاجس علاقة الدين بالحروب عبر العصور
- هواجس حول علاقة النص الديني بالدعوة للعنف والاعتداء
- هاجس معرفة الدين الحقيقي
- هواجس حول بعض آيات القرآن الكريم
- هواجس حول حروب نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»
- إحصائية قتلى معارك نبي المسلمين تحت مجهر النسبة والتناسب.
- عندما يُفرِّق المُلحِد بين الطاغوت والمُصلِح
- ختام الجولات الجوهريّة من الهواجس الفكريّة

هاجس علاقة الدين بالحروب عبر العصور

المحاور: تناولنا في الحلقات الماضية مباحث تتعلق بالخالق عزّ وجل ووحدانيته ووجوده وعدة أمور تتفرع عن هذه القضايا، وفي هذه الجلسة نريد أن نتطرق إلى إشكال يُثار حول الدين بما هو.

يُقال أنّ أكثر المجازر التي وقعت في بدايات التاريخ البشري حتى عصرنا الحديث كانت باسم الدين. هناك اتّهام يقول بأنّ الدين وحشٌ لا يعرف إلّا العدوانية وإلغاء الآخر.

فما ردكم على هذا الكلام؟

سماحة الشيخ الحبيب: «بسم الله الرحمن الرحيم» إنّ ما تقدّمتم به هو كلام باطلٌ من جهات.

الجهة الأولى: إنّا لو نظرنا إلى التاريخ البشري بشكل عام لوجدنا أنّ الحروب التي وقعت لأسباب ودوافع غير دينيه أكبر نسبة من الحروب التي وقعت نتيجة الدوافع والخلفيات الدينية البحتة، فهنالك حروب كثيرة قد اندلعت على خلفية أهداف اقتصادية كالرغبة في الاستحواذ على الأموال والموارد مثلاً، أو بدوافع قبلية كالثأر وما أشبه.

فإذا ما نظرنا إلى نسبة الحروب التي وقعت لأسباب ودوافع دينية

وجدناها أقلّ من تلك الحروب التي نشأت نتيجة أهداف وأسباب أُخرى.

ثمّ إنّ هذه الحروب التي وقعت وكان من ورائها الدافع الديني سنجد إذا ما حققنا جيداً أنها ليست سواء جميعها.

فمنها ما كان دافعه دينيا صِرفاً، ومنها ما كان الدافع فيه دينيا على نحو الادعاء والغطاء الخارجي واستعمال آلة الدين للدنيا.

بعبارة أُخرى فإنّ السبب والدافع الرئيسي في نشوب تلك الحرب لم يكن دينيا في واقعه وإنّما أُلبس ثوب الدين من قِبل حاكم مخادع أو سياسيٍّ ماكر لكي يُلهب مشاعر المُقاتلين ويتمكن بذلك من ضمان النّصر ما أمكنه.

وهذا أيضاً يفعله حتى غير المتدينين، فيقود أحدهم حرباً شعواء ذات مطامع دنيوية ويدّعي أنّها حرب للتحرير وإزاحة الديكتاتورية وإحلال الأمن وما أشبه من عناوين ظاهرها مليح وباطنها قبيح.

فإذاً من الخطأ حتى بالنسبة لهذه الحروب التي يُدّعى أنّ دوافعها دينية الجنوح إلى تحميل تبعاتها الدين وأهله.

فأي ذنب يتحمّله الدين إذا كان مُنتحِله شخصاً سياسيّاً ماكراً، أو حاكماً مخادعاً جائراً، وقام في سبيل الشرعنة لأفعاله بتعليل حروبه أو انتهاكاته عن طريق نسبتها زوراً إلى الدين وأحكامه من خلال تأويلات باطلة أو نصوص زائفة، أو ادِّعاءِ نُصرة الدين والدفاع عنه؟! بينما هدفه الأساسي هو السيطرة على شعب آخر أو بسط هيمنته ونفوذه.

هواجس حول علاقة النص الديني بالدعوة للعنف والاعتداء

المحاور: ما تقدّم به جنابكم من جواب تنقضه النصوص الدينية الموجودة بين أيدينا، فعلى سبيل المثال؛ اقتطفتُ بعض النصوص

الدينيــة مــن التــوراة بعهديهــا القديــم والجديــد.

مِــن ســفر التثنيــة: ([٦] وَإِذَا أَغْــوَاكَ سِرًّا أَخُــوكَ ابْــنُ أُمِّــكَ، أَوِ ابْنُــكَ أَوِ ابْنَتُــكَ أَوِ امْــرَأَةُ حِضْنِــكَ، أَوْ صَاحِبُــكَ الَّــذِي مِثْــل نَفْسِــكَ قَائِــلًا: نَذْهَــبُ وَنَعْبُــدُ آلِهَــةً أُخْــرَى لَمْ تَعْرِفْهَــا أَنْــتَ وَلاَ آبَــاؤُكَ [٧] مِــنْ آلِهَــةِ الشُّــعُوبِ الَّذِيــنَ حَوْلَــكَ، الْقَرِيبِيــنَ مِنْــكَ أَوِ الْبَعِيدِيــنَ عَنْــكَ، مِــنْ أَقْصَــاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَــا [٨] فَــلاَ تَــرْضَ مِنْــهُ وَلاَ تَسْــمَعْ لَــهُ وَلاَ تُشْــفِقْ عَيْنُــكَ عَلَيْــهِ، وَلاَ تَــرِقَّ لَــهُ وَلاَ تَسْــتُرْهُ [٩] بَــلْ قَتْــلًا تَقْتُلُــهُ. يَــدُكَ تَكُــونُ عَلَيْــهِ أَوَّلًا لِقَتْلِــهِ، ثُــمَّ أَيْــدِي جَمِيــعِ الشَّــعْبِ أَخِــيرًا)[1].

مــن سِــفر اللاويــين: ([٢٧] وَانْ كُنْتُــمْ بِذَلِــكَ لا تَسْــمَعُونَ لِي بَــلْ سَــلَكْتُمْ مَعِــي بِالْخِــلافِ [٢٨] فَانَــا اسْــلُكُ مَعَكُــمْ بِالْخِــلافِ سَــاخِطا وَاؤَدِّبُكُــمْ سَــبْعَةَ اضْعَــافٍ حَسَــبَ خَطَايَاكُــمْ [٢٩] فَتَاكُلُــونَ لَحْــمَ بَنِيكُــمْ وَلَحْــمَ بَنَاتِكُــمْ تَاكُلُــونَ [٣٠] وَاخْــرِبُ مُرْتَفَعَاتِكُــمْ وَاقْطَــعُ شَمْسَــاتِكُمْ وَالْقِــي جُثَثَكُــمْ عَــلَى جُثَــثِ اصْنَامِكُــمْ وَتَرْذُلُكُــمْ نَفْسِــي [٣١] وَاصَــيِّرُ مُدُنَكُــمْ خَرِبَــةً وَمَقَادِسَــكُمْ مُوحِشَــةً وَلا اشْــتَمُّ رَائِحَــةَ سُرُورِكُــمْ)[2].

فــترى كــم هــذه النصــوص مشــحونة بلغــة الإقصــاء والوحشــية! ولــديّ أيضــاً مــا يفــوق الــوارد في النصــوص الآنفــة.

في سِــفر التثنيــة: ([١] مَتَــى أَتَــى بِــكَ الــرَّبُّ إِلهُــكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِــي أَنْــتَ دَاخِــلٌ إِلَيْهَــا لِتَمْتَلِكَهَــا، وَطَــرَدَ شُــعُوبًا كَثِــيرَةً مِــنْ أَمَامِــكَ: الْحِثِّيِّــينَ وَالْجِرْجَاشِــيِّينَ وَالأَمُورِيِّــينَ وَالْكَنْعَانِيِّــينَ وَالْفِرِزِّيِّــينَ وَالْحِوِّيِّــينَ وَالْيَبُوسِــيِّينَ، سَــبْعَ شُــعُوبٍ أَكْثَــرَ وَأَعْظَــمَ مِنْــكَ، [٢] وَدَفَعَهُــمُ الــرَّبُّ إِلهُــكَ أَمَامَــكَ، وَضَرَبْتَهُــمْ، فَإِنَّــكَ تُحَرِّمُهُــمْ. لاَ تَقْطَــعْ لَهُــمْ عَهْــدًا، وَلاَ تُشْــفِقْ عَلَيْهِــمْ، [٣] وَلاَ تُصَاهِرْهُــمْ. بِنْتَــكَ لاَ تُعْــطِ لابْنِــهِ، وَبِنْتَــهُ لاَ تَأْخُــذْ لابْنِــكَ.[٤] لأَنَّــهُ يَــرُدُّ ابْنَــكَ مِــنْ وَرَائِــي فَيَعْبُــدُ آلِهَــةً أُخْــرَى، فَيَحْمَــى غَضَــبُ الــرَّبِّ عَلَيْكُــمْ

1 الكتاب المقدس للنصارى، سفر التثنية.

2 - الكتاب المقدس للنصارى، سِفر اللاويين.

وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا. [٥] وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ)[1].

أيضاً في سِفر اللاويين: (وَإِذَا كَانَ فِي رَجُل أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ)[2].

في سِفر حزقيال: (اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ. وَلاَ تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي، فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ)[3].

في سفر يشوع: ([٢٤] فَأَخَذَ يَشُوعُ عَخَانَ بْنَ زَارَحَ وَالْفِضَّةَ وَالرِّدَاءَ وَلِسَانَ الذَّهَبِ وَبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَبَقَرَهُ وَحَمِيرَهُ وَغَنَمَهُ وَخَيْمَتَهُ وَكُلَّ مَا لَهُ، وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، وَصَعِدُوا بِهِمْ إِلَى وَادِي عَخُورَ. [٢٥] فَقَالَ يَشُوعُ: «كَيْفَ كَدَّرْتَنَا؟ يُكَدِّرُكَ الرَّبُّ فِي هذَا الْيَوْمِ!». فَرَجَمَهُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ وَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ)[4].

فما هذه النصوص التي بلغت القمّة في الوحشيّة والبشاعة؟!

دموية، وقتل، وذبح لم يسلم منه حتى الأبناء والبنات والأطفال؟!

سماحة الشيخ الحبيب: سبق وأنْ تكلّمنا عن مثل هذه النصوص وناقشناها في بعض محاضراتنا السابقة ومنها دروسنا في (سلسلة البحوث القرآنية)[5]

---

1 - الكتاب المقدس للنصارى، سفر التثنية.

2 - الكتاب المقدس للنصارى، سِفر اللاويين.

3 - الكتاب المقدس للنصارى، سِفر حزقيال.

4 - الكتاب المقدس للنصارى، سفر يشوع.

5 - أقول: كان مما استدلّ به الشيخ الحبيب في سلسلة البحوث القرآنية النصوص التالية، وسنوردها ونعلق عليها ببعض ما وجدنا أنه من النقاط المهمة. جاء في سفر العدد: (فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا) النسوة كما يقول النصارى قد أغووا الرجال وأوقعوهم في الخطيئة كما يزعمون، فما بال الأطفال؟ يقول بعض المتمحلين من النصارى أنهم يُقتَلون لئلّا يكبروا فيقتلوا بني إسرائيل أو يُضلُّوهم! يعتمد النصارى في هذا التبرير على مغالطات ومقايسات باطلة! قد يحتجون على المسلم بأنّ ذاك قياساً بالغلام في قصة الخضر عليه السلام!

نقول أنّ هذا قياس لا يصح من جهات:

١- نصوص ما يسمى الكتاب المقدس تتكلم عن الأطفال بشكل مطلق وهذا يشمل حتى (الطفل الرضيع)! بينما ((الغلام)) في قصة الخضر عليه السلام جاء في بعض الآثار المروية عن أهل البيت عليهم السلام أنه كان غلاماً يلعب مع

الصبية. (الغلام) الذي يلعب مع الصبية قد يكون ابن تسع سنوات، فلقد جاء بشأن يوسف عليه السلام أنه كان ابن تسع سنوات أي بلغ ما نُسميه في الفقه (سنّ التمييز) حينما خرج يلعب مع إخوته. ومع ذلك الروايات ((ساكتة)) بشأن بيان عمر الغلام في قصة الخضر عليه السلام، فإنّ الغلام يُطلق على الصبي حتى السابعة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر. وتذكر الآثار أنه مات بِو كزة من الخضر عليه السلام. فهذا الذي يُقتل بوكزة من الظاهر أنه بلغ مرحلة من الصبا اشتدّ فيها بدنه. فلقد قتل موسى عليه السلام القبطيّ بأن وكزه.

٢- كان قتل الغلام لأنه مطبوعُ الكفر وفي علم الله تعالى أنه لن يؤول إلى الإيمان فكافأ الله تعالى والديه المؤمنين على صدق إيمانهما بأن نجّاهما من أن يُرهقهما ابنهما كفراً فيحرفهما -ولو فترة- من حياتهما عن الإيمان. لأنّ الله تعالى إذ وصفهما بالصلاح فهذا ظاهر في كونهما راسخين في الإيمان ويختمان حياتهما به في علم الله تعالى. ولكن هذا الولد لو طال به العمر كان سيحرفهما ولو (فترة) من حياتهما عن الإيمان، فنجاهما الله تعالى من (وصمة) كتلك بأن قبض الغلام إليه. وهذا وقع لحكمة يعلمها الله تعالى بشأن والديّ الغلام وهو العالم لماذا اختصهما تعالى بهذا اللطف. وهنا نقول هل(جميع) بني إسرائيل على ذلك المستوى من الصلاح لينجيهم الله تعالى بتفضُّله من الافتتان بمن سيكون مُستقبلاً مصدر فتنة لهم؟!

بأي شيء استحقُّوا أن يُباد (جيل كامل) من أهل العناد والطغيان المعاصرين لهم؟! فأين هو الابتلاء والاختبار لعموم مَن (ظاهرهم) الإيمان وقد اختلط بعضهم بالآخر في مجتمع واحد؟ أين هو الابتلاء لهم ليتميّز الخبيث من الطيب والمؤمن الحقيقي من المنافق؟

أين هو ذلك الاختبار لهم ولو (ببعض) الكافرين المعاندين وأذاهم؟ فيتميز بذلك المؤمن الحق من المنافق؟

٣- الطفل الرضيع الذي ما بلغ عمر (التمييز) أي ذنب له؟ بل حتى من بلغ عمر التمييز ولم يبلغ (سن الحلم) أي كفر يُوصف بأنه مطبوع عليه كما ورد بشأن وصف الغلام في قصة الخضر؟!

فاستناداً لقرينتين داخلية وخارجية (نستظهر) أنّ الغلام في قصة الخضر عليه السلام قد بلغ الحلم والقرينة من داخل النص القرآني الشريف قوله تعالى عن لسان موسى عليه السلام: {أقتلت نفساً زكية بغير نفس} فهي نفس بريئة من الإقدام على جرم القتل الذي يستوجب العقاب بالقتل. ولا يُؤخذ بقصاص كهذا إلا البالغ المكلّف. وإلا فما معنى أن يقول موسى عليه السلام قتلت نفساً بريئة من جرم القتل بغير نفس؟ وهذا الالتفات لهذه القرينة ينطلق من الاعتماد على قرينة خارجية ممّا ورد عن آل محمد عليهم السلام.

•فأمّا القرينة الخارجية فهو ما ورد في عيون الأخبار عن الرضا (عليه السلام) قال: قلت له: لأي علة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلها في زمن نوح (عليه السلام) وفيهم الأطفال، ومن لا ذنب له؟ فقال: ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاما فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح فأُغرقوا بتكذيبهم لنبي الله نوح (عليه السلام) وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضِي به كان كمن شاهده وأتاه.

• أيضاً الطفل لا يوصف بأنه مطبوع على (الكفر) كما جاء في وصف ذلك الغلام في الآثار عن آل محمد عليهم السلام. فذاك يتّسم به من أدرك وميّز واختار بأن بلغ الحلم. وفي اللغة الطفل يُطلق على المولود إلى أن يصل سنّ البلوغ. فإن بلغ الحلم لا يُسمّى طفلاً. وأمّا (الطفل) وهو ذاك الذي لم يبلغ الحلم فإنّه مفطور على الإيمان بالتوحيد. ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «قال موسى بن عمران يا رب أي الأعمال عندك أفضل؟ قال عز وجلّ: حبُّ الأطفال فإني فطرتهم على توحيدي وإن أمتُّهم أدخلتهم جنتي برحمتي»

في سفر التثنية: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا) لا تُستبقى نسمة أي يُقتل الأطفال والنساء والشبان والشيوخ، فانظروا إلى هذه الوحشية حاشا الله وأنبياءه عليهم السلام! (بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا:الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لِكَيْ لاَ يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ، فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ)

أقول: وهل الطفل أيضاً يملك أن يُعلم غيره؟ إنما هو يتلقّى ويتعلم من الآخرين، فهل هذا مبرر لقتله؟

4 - أمّا لماذا يكون الموت قتلا بالتحديد هو وسيلة إنهاء عمره. فنقول الله العالم بالحكمة في ذلك. ولكن بحسب الروايات هو ذو نفس مطبوعة على الكفر اي انها نفس شريرة. فقد

فقلنا أنّ وجود أمثال هذه النصوص فيما يُسمى الكتاب المقدس لليهود والنصارى هو من جُملة الأدلة على أنّه ليس كتاباً سماوياً حقّاً، وإنما كتاب مُزوّر مُحرّف.

الشريعة التي تُبيح قتل الأطفال بجريرة آبائهم لا يُمكن أن تكون شريعة إلهية حقيقية ونحن في سلسلة البحوث القرآنية قد استشهدنا بنصوص واضحة من التوراة المحرّفة المُزيّفة على إباحة قتل الأطفال بجريرة آبائهم مثلاً!

فإذاً على نحوٍ عام نقول أنّه لا ينبغي أنْ نُحمِّل الدين الإلهي الحقيقي مسؤولية من انتحل صفته وزيّفه وحرّف تعاليمه ومضامينه.

هاجس معرفة الدين الحقيقي:

المحاور: ما هو الدين الحقيقي، وأين نجده؟

سماحة الشيخ الحبيب: الدين الحقيقي هو الإسلام وتجده بلا تزييف عندنا نحن المسلمون الشيعة المتبعون لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

وعلينا أن نلاحظ أنه ليس جميع من يسمون أنفسهم (شيعة وموالين) هم ناجون، بل إنّ أغلب فرقهم أيضاً هالكة، حيث أنّ الشيعة يتفرقون إلى ١٣ فرقة، ومن ذلك المجموع ستكون ١٢ فرقة هالكة في النار، وواحدة فقط في الجنة، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**أيها الناس، افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار، وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام. وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة،**

يكون هو أضمر نيّةً ((راسخة بالعزم)) على قتلِ أحدهم. فجزاه الله تعالى أن انتهت حياته مقتولا. ولربما لحكمة أُخرى نجهلها. فالمهم أنّا نُسلّم للخالق تعالى بالحكمة في جميع ما يقضيه تعالى.

وهي التي اتبعت شمعون وصي عيسى عليه السلام. وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار، وفرقة في الجنة، وهي التي اتبعت وصيّ محمد «صلى الله عليه وآله» – وضرب بيده على صدره – ثم قال: ثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين كلها تنتحل مودتي وحبي، واحدة منها في الجنة وهم النمط الأوسط، واثنتا عشرة في النار)[١].

هواجس حول بعض آيات القرآن الكريم..

المحاور: لديّ جُملة من النصوص القرآنية في الكتاب المقدّس للمسلمين، وأريد منكم إيضاح موقفكم ممّا ورد فيها.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}[٢].

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}[٣].

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}[٤]

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[٥]

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

---

1 - الأمالي لشيخ الطائفة الطوسي ص524 والاحتجاج للطبرسي ج1 ص392.

2 - سورة الأنفال: ٦٥.

3 - سورة محمد: ٤.

4 - سورة الأنفال: ١٢.

5 - سورة الأنفال: ٣٩.

اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[١].

فكما ترى إمّا القتال وإمّا دفع الضريبة!

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[٢].

- **فما جوابكم أيها الشيخ الكريم على هذه الآيات التي تحضُّ على القتال والحرب؟**

سماحة الشيخ الحبيب: الفرق واضح بين ما تستدلُّ به من آيات كريمة وما نستشهد به من نصوص التوراة المحرفة التي تحوي إباحة قتل الأطفال بجريرة آبائهم. فذلك يختلف تماماً عن مثل هذه النصوص القرآنية التي أوردتموها. فإنك لا تجد في القرآن إباحةً لقتل الأطفال مثلاً.

هذه الآيات الكريمة التي أوردتموها تتعلق بالقتال مع من بدأوا بالقتال واعتدوا، أو مع أولئك الذين يحُولُون دون تبيُّن الرُّشد من الغي للناس[٣].

1 - سورة التوبة: ٢٩.

2 - سورة الأنفال: ٦٠.

3 -أقول: ما تفضّل به الشيخ الأستاذ هو الحقيقة التي يُشوهها المتحاملون على الإسلام الأصيل. فالإسلام لا يدعو الناس بقوة السيف وإنما بقوة الكلمة. فما العمل إذا منع المستكبرون وصول الكلمة؟ وإذا أرادوا أن يُبقوا الآخرين في الظلمات؟ هنا يُحاربون ويُواجَهون. فالكلام عن الناس المعاندين الذين لم يكتفوا فقط بعدم الإيمان بل راحوا «يحجبون» الناس أيضاً عن الهداية ويمنعون وصولها إليهم. هؤلاء يستحقون المواجهة والتأديب فكم فرداً بسببهم مات على غير الإسلام؟ وكم فرداً كان سيموت على غير الدين؟ هؤلاء يُحارَبون فإن أسلموا ولو نِفاقا خَوفاً من القتل عُصمت دماؤهم، فالمهم هو أنّ الدعاة سيدخلون هذه البلاد ويدعُون إلى الله فيدخل في الدين أفراد عن اقتناع ويقين وإيمان. وإن رفض أولئك العتاة الإسلام وخافوا القتال فليدفعُوا الجزية عقاباً لهم لأنهم إذْ رفضوا دخول الدُّعاة والمُبلِّغين إلى بلادهم فيكون عقابهم إمداد الدولة الإسلامية وتقويتها رغما عنهم، وبهذا مع مرور الأيام تزداد الدولة الإسلامية قوة فتُثير إعجاب تلك الشعوب عظمتها وقوتها ويدفعها ذلك من تلقاء نفسها إلى الرغبة في التعرف على منهج تلك الدولة ودستورها فيدخل من شرح الله قلبه للإسلام في الدين. اليوم إنْ منع أحدهم وصول العلم والمعرفة إليك فهو يمارس بحقك جرماً لا يقل عن جرم من يقتلك ويسفك دمك، فموتُ الجهل أخطر وأشدُّ فتكاً بالأُمم وحينها تكون المُواجهة العسكرية إن لم يكن من طريق غيرها سبيل الخلاص. رسول الله أراد تحرير الشعوب من الموت بداء الجهل والظلام الذي أراد الآخرون أن يقتلوهم به ولو كانت المواجهة العسكرية مقدِّمة لذلك. لكن لو افترضنا أنّه سُمح للدعاة بالدخول الى تلك النواحي والبلدان والتبليغ ونشر الدعوة فحينها مَن يرفض الدين فهو حُر ولا شأن للمسلمين به. المهم أن تكون المعلومة قد وصلته والدين قد بلغه على أتمّ وجه. حينها ثق أنّ قطرة دم واحدة لم تكن لتُراق. ولكنّ المستكبرين وأعوانهم من الرِّعاع كانوا يحاربون

بعبارة أخرى أنّ هذه الآيات تخصُّ من يستحق أنْ يُقاتَل إمّا لكونه ابتدأ القتال، وإمّا لأنه يحُول دون منح الإنسان الحريّة في الاختيار الديني، وحينئذ تكون مقاتلة الذين يُعِدُّون العُدّة بُغية الإجهاز على الإسلام والمسلمين حرباً دفاعيّة استباقية. وهذه تُعدُّ حروباً أخلاقيّة.

بينما لا تُوجد ذرة أخلاق على الإطلاق في التحريض على قتل الطفل بجريرة الأب.

• ومن الخطأ المنهجي في البحث اعتماد الالتقاطية سبيلاً للمعرفة، فأن تلتقط نصوصاً وتترك أخرى هذا يؤدي إلى إبهام الرؤية وتشويهها. فلكي نفهم القرآن الكريم علينا ملاحظته على نحو كُلِّي لا اجتزائي. فلا يصحُّ أن نقتطع آية ونهمل سياقها، أو نتجاهل الآيات الأُخرى في الموضوع الواحد.

على سبيل المثال؛ من يتناول دستوراً من الدساتير القانونية فيستعرض المواد المتعلقة بقانون العقوبات من الدستور وحَسْب، ومن ثمّ يُشنِّع بدعوى أنّ هذا دستور وحشي يحضُّ على القتل أو الإرهاب والإجرام، أو يقول هذا دستور ظالم مُجحف، لا إنساني.. ألا يُقابَل تصرفه بالاستهجان والتخطئة؟!

نحن نقول أنّ القرآن الكريم هو دستورنا نحن المسلمون، ولابُدّ من ملاحظته على نحوٍ شامل في سبيل فهمه واستيعابه على النحو الصحيح.

ومن هُنا نقول أنّه لا أحد مِن فقهائنا يقول أنّ هذه الآيات التي استدللتم بها من القرآن الكريم تتحدث عن الأبرياء وتُجوِّز قتلهم أو التّعدي عليهم.

مجرد وصول المعلومة ومجرد إتاحة المجال للمسلمين بالتبليغ وإيصال رسالتهم. هذا الدين به حياة الأمم ومنع وصوله لهم هو الجرم وليس القتال من أجل وصوله إليهم. فإذاً الصواب هو أنّ قتال من يحاربون إيصال الدعوة الإسلامية ليس ديكتاتورية تجاههم كما يُتوهّم بل هو ردة فعل على ديكتاتوريتهم وتصدٍ لها. فالأصل هو قوله تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (256)» سورة البقرة.

بل على العكس من ذلك فإنّ القرآن الكريم حثّنا على أن نتعامل بأعلى درجات النُّبل والأخلاق والإنسانية تجاه من لا يقاتلنا ولا يُحرِّض علينا ولا يسعى في تشريدنا، فأمرنا بأن نَبَرّه ونُقسط إليه.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: **{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**[1] .

الآية الكريمة تتحدث عن التعامل مع غير المسلمين من أولئك الذين لا يقاتلوننا ولا يضطهدوننا ويسعون في تشريدنا وإخراجنا من ديارنا، فالله تعالى يأمرنا أن نبرّهم كما نبرّ المُسلم من أهل ملتنا.

فعجباً لماذا يُتعامى عن هذه الآية الكريمة ومثيلاتها، ويُؤخذ فقط بمضامين تلك الآيات الكريمة التي أوردتموها؟

هذه التي ذكرتموها هي آيات تتعلق بقانون العقوبات في الدستور الإسلامي. وهي تتحدث عن الظروف الاستثنائية وهي ظروف الحرب، فمن الخطأ أنْ تأخذ المواد الدستورية التي تتحدث عن الظروف الاستثنائية فتلوي عنق مقاصدها وحيثياتها بحيث تصورها لدى العامة على أنها قوانين تشمل الحالة الطبيعية والاعتيادية من الأحوال الاجتماعية!

• المسألة المهمة التي ينبغي أن يأخذها الباحث الجاد بعين الاعتبار هو أنّ من يدرس الإسلام أو حتى يريد نقده فعليه أن يعتمد على ما ينتهي إليه المُتخصِّصون في هذا الدستور القرآني.

لو أردت أنا أن أفهم الدستور الفرنسي مثلاً فلا شك أنّ حُجِيّة الفهم مرهونة بما ينتهي إليه الفقهاء الدستوريون الفرنسيون من كبار رجال

---

1 - سورة الممتحنة: ٨.

القانـون المخوّلـين بتفسـير مـواد الدسـتور الفرنـسي.

فـلا يصـح لي أن أجـئ بفصـل مـن فصـول الدسـتور الفرنـسي أو مـادة مـن مـوادِّه فأفسرهـا عـلى مـا اسـتظهرتُه أنـا ثـم أُلـزم الفرنسـيين ورجـال السياسـة والقانـون في فرنسـا بهـذا التفسـير وبنـاء عـلى مـا فهمتُـه أُوبخهـم قائلاً: دسـتوركم هـذا دسـتور مُجحـف!

لأنهـم إن أجابـوني بقولهـم: فهمـك خاطـئ لأنـك أهملـت المـواد والفصـول الأُخـرى، ولـو أنّـك جمعـت بـين المـواد والفصـول لعلمـتَ أنّ الدسـتور مـن هـذه الناحيـة عـادل ومُنصـف، حينهـا سـتكون الحجّـة لهـم عـليّ، وليـس لي حينئـذ أنْ أتعنّـت وأكابـر، إذْ سيُقال لي: هـؤلاء أهـل الخبرة بالدسـتور وهـم مَـن سـنُّوا مـواده، أو هـؤلاء مَـن ورِثـوا علمـه مِـن الآبـاء الذيـن سـنُّوا هـذا القانـون، وهـم رجـال القانـون، ورجـال الدسـتور، والفقهـاء الدسـتوريون الذيـن يفهمـون الدسـتور جيـداً ويفسرونـه كـما هـو.

فالحجّة حينها ستكون إلى جانبهم.

نحـن في المقابـل -ولا قيـاس- نقـول أيضـاً أنّ أهـل الاختصـاص عندنـا في الإسـلام هـم المعنيـون بتفسـير مـا جـاء في دسـتور الإسـلام وهـو القـرآن الكريـم.

فعـلى غـير المسـلم أن لا يحاسـبنا بنـاءً عـلى فهمِـه الخـاص، وإنـما نُحاسـب عـلى مـا نفهمـه نحـن المسـلمون لأنّـا نحـن أهـل الدسـتور، ولدينـا أهـل اختصـاص مـن فقهـاء ومفسريـن. ولسـنا نعنـي بذلـك كلّ مُفـسر أو فقيـه.

وإنما المعنيُّ هو ذاك الذي يكون لقوله حُجِّيّة.

فمثـلاً: بالنسـبة للدسـتور الفرنـسي هـل يصـحُّ أن نـأتي بشـخص مغمـور أو غـير معتـدٍّ بـه مـن قِبـل أربـاب النظـام القانـوني الفرنـسي فنأخـذ بتفسـيره للدسـتور ونُلزمهـم بـه؟!

سيقولون هذا لا حجة في تفسيره لدينا فهو ليس من أهل الاختصاص، ويمكن أن يُوصف من قبلهم بأنه منتحل مثلاً، أو مضطرب الفهم والتفكير، أو أنّ شهاداته القانونية مطعون فيها أو في المستوى الأكاديمي للجهة الصادرة عنها .

الأمر السابق هو ذاته بالنسبة لنا نحن المسلمون.

أنا بصفتي مسلماً من شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يجوز أن يحاسبني غير المسلم على تفسير القرآن الحكيم لدى بعض فقهاء الملة البكرية مثلاً. لأنّ هؤلاء يفتقرون للشرعية ولا حُجِّيَّة لأقوالهم في تفسير القرآن الحكيم. لأنهم بصريح العبارة لا ينتهون إلى خطِّ المرجعيّة القانوني الذي أقرّه وحدّده صاحب الإسلام وصاحب هذه الشريعة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، فنبيُّنا «صلى الله عليه وآله» رسم هذا الخطّ القانوني ليكون مرجعيّة للمسلمين وذلك الخط القويم متمثِّل في هذين القطبين والمحورين الأساسيين وهما: (القرآن الكريم وعترة النبي أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

وعلى ضوء ذلك فإنّ تفسير القرآن لا بُدّ أن يستند إلى كلام العترة الطاهرة «صلوات الله عليهم»

ومن يكون خارج دائرة هذه العترة الطاهرة وليس له اتِّصال بها بحيث يكون خطّه المرجعي أو القانوني أو التفسيري أو الفقهي سمِّه ما شئت، لا ينتهي إلى هذه العترة وإنما ينتهي إلى غيرها؛ فحينئذ لا يكون لهؤلاء اعتبار ولا لأقوالهم أدنى حُجِّيّة.

لتقريب المسألة نقول: في تفسير الدستور الفرنسي يؤخذ القول ممّن؟

---

1 -قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي, كتاب الله طرف بيد الله عزوجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا، والآخر عترتي، وإنَّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تَقَدّموهما فتهلكوا، ولا تقصِّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم).

من الفقهاء الدستوريين الفرنسيين المتخرجين من جامعة السوربون مثلاً، ونظيراتها من الجامعات المعتبرة. فإذا جاء شخص متخرج من نيجيريا مثلاً، بمعنى أنه ليس له اتصال بالمرجعية القانونية الفرنسية إذ ليس متخرجاً من الجامعات الفرنسية في تخصصاتها القانونية المعنية بالقانون الفرنسي أو الجامعات المُعتمدة لديها. فهل يكون لذاك البعيد عن هذا الإطار المتصل بهذا الخط القانوني المرجعي اعتبار حينما يتكلم عن القانون الفرنسي ومواده؟!

كذلك الحال بالنسبة لنا نحن المسلمون الحقيقيون أتباع أهل البيت عليهم السلام.

مشكلتنا مع من ينتقدون الإسلام هي أنهم إلى الآن ما فطنوا إلى أنّ كثيراً مِمّا يُتداول، بل الأعم الأغلب من تفسير القرآن ومن أحكام الإسلام إنما هو مأخوذ عمّن ليست له صفة أو اعتبار شرعي.

يأتي أحدهم فيفتح ما يُسمّى تفسير الطبري ويُلزمني بما في هذا التفسير، فيقول قرآنكم يدعو إلى القتل، والإرهاب والإجرام.

وعندما تسأله لماذا تحتجُّ بكتاب الطبري؟!

يقول لأنّ تفسير الطبري هو أكثر كتب التفسير عندكم اعتباراً وقوة وشهرة، أو يتجه على الأخص للتفاسير الأثرية لدى المخالفين فيقول إنّ معنى الآية مفسّراً بالأثر هكذا، فإذاً هو حجّة!

أو يفتح كتاب البخاري فيستخرج منه روايات معينة فيقول دينكم يأمركم بهذا!

أو يتوجه إلى كتب المذاهب الأربعة المبتدعة فيقول انظروا أحكام دينكم كيف هي وحشية إرهابية!

فنقول لهؤلاء هل أنّ هذه الكتب التي تتصفحونها وتستخرجون منها ما

تشاؤون لها اعتبار شرعيٌّ أم لا؟!

بمعنى أين قال الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» خذوا عن الطبري مثلاً ؟ !

أو عمّن ينتهي إليهم الطبري؟!

لا يوجد هذا التعيين من قبل النبي «صل الله عليه وآله»

وكذلك أئمة المذاهب الأربعة المبتدعة، أو البخاري ومسلم وغيرهما.

النبي «صلى الله عليه وآله» لم يوصِ بهؤلاء وما أرشد إلى أن يؤخذ منهم تفسير الدين.

إنّ الذين أوصى نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله» بأن يُؤخذ منهم تفسير القرآن الكريم وتفسير الدين وأحكامه وتعاليمه هم الأئمة الشرعيون من عترته الطاهرة الذين وصّى وأمر جميع المسلمين بالرجوع إليهم.

فبما أنّ قول الطبري وأمثاله لا ينتهي للعترة الطاهرة، بمعنى أنه ليس لصاحب القول شهادة تخرُّج -إن جاز التعبير- من مدرسة العترة الطاهرة فلا اعتبار لقوله ولا صفة له أصلاً فضلاً عن أن يكون له حق التحدث في الشأن الإسلامي.

إني هنا أتكلم بلغة قانونية صرفة، فعدم ملاحظة تلك الجهة هو ما يخلق المشاكل لنا مع الآخرين.

فإنك تجد أحدهم ينتخب بعض آيات القرآن الحكيم فيقول انظروا دونكم آيات القتال، أنتم دين دموي!

فعليهِ حينها احتراماً لمنهج التخصص الدستوري الذي تعيه الشعوب المتحضرة أن لا يمتعض حينما نسِمه بالتطفل فنقول له: لماذا أعرضت عن

الآيـات الأخـرى؟! ومـن قـال لـك أنّ تفسـيرك وفهمـك لهـذه الآيـات تفسـير صحيـح؟

أنــت أصــلاً لســت مســلماً، فكيــف تنتقــد وتفــسر وتُنظِّــر ثــم تُلزمنــي بتفسـيرك؟! فـإذا حـاول إلزامـي، فـإني أنظـر فيـما ألزمنـي بـه. فـإن كان يحتجّ بالطـبري وأمثالـه ممـن ليسـت لـه صفـة أو اعتبـار شرعـي فحينهـا أقـول لـه: الطـبري ليسـت لـه صفـة قانونيـة شرعيـة صحيحـة في الإسـلام لتُرجعنـي إليـه.

أمـا إذا ألزمنـي بمـن لـه صفـة شرعيـة ولم يجـد أمثـال تلـك التعاليـم التـي يقول بهـا الطـبري فحينهـا يجـب عليـه أن ينـزل عـلى الحـق وأن يقـول أنّ هـذا البيـان هـو الصحيـح وهـو مـا يمثـل الإسـلام، لأنـه ليـس لـه أن يلزمنـي بـما يتخـذه هـو مرجعيـة والحـال أنهـا زائفـة لا شرعيـة لهـا.

هواجس حول حروب نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»:

المحـاور: أمـا كانـت تقـع الحـروب في عهـد رسـول الله «صلى الله عليـه وآلـه»؟! أمـا قاتـل رسـول الله «صلى الله عليـه وآلـه» المشركـين؟!

سـماحة الشـيخ الحبيـب: كانـت تقـع حـروب هـي مـن أنظـف الحـروب التـي عرفتهـا البشريـة عـلى الإطـلاق ونحـن نتحـدى في هـذا الخصـوص.

المحاوِر متداخلاً: وهل هناك حروب نظيفة؟ كل الحروب قذرة.

الشيخ الحبيب مُجيباً: كلا، غير صحيح ما تنطقون به.

كيـف تكـون كل الحـروب قـذرة؟! الحـروب القـذرة هـي التـي تتجـرد مـن القيـم الإنسـانية.

الحـروب القـذرة هـي التي تـدوس عـلى القيـم والحقـوق الإنسـانية والضمانات

والمواثيق.

لأنّ الحروب أيضاً لها قوانينها، فإذا كانت حروباً نظيفة شريفة فإنها تُراعي الجهات الإنسانية والمبدئية.

على سبيل المثال؛ من الحقوق المُقررة عالمياً اليوم حق الأسير. فينبغي أن يُعامل بطريقة تحترم إنسانيته.

فإذا ما تمّ التجاوز على الأسير من قبل الجيش القابض على الأسير ولم تُحفظ حقوقه فإنّ الأعراف الدولية والإنسانية تُصنف تلك الحرب على أنها حرب قذرة.

أما إذا افترضنا أنّ الجيش التزم بالمواثيق الدولية وقوانين حقوق الإنسان في الحروب بشأن معاملة الأسرى فتلك الحرب تكون حرباً نظيفةً، حتى في مسألة الاحتلال هنالك احتلال نظيف، وآخر قذر.

الاحتلال النظيف يدخل البلدة ولا يدمرها، ولا يقضي على بنيتها التحتية، ولا يقتل النساء والأطفال. وإنما يكتفي بمواجهة من يُقاتله فقط، ولكنه لا يعتدي على الآمنين في بيوتهم.

فهنا يقال أنّه وإن كان هذا احتلالاً فإنه احتلال نظيف وليس احتلالاً قذراً.

بينما الاحتلال القذر هو ذلك الجيش الذي يقتحم مدينة فيقتل الأبرياء والعُزّل والآمنين في بيوتهم ويغتصب النساء ويروع الأطفال، ويقتل الصغار والكبار، ويدمر البنية التحتية، ويهلك الحرث والنسل، ويحرق ويفجّر ويبث الرعب والهلع في جميع الأرجاء، هذا يُعدُّ احتلالاً قذراً همجياً.

فالحروب في أحوالها هي على ما أوضحناه، وإنّ التاريخ البشري كله لم يعرف حروباً أنظف ولا أطهر ولا أنقى من حروب رسول الله «صلى الله

عليه وآله» والدليل على ذلك هو صفحات التاريخ المحمدي الوضّاءة، ولا يمكن لأحد أن ينكر التاريخ.

وعندما نقول التاريخ هنا ننوه إلى أنّ تاريخ نبينا «صلى الله عليه وآله» كسائر التواريخ المتعلقة بالشخصيات العظيمة العملاقة فيه الغث والسمين.

فلا بُدّ من غربلةٍ وتحقيق، بمعنى أنه لا يصحُّ أن يأخذ الغربيون سيرة ابن إسحاق مثلاً على إطلاقها ويعتبرونها صحيحة على نحو قطعي. فحتى هذا ابن إسحاق لا صفة شرعية له وفقاً للضابطة التي سبق بيانها.

وانطلاقاً من النقطة السابقة نقول أنه كأيِّ حقل من المعارف والعلوم فإنّ البحث التاريخي يتكئ على قواعد للمعرفة الصحيحة، والاستنباط والاستنتاج التاريخي السليم، وتجري تلك القواعد على جميع الشخصيات وعلى كُلِّ السِّيَر. فينبغي إعمالها أيضاً فيما يختصُّ بسيرة النبي «صلى الله عليه وآله»

فلا يصِحُّ مثلاً أنْ يأتي غير المسلم أو الأكاديمي الغربي فيتجاوز -كما هو ملاحظ- قواعد البحث التاريخي وطرق الاستنتاج التاريخي العلمية، وذلك لغاية في نفسه! فيأخذ برواية شاذة هنا أو ضعيفة هناك مما يرويه ابن إسحاق أو ابن هشام أو ابن فلان من هؤلاء مؤرِّخي البكريّة فيتمّ إلصاقها بالنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» وكأنها الحقيقة المطلقة!

فمثل ذلك السلوك في التعاطي مع التاريخ لا يصح، حيث أنّ للبحث التاريخي أيضاً قواعده التي يجب الالتفات إليها لتمييز كل ما طال سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» من تحريف وتزييف صوّر النبي «صلى الله عليه وآله» أحياناً بصورة دموية -حاشاه-، ولهذا قد كان أبناءه من الأئمة الأطهار عليهم السلام يشتكون ويضجون من تلك المسألة.

عَـنْ أَبِي جَعْفَـرٍ (عليـه السـلام): (إِنَّ أَوَّلَ مَـا اسْـتَحَلَّ الْأُمَـرَاءُ الْعَـذَابَ لِكَذِبَـةٌ كَذَبَهَـا أَنَـسُ بْـنُ مَالِـكٍ عَـلَى رَسُـولِ اللهَّ «صـلى الله عليـه وآلـه» [أَنَّـهُ سَـمَرَ يَـدَ رَجُـلٍ إِلَى الْحَائِـطِ، وَمِـنْ ثَـمَّ اسْـتَحَلَّ الْأُمَـرَاءُ الْعَـذَابَ])[1]

يوضـح الإمـام الصـادق عليـه السـلام أنّ ذلـك الخبيـث أنـس بـن مالـك وضـع للأمـراء حديثـاً مكذوبـاً عـلى رسـول الله «صـلى الله عليـه وآلـه» في إباحـة التعذيـب، في حـين أنّ هـذا ليـس في شريعـة الإسـلام وإنـما ادّعـاه أنـس بـن مالـك لعنـه الله لكـي يوفِّـر للـوُلاة والحـكام الظلمـة المـبرر الشرعـي لأفعالهـم، فـكان هـو أوّل مـن أعطاهـم ذلـك المـبرر وبـه اسـتباحوا التعذيـب باسـم شريعـة الإسـلام زوراً!

هـذا الأمـر كان موضـع الشـكوى والتـألم والنكـير عنـد الأئمـة الأطهـار عليهـم السـلام. فلـماذا لا يلتفـت الغربيـون لهـذه الشـكاوى والاعتراضـات مـن عـترة النبـي محمـد «صـلى الله عليـه وآلـه»؟

لمـاذا لا يجعلـون تلـك الشـكاية مـن الإمـام الصـادق عليـه السـلام منطلقـاً للتنقيـح والتدقيـق فـما أدراهـم أنّ هـؤلاء المؤرخـين والمُحدِّثـين مـا كذبـوا عـلى سـيرة نبـي الإسـلام «صـلى الله عليـه وآلـه»؟!

وعـلى وجـه العمـوم نقـول أنـه مـع كل مـا طـال سـيرة النبـي الأعظـم «صـلى الله عليـه وآلـه» مـن أكاذيـب وتحريـف، إلا أنهـا مـن حيـث المجمـوع كانـت ألمـع وأنظـف السِّـير، وبقيـت حـروب النبـي «صـلى الله عليـه وآلـه» أنظـف الحـروب.

نضرب لإيضاح ما ذكرناه بعض الأمثلة:

النبـي الأعظـم «صـلى الله عليـه وآلـه» حينـما اقتحـم مدينـة بجيشـه ودخلهـا فاتحـاً، وتلـك المدينـة كانـت مكـة المكرمـة.

---

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي،ج76 ص203.

ماذا صنع بها وبأهلها؟

هل دمّرها؟

هل قتل الأبرياء؟

هل روّع الأطفال والنساء؟

هل اقتحم بيوت الآمنين؟

بل على العكس من جميع ذلك فإنه حتى أعداءه بالأمس من الطغاة والعتاة قد آمنهم، وأعلن العفو العام، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**)، بل جعل دار أعدى أعدائه مأمَنا ومن دخلها آمنا فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**)[١]، فما كان من شأن ذلك النبي اقتحام البيوت بما في ذلك بيت أعدى أعدائه.

فليذكر لنا الخصوم إن كان النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أمر ذات مرة جيشه أن يقتحم بيتاً من البيوت.

أعلنها صلى الله عليه وآله: (**من دخل داره فهو آمن**)، لا فقط دار أبي سفيان لعنه الله.

فالرواية كاملة أطول من هذا المقدار، ولكنّ البكريين لغاية في نفوسهم فإنهم عادة يركزون على أبي سفيان.

ولكنّ الحقيقة أنه قد جاء في الآثار: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**»[٢]

باعتبار أنّ أبا سفيان كان أحد زعماء مكة وكان فخوراً بنفسه ولهذا يتوقّع أن يلتجئ الناس إلى بيته فالناس عادة في الملمات يلتجؤون إلى بيوت كبارهم

1 - بحار الأنوار، العلامة المجلسي،ج21 ص129.

2 - تاريخ دمشق لابن عساكر، ج13، ص 37.

فقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله الأمان لمن دخل دار أبي سفيان وهو ألدّ أعدائه.

فأين تجد مثل هذه الأخلاق الحربية النبيلة اليوم؟!

ما من حرب في التاريخ قديماً وحديثاً إلا وتجدها في العادة قد تورطت في قضايا شائنة كاقتحام البيوت على أهلها سواء بحق أم بباطل.

أغلب من خاضوا الحروب عبر التاريخ تورطوا في اقتحام البيوت على النساء والأطفال، والقتل العشوائي وتدمير الممتلكات، وارتكبوا ما يسمونها عندهم (أخطاء الحروب)، ومع ذلك تجدهم يعتبرون ذلك أمراً اعتيادياً، فيقولون هي أخطاء حروب، وتتم التسوية بأن يكون على الجيش الذي ارتكب تلك الانتهاكات دفع مبلغ تعويضي للذين اقتُحمت عليهم بيوتهم وجرى عليهم ما جرى من عظائم.

بينما ذلك وأمثاله لا تجده في أخلاق الحرب وفقاً لآداب الشريعة الإسلامية.

أمّا في حروب الأقوام الأخرى تجدهم يقطعون المياه عن الجيش المُقابل، بل عن الحصون، والبلدان والقرى ليكون ذلك أدعى لِاستسلامهم وأسرع في تحقيق النصر على عدوهم!

بينما نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما كان يقبل بمثل تلك الأفعال الدنيئة.

فمثلاً اليهود قد نكثوا العهد من جانبهم ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» البادئ بالقتال. وأصلاً كل حروب رسول الله صلى الله عليه وآله دفاعية أو استباقِيّة لدفع عدوان على وشك الوقوع. فما كان صلى الله عليه وآله يبدأ قوماً بالقتال والعدوان.

فإذا اتّضح ذاك فإنّ النبي «صلى الله عليه وآله» بعد نكث اليهود عهدهم قد حاصرهم في حصنهم.

فأشار بعض المسلمين على النبي «صلى الله عليه وآله» بقطع الماء عن اليهود ليكون ذلك سبباً في استسلامهم بعد تمكُّن العطش منهم، لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يقبل بتلك المشورة ورفضها.

ذاك أنّ حقّ الماء في الإسلام هو حقٌّ مُقدّس ومكفول حتى للطاغية وللمعادي.

تخبرنا صفحات التاريخ العلوي المُشرق أنّ طاغيةً كعثمان بن عفان حوصر فلمّا احتاج إلى الماء تذكُر بعض الروايات أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «صلوات الله عليهما وآلهما» ذهب بنفسه لكي يوصل الماء مُختَرِقاً صُفوف الثائرين المُحتجِّين المحاصِرين لدار عثمان. لأنّ حقّ الماء هو حقٌّ مُقدّس في الإسلام ولا يُمنع حتى عن أكثر الناس سوءً.

وينبئنا التاريخ الحيدري العلوي الساطع أنّ جيش معاوية لعنه الله في صفِّين كان قد استولى على الماء فمنعه عن معسكر أمير المؤمنين «عليه السلام». مع أنّ أمير المؤمنين «عليه السلام» لما نزل بجيشه منذ البداية طلب من معاوية لعنه الله أن يكون الوصول للماء متاحاً للجيشين، أي جيش معاوية لعنه الله ومعسكر أمير المؤمنين «عليه السلام».

لكنّ معاوية الطاغوت لم يقبل بذلك، فاضطرّ أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يقاتلهم فلمّا أزاحهم عن الماء، قد احتاجوا أن يردوا الماء بعد ذلك لأنّ ما لديهم من ماء قد نضب. فأعطاهم أمير المؤمنين عليه السلام الماء ولم يمنعهم كما فعلوا معه.

فقيل له يا أمير المؤمنين قد منعونا بالأمس الماء، وانت اليوم تسقيهم؟

لماذا لا تكافئهم بالمثل؟!

إنّ الأخلاق الحربية المحمدية لأمير المؤمنين عليه السلام ترفض معاملة العدو بالمثل لأنّ حق الماء هو حقٌّ مقدس في الإسلام وهو مكفول حتى للجيش المعادي.

• وأمّا إن أردنا استقصاء التعاليم الحربية الإسلامية عموماً فنقول أنّ نبينا صلى الله عليه وآله حينما كان يُرسل جيشاً أو كتيبةً كانت تخرج وهي محمّلة بكمٍّ كبير من التوصيات التي تُعتبر بمجموعها من أعظم وثائق حقوق الإنسان في الحروب الأخلاقية.

نبينا صلى الله عليه وآله كان يوصي الجنود المسلمين أن لا يقتلوا شيخاً فانياً حتى وإن كان يُقاتلهم!

تخيلوا أنّ هذا الشيخ الكبير في العمر وقد ناهز الثمانين عاماً يقاتل في المعركة ونبيُّ الإسلام «صلى الله عليه وآله» يوصي جيشه أن حاولوا تجنُّب ذلك الشيخ وعدم قتله.

وبالمثل يوصيهم بالطفل الصغير، وكذلك يوصي أن لا تُقتَل المرأة وإن كانت تُقاتل وترفع السلاح.

بل ويوصي أن لا يقتلوا شابّاً وإن كان يُقاتل إذا كان من ذوي الكفاءات والتخصصات التي يمكن أن يحتاج إليها المجتمع، كأن يكون شخصية فاعلة ومهمة كالطبيب أو المهندس والفيزيائي في مثل زماننا وما أشبه، فمثل هذا لا يُقتل ويُتحاشى قتله قدر المستطاع.

كما يأمر النبي « صلى الله عليه وآله» أن لا يتبعوا مولِّياً، بمعنى أنّ الشخص الذي يُولِّي ويفرُّ من أرض المعركة لا يُطارَد ويُلاحق للقبض عليه وقتله. بل يُترك لينجو بحياته.

مثل ذلك الأدب الحربي الرفيع أين نجده في مثل زماننا؟!

اليوم عندما يرون أفراداً من الجيش المقابل قد فرّوا منهزمين فإنهم يتبعونهم للتنكيل بهم وتصفيتهم. لا أنهم يخلون سبيلهم ويتركونهم يفرون إلى حيث ينجون بحياتهم!

تلك التعاليم الحربية النظيفة الحضارية الإنسانية لا تجدها إلا في سيرة محمد بن عبد الله وعلي بن أبي طالب «صلوات الله عليهما وآلهما»

ومن هنا نقول أنّ إغفال ذلك الجانب الوضاء من السيرة الواقعية للنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان أحد أهم عوامل التمادي في ظلم الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» وتشويه سيرته العطرة.

إنّ نبينا العظيم «صلى الله عليه وآله» اليوم مظلوم من قِبل من يتدارسون سيرته إلا اللهُمّ أهل الإنصاف منهم.

فمثلاً بعض الغربيين وإن كانوا ملحدين أو نصارى أو حتى يهوداً فإني أنا حينما قرأتُ لهم وجدتُ أنهم إجمالاً أنصفوا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فقالوا ليس محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله» نبيّا دمويّ النزعة، وليس نبيَّ السيف والقتل والتعطش للدماء، لأنّا نظرنا في سيرته فوجدنا الأمر يخالف تماماً ما يُنسب إليه من تلك الصفات، وقد تبيّن لنا أنّ الحروب التي خاضها كانت مفروضة عليه، ثمّ نظرنا إلى حصيلة هذه الحروب التي تُعدّ بالعشرات بين غزوة وسريّة وطوال تلك السنوات نظرنا كم قتيلا خلّفتهُ من الجانبين، أي من المسلمين والمشركين فكان العدد ضئيلاً قياساً بعدد تلك الحروب.

وهنا أقول كم تتوقعون كانت أعداد القتلى في تلك الحروب؟!

تخيّلوا أنّ ما خلّفتهُ هذه الحروب من القتلى هو أقل من ألف قتيل،

ومن الطرفين؟!

وهذه الحصيلة ليست مبالغةً لأنه لو كان هناك غيرها لظهر ذلك واستبان. خصوصاً مع كون العرب يهتمون كثيراً بإحصاء عدد قتلاهم لأنهم أهل حرب وثارات فلا يغضون الطرف عمّن يُقتل منهم قلّ أو كثُر. فتجدهم يذكرون كلّ وقعة حربية ويحصون عدد قتلاهم فيها.

لقد كانت عادتهم كلّما خاضوا حرباً أنْ يتخطّوا بين القتلى بعد أنْ تضع الحرب أوزارها فيحصون عدد قتلاهم فرداً فرداً لأنّ عشائرهم وقبائلهم تهتمُّ بشأن الطلب بدمائهم. فالقضية من تلك الجهة ليست بالهينة بالنسبة لهم لكي يتغاضوا أو يتساهلوا في دقّة إحصاء القتلى، فلو كان هنالك ما هو خلاف تلك الإحصاءات لبان وانكشف.

وأما إذا أردنا أنْ نُشرع باب التخرصات والاحتمالات فلن نصل إلى نتيجة، فلا يُعقل أن نتخرّص ونتخبط فنقول: (كلا هذا غير معقول)! أو (بالتأكيد كان عدد القتلى أكثر من المذكور)!

تلك تكهنات وتخبطات لا تستند سوى للاحتمالات الافتراضية غير المتكئة على الدليل العلمي، فلا يبقى سوى أن يُذعن أهل الإنصاف إلى أنّ العدد المسجّل هو العدد الواقعي، وهكذا يحكي لنا التاريخ، فماذا نصنع؟

نأتي بآخر من عند أنفسنا؟!

المنهج العلمي والإنصاف يدفعان كلّ ضمير حُر باتجاه النزول على ما ذكره التاريخ بهذا الشأن سواء أعجبه أم لم يُعجبه.

التاريخ يقول أنه على الرغم من كلِّ الحروب التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كانت حصيلة القتلى من الطرفين ((أقلّ)) من ألف قتيل.

فإذا بالغنا كثيراً فلن نتخطّى حاجز الألف قتيل على أقصى تقدير.

إحصائية قتلى معارك نبي المسلمين تحت مجهر النسبة والتناسب

المحاور: ألا يمكن أن يُقال أنّه بالنظر إلى بيئة الجزيرة العربية في ذلك الحين إذْ كانت حياة التصحُّر غالبة ولم تكن بيئتهم مناسبة للسُّكنى، وبالتالي لربما كان التعداد السكاني في الجزيرة العربية قليلاً جداً، وعدد ألف قتيل قد يكون رقماً هائلاً في ذلك الحين؟

سماحة الشيخ الحبيب: هذا سؤال جيد، حيث بالفعل سنجد أنّ إجراء قانون النسبة والتناسب سيكون هو المحك في إظهار جانب الفارق الأخلاقي بين الحروب النظيفة التي خاضها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وبين حروب الأقوام الأخرى التي يُحسب كثير منها على ما يُسمى الفكر التقدمي المتحضر!

وحينها سيتبين إن كانت نسبة القتلى في حروب المسلمين في عهد نبيهم صلى الله عليه وآله عالية بالقياس إلى تعداد شعب الجزيرة العربية آنذاك أم لا؟

دعونا نعقد مقارنة مع حروب خاضتها شعوب وقوميات أُخرى.

ولنبدأ بتفصيل المقارنة التي نحنُ بصددها..

فلنقُل أنّه على أقل تقدير كان عدد شعب الجزيرة العربية آنذاك ١٠٠ ألف نسمة، وهذا على أقل تقدير، وإلا فالرقم حتما أكثر من هذا ١٠٠٪

لأنه من حيث الأصل فإنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من جهته هو وحده يصل عددهم بحسب التقديرات التي تنقلها الطائفة البكرية

إلى مائة ألف رجل وعامتهم كانوا من العرب لأنّ الإسلام حينها لم يتمدد فيصل بعد إلى الشعوب الأُخرى إلا في بُؤر ضيقة بعض الشي في الحبشة حيث أسلم ملك الحبشة وأفراد معدودون معه وأخفوا إسلامهم حينها.

فحتى أُخريات حياة النبي صلى الله عليه وآله كان سلطان الإسلام متمركزاً في الجزيرة العربية، بل كانت هنالك جيوب في الجزيرة العربية وبالقرب منها كاليمن وتهامة وغيرها ما تزال على الشرك وعلى ديانة أُخرى. فالشاهد هو أنّ عدد أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» ممن رأوه بحسب ما تنقله الطائفة البكرية بلغ مائة ألف نفس.

وقد كان عدد الذين حضروا غدير خم يوم أخذ البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ثمانين ألفا.

فإذاً نحن عندما نقول مائة ألف فإنّا نطرح هذا الرقم على أقل تقدير ومن باب التنزُّل حيثُ تجاهلنا تعداد الأحزاب المعادية للنبي صلى الله عليه وآله ولم نعتبرها في هذا التقدير الإحصائي.

فاستنادا لما سبق إذا قلنا أنّ عدد سكان الجزيرة العربية كان مائة ألف نسمة على أقل تقدير.

حينها لن يُمثل ما مجموعُه ألف قتيل من الطرفين (المسلمين كحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما، والمشركين كعُتبة وشيبة والوليد وغيرهم) سوى نسبة ١٪ من تعداد السكان في الجزيرة العربية!

إنّ نسبة ((واحد بالمائة)) كحصيلة للقتلى من الطرفين بعد عشرات الحروب لا تكاد تجدها في سيرة أي قائد حربي آخر في التاريخ الإنساني كله.

وهذا يعود بنا إلى سؤالكم الأول حيث كان فحواه هو أنّ معظم الحروب قد حلّت بسبب الدين، وأنّ معظم القتلى كانوا ضحايا لحروب وقعت

باسم الدين، ولكن في الواقع القضية معكوسه تماماً.

إذا عقدنا مقارنة بين ما نِسبته واحد بالمائة وهي حصيلة الحروب التي وقعت في عهد نبي المسلمين «صلى الله عليه وآله» وبين ما لدى الآخرين من نِسب هي حصيلة حروبهم التي وقعت بصفة غير دينية حيث كان من خاضوها ملاحدة شيوعيين، سنرى حينها كم هو البون الأخلاقي شاسعاً بين حروب الفريقين.

الشيوعيون الذين حكموا روسيا والجمهوريات السوڤيتية كانوا ملاحدة أم لا؟! أما كانوا يرددون أنّ الدين أفيون الشعوب كما يقول (**لينين**)؟!

لقد كانوا يزعمون أنهم يقدمون للمجتمعات التطور والتحضر ويسعون إلى محاربة الرجعية والتخلف والفقر، وأمثال ذلك من عناوين براقة.

فكم حرباً خاضوها، وكم عدد الضحايا والقتلى نتيجة (سياساتهم) وحدها، ودعك عن حروبهم.

كم عدد القتلى من شعوبهم أيضاً؟! في عهد **لينين**، و**ستالين** وجنراله **خروشوف**، كم كان عدد القتلى في الاتحاد السوڤيتي؟!

بلغ عدد القتلى ٦٦ مليون نسمة بحسب الإحصائية التي توصّل إليها «**ألكسندر سولجينتسين**»[١]

وبحساب النسبة بالقياس إلى عدد سكان الاتحاد السوڤييتي آنذاك والبالغ ٢٢٠ مليون نسمة تقريباً، تكون نسبة الضحايا هي ٣٠٪ !!!

1 - أقول: قد يُكذِّب أنصار الشيوعية تلك الإحصائية ويكيلون الاتهامات لسولجينستين. ولكنّ المنطق يقول أنّ تلك الحروب لو لم تبلغ من القذارة درجة فاقت الحدود لما وجد ذلك الرجل سبيلا إلى (الجرأة) في الإفصاح عن رقم هائل كهذا! لماذا لم يجسر أحد من المؤرخين رغم كثرة المتربصين بالإسلام على ادعاء أرقام من ذلك القبيل حول حروب النبي صلى الله عليه وآله؟!ثمّ حتى لو افترضنا أنّ عدد الضحايا كما تزعم الجهة المتَّهمَة قد بلغ ٢٦ مليون نسمة، يبقى هذا رقما هائلا وهو يعادل ما نسبته ١١٪ من عدد السكان! فأين هي نسبة ١٪ إلى ١١٪؟

فأين هي نسبة ١٪ مقابل ٣٠٪؟!

زعيم ومؤسس الصين الشيوعية «**ماو تسي تونغ**» صاحب الكتاب الأحمر المتضمن فلسفة الزعيم الصيني في سبيل تطبيق سياساته في الصين والإصلاح الاقتصادي بما يقضي على الرجعية والتخلف والبرجوازية وإلى ما هنالك، وبالتالي تحقيق المساواة بين فئات الشعب.

يا ترى في سبيل تطبيق المنهج الشيوعي الذي يتبناه وسياساته الشيوعية التي يؤمن بها، كم بلغ عدد قتلاه؟

بلغ عدد القتلى ٧٠ مليون نسمة من الشعب الصيني!

في ذلك الوقت عدد الصينين لم يكن يبلغ مليار نسمة بل كان أقلّ من ذلك، وقد تضاعف تالياً إلى أن بلغ اليوم المليار وأكثر لأنّ «ماو تسي تونغ» في الثلث الأخير من حكمه قد جعل من أبرز سياساته حثّ الشعب على الإكثار من الإنجاب والتناسل، ونجم عن ذلك ما نشهده من التضخم والزيادة في نفوس الصين.

ولكن فلنفترض أنّ تعداد شعب الصين آنذاك على أبعد الفروض يبلغ مليار نسمة.

فسوف تبلغ نسبة القتلى بالقياس إلى عدد السكان ٧٪! فتبقى نسبة ١٪ إلى٧٪ رقماً يمثِّل فرقاً واضحاً.

هناك نماذج أخرى أيضاً يمكن تقصي الفوارق النسبية من خلال استعراضها، على سبيل المثل؛ زعيم الخمير الأحمر رئيس كمبوديا «**بول بوت**» ماذا صنع بالشعب الكمبودي؟!

شعب كمبوديا كان يبلغ تعداده ٨ ملايين نسمة، وقد قتل منهم ٣ ملايين نسمة! وهو ما يعادل ٣٧,٥٪

أي قُرابة نصف الشعب! بمعنى أنّ ما يقارب ٤٠٪ من الكمبوديين تمّت إبادتهم!

السؤال المطروح هو: هؤلاء الذين استعرضنا مجازرهم جميعاً قد كانت دوافعهم دينية أم أنهم كانوا ملحدين؟!

الجواب واضح، فهؤلاء كانوا في عصرهم واجهة وزعماء وفلاسفة الإلحاد، وهم أصحاب مقولة الدين أفيون الشعوب. وهم الذين روّجوا إلى كون الدين مما يجعلنا نحن البشر نتخلف ونتقهقر، وأنّ الدين هو الذي يخلق الفوارق الطبقية بين البشر ويجعلهم يعيشون في سراب وأحلام في انتظار حياة أُخروية أفضل.

وطبعاً تلك مغالطة منهم فانتظار تلك الحياة الأفضل هو في الدين الحقيقي لا يتعارض مع العمل لأجل الحياة الدنيا بشرفٍ وأمانة.

عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموتُ غدا**»[١]

بينما هؤلاء أنفسهم هم أعداء الحياة والأمل فتجد شخصاً «**كجوزيف ستالين**» هو صاحب مقولة: «الموت يحل كلّ المشاكل» فمن الطبيعي أن يكون الفرد المعقّد كهذا كائناً يتغدّى ويتعشّى على دماء القتلى، وقرارات الإعدام لديه لا تنقطع[٢]!

1- وسائل الشيعة، ج١٧ص٧٦

2 - أقول: إنّ من سخرية الزمان أن نرى صبية الملاحدة والمُنهزمين أمامهم ممن تسمّى بالإسلام كالبترية الذين يجحدون البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام يعيبون على المسلمين الرافضة التمسك بثوابتهم ونشرها والدعوة إليها والحرص على جعلها حيّة حاضرة على مرّ العصور، بينما لا يخجل الملحد من تاريخ آبائه المُخزي ويستمر حتى الساعة في بعث وإحياء وتجديد مبادئهم والمناداة بها!

الملاحدة والبترية جميعا لديهم قصة تتكرر باستمرار، وكلهم يقابلُ نفس الأمريكي: قابلت أمريكيا فسألني ما سبب الخلاف بين الشيعة ومخالفيهم؟ فقلتُ بسبب تنازع حصل منذ ١٤٠٠ سنة بشأن من هو الأحق بالخلافة؟ فضحك الأمريكي وتعجب، وأنا بقيتُ أبكي وأتحسر! ونحن الرافضة نضحك من كليهما ونقول: على فرض صحة تلك القصة المُستنسخة (المُصطنعة) لأنّ الغربيين عادة لا يسألون العرب فهم يعتقدون في كثير منهم الجهل حتى بتراثهم ولذلك يستقُون المعلومة من خلال البحث والمطالعة. المهم؛ نقول على فرض صحة تلك الحكاية، فذلك الغربي لو علم ضحالة

عندما يُفرِّق المُلحِد بين الطاغوت والمُصلِح

المحـاور: قـد يُجـاب عـلى مـا تقدمتـم بـه مـن بيـانٍ بـأنْ يُقـال أنّ مـن تحدثـت عنهـم إنـما هُـم الطغـاة، وليسـوا مـن فئـة المصلحـين.

سـماحة الشـيخ الحبيـب: حينهـا نقـول لهـم إذاً لمـاذا تحاسـبوننا عـلى كلِّ مـا وجدتمـوه شـنيعاً في التاريـخ الإسـلامي؟! فبحسـب منطقكـم نقـول لكـم أيضـاً أنّ الطغـاة قـد ارتكبـوا تلـك الفظائـع باسـم الإسـلام ولكـنّ أفعالهـم ليسـت تُجسِّـد مبـادئ الإسـلام الحقّـة.

إذا أردتـم تنزيـه الإلحـاد والشـيوعية الإلحاديـة مـن تصرفـات وأفعـال مـن نحتـجُّ بهـم عليكـم مـع كونهـم ذوو اعتبـار لا يمكـن تجاهلـه في الوسـط الإلحـادي والشـيوعي حيـث أنهـم الآبـاء والمؤسسـون، فلـماذا تسـلبون المسـلمين هـذا الحـق؟! -ولا قيـاس طبعـاً-

إنّ «فلاديمـير لينـين»[1] هـذا أبـو الشـيوعية وكان منظِّـراً كسَـلفِه «كارل ماركـس»، و«لينـين» هـو صاحـب المذهـب اللينينـي السـياسي وشـعاره: الأرض والخبـز والسـلام، وكذلـك الزعيـم الصينـي «مـاو تـسي تونـغ» وهـو مـن عمالقـة التنظـير للشـيوعية وصاحـب ذلـك الديـن الشـيوعي -إن جـاز التعبـير- فهـو وصاحبكـم لينـين ومـن لـفّ لفهـما يرتكبـون تلـك الفظائـع ومـع ذلـك تريـدون تنزيـه الشـيوعية الإلحاديـة مـن هـؤلاء الذيـن تسـمونهم طغـاة مـع أنّ لهـم اعتبـاراً أصيـلاً وموقعيـة محوريـة في واقـع الشـيوعية الإلحاديـة؟!

فهمكم وقشوريتكم لضحك عليكم وعلى جوابكم القشوري التافه. يؤمن الشيعة الرافضة أنّ الإمام المعين من قبل الله تعالى لو خضعت له كل الأُمّة ولم ينازعه الأدعياء لكانت البشرية ستعيش في خير وعدل وسلام ونماء على كل الأصعدة، وهذا ما يطمح له حتى الملحد، بل كل وسائل التكنولوجيا والعلم هي في سبيل ذلك كما يدعي الماديون. ومن هُنا يهدف الشيعة من خلال الدأب على تكرار وتأكيد قضية تمرُّد الأدعياء على وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى إعادة البشريّة إلى الطريق الذي فيه سعادتها المنشودة. وهذا الهدف هو هدف مقدّس حتى عند الملحد.

1 - فلاديمير ألييتش أوليانوف المعروف بلينين، ولد في 22 أبريل عام 1870 وتوفي في 21 يناير عام 1924. كان ثوري روسي ماركسي وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية، كما أسس المذهب اللينيني السياسي رافعاً شعاره الأرض والخبز والسلام.

لنا أن نحاسب النظريّة بملاحظة من طبّقها ومن وضعها، أليس كذلك؟

في حين أنّ الملاحدة في المقابل يحاسبوننا على ما صنعه أبو بكر، أو عمر، أو بني أمية وبني العباس وأمثالهم من هؤلاء الطغاة!

نحن نقول لهؤلاء: لماذا تُلحقون العار بالإسلام؟ ولماذا تُحمِّلونه أفعال أولئك الطغاة، ولماذا تجعلون التثريب على الإسلام؟

حاسبونا استناداً لأفعل من له اعتبار إسلامي.

فمن الذي لديه تلك الصفة؟ صفة الاعتبار الإسلامي؟!

إنه صاحب الإسلام ومن بُعث بالإسلام النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أو وصيُّه الشرعي، بمعنى أنّه لدينا ثلاث حكومات يُمكنُ أن نحاسب ونُحاكم الإسلام والمسلمين استناداً إلى سيرتها.

- حكومة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.
- حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.
- حكومة الإمام السبط الأكبر الحسن المجتبى صلوات الله عليه وهو حفيد نبي الإسلام، ابن فاطمة الزهراء، شقيقُ الحسين الشهيد صلوات الله عليهم أجمعين.

هؤلاء الثلاثة لهم اعتبار إسلامي راسخ، فأخبرونا أين نجد في حروبهم مثل ذلك الإسراف الشيوعي الإلحادي في القتل والعياذ بالله؟

أين نجد الطغيان والولوغ في الدماء باستخفاف واستهتار؟

أين نجد التعسُّف والإرهاب والإجرام الوحشي اللينيني والعياذ بالله؟!

بل سنجد عكس ذلك كُلِّه، فصاحب هذا الدين الإسلامي وإن لم

يُسلِّموا لنا بأنه كان نبيّاً حقيقياً فإنّا نخاطبهم بحسب منطقهم ولغتهم من باب الإلزام فنقول أنّ مؤسس الإسلام محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله» هو بالنتيجة صاحب نظرية الإسلام -كما يُمكن لهم تسميتها- وفق منطقهم المادي.

وصاحب النظرية هذا نفسه قام بتطبيق الإسلام فهو صاحب الاعتبار الأوّل، وقد بلغ عدد القتلى في حروبه من الطرفين أي أصحابه وأعداءه ما نسبته ١٪ فقط من عدد سكان الجزيرة العربية وهو ما يعادل أقلّ من ألف قتيل، أو قُل ألفاً على أقصى تقدير.

وهذه النسبة مع التنزُّل بشأن التعداد السكاني لأهل الجزيرة العربية، فإنهم بحسب الاستقصاء لا يقلون عن ٢٠٠ ألف نسمة فتكون نسبة قتلى الحروب التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله أقلّ من واحد بالمائة!

أي أنها تساوي ٥ ,٠٪

فلا وجه للمقايسة والمقارنة بين حروب النبي صلى الله عليه وآله في نزاهتها ونظافتها، وبين مجازر الشيوعية الإلحادية الدموية.

فأنْ يُحمّل الدين الإسلامي مسؤولية المجازر التي ارتكبها طغاة ليس لهم اعتبار شرعي إسلامي وإنما انتحلوا الصفة الدينية باسم الإسلام، هذا عيناً كمَن يُحمِّل على سبيل المثال «الديمقراطية» -التي هي اليوم مبدأ إنساني وأخلاقي مُحترم ومُعتبر- تصرفات وأفعال بعض الطُّغاة والعُتاة الذين قتلوا الناس باسم الديمقراطية، وشنُّوا الحروب باسم الديمقراطية.

ألم يقتلوا باسم الديمقراطية الناس؟ أما انتهكوا الأعراض ودمّروا البلدان باسم الديمقراطية؟! لقد وقع ذلك بشكل واضح قديماً وحديثاً.

فإذا قلتم ليس من شيء على الديمقراطية وما مِن تثريبٍ عليها بما هي،

وإنّما السّخط والتّثريب على مَن انتحل اسمها خصوصاً مع كونه ليس ذا صفة أو اعتبار في المنهج أو الشرع الديمقراطي.

فإذاً نقول لكم افعلوا الشيء ذاته فيما يتعلق بنظرتكم وموقفكم في تقييم ما يُنسَبُ إلى الإسلام المحمدي العظيم وهو منه براء.

لماذا نجدكم دائماً تصوبون سهامكم إلى الإسلام بتحامل وتجنٍّ بعيداً عن الإنصاف؟!

ومع هذا كله فلا قياس! فإنّ سيرة من لهم اعتبار إسلاميٌّ هي من أنظف وأنزه ما عرفته البشرية من الحروب والمواجهات القتالية، وهذا الأمر أوضح من الشمس في رابعة النهار لُمستقصِيه ومُتفحِّصه بعين الحقيقة والإنصاف لا المكابرة والإجحاف.

في ختام هذه الجولات الجوهريّة من سلسلة الهواجس الفكريّة:

كلمةُ المُحاوِر: نتقدّم لكم بجزيل الشكر شيخنا الجليل على هذه المباحثات المعرفيّة القيِّمة، وكنّا نتمنى أن نستمرّ في مزيد من المُطارحات العلميّة المفيدة معكم، ولكنّ الدّورة الزمنيّة المُحدّدة للبرنامج قد انقضت مؤذنةً بختام هذه الجولة من الهواجس الفكريّة.

الشيخ الحبيب: شكرا جزيلا لكم، بارك الله فيكم.

المُحاور: نتوجّه كذلك بالشكر الجزيل للمتابعين الكرام على حُسن المتابعة ونلقاكم إن شاء الله في حلقات بحثيّة مُستقبليّة سواء من خلال سلسلة الهواجس الفكرية أو غيرها.

وإلى ذلك الحين أستودعكم الله تعالى مِن هُنا، مِن أرض فدك الصُّغرى، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في أمان الله تعالى.

الفهرس

انبرى سماحة الشيخ الحبيب دامت بركاته في هذه السلسلة النيرة اقتفاء لخطى الأئمة عليهم السلام إلى تناول هواجس الفكر الإلحادي وتبديدها بضياء المنطق الأحمدي. وقد عمد شيخنا الحبيب حفظه اللّٰه في حصر هواجس الإلحاد إلى تركيز القضايا وجمع الأسس التي تنطلق منها هواجس الإلحاد، ومع ذلك استطاع ضرب الثانويات والشعب الإلحادية في الموضوعات المختلفة في المسائل الفرعية التي لم تطرق من خلال وضع (نقاط عامة ملزمة) يسع من خلالها التقليص من حجم القيمة الواقعية لبقية التخرصات الإلحادية ، لهذا وجدنا حاجة ماسة لإثراء الساحة بهذا العمل الذي نسأل اللّٰه تعالى قبوله بأحسن القبول ليكون مرجعا لطلبة العلم وغيرهم في التعرف على المنطلقات الأساسية في ميدان الجدل العقائدي بشأن ما يصطلح عليه في زماننا بـ «الإلحاد»، ولتبديد بعض الخواطر السلبية التي قد تثيرها بعض الشبهات التي يتم ضخها بتركيز على نحو واسع في هذا العصر من نفوس الشباب والنشأ من جهة أخرى.

